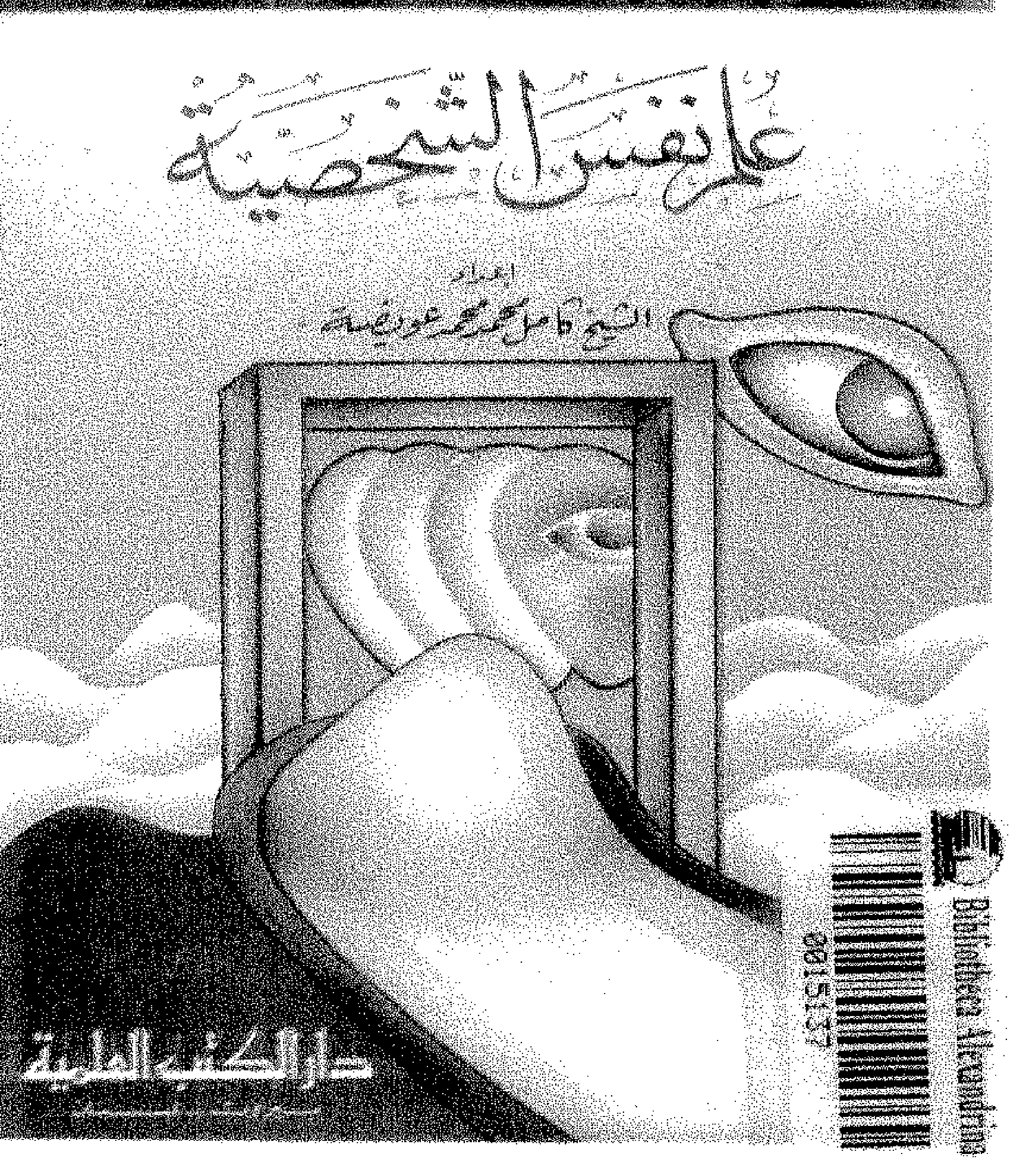
سلسلة علم النفس

١٤

علم نفس الشخصية

إعداد

الشيخ كامل محمد محمد عويضة



دار الكتب العلمية

سلسلة علم النفس



إعداد

كامل محمد محمد عويضة

مراجعة

أ. د محمد رجب البيومي

عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

ليس موضوع علم النفس جديداً عليك ، بل هو أقرب الموضوعات وأشدها اتصالاً بحياتك ، فموضوعه هو سلوكك وتصرفاتك ، وأعمالك من حيث هي مظهر للحياة النفسية . سيعرفك علم النفس كثيراً عن نفسك وعما تجهله من حالاتها واستعداداتها ، وسيكشف لك عن طبيعة شعورك وإحساسك ، وغرائزك وعاداتك وعواطفك وانفعالاتك ، وتفكيرك وإدراكك ، وليس هذا وحسب ، بل إرادتك وذاكرتك ، وتخيلك وتصورك ، وخواطرك وكيف تتداعى . وأنت في هذا كله تجول جولة سريعة في طبيعة النفس وظواهرها ، فتعرف بذلك نفسك ونفس غيرك وبذلك تعيش متلائماً مع غيرك من الناس ، وتحيا حياة بعيدة عن القلق والاضطراب وتنعم بالهدوء والاطمئنان ذلك لأنك قد فهمت نفسك ونفس غيرك فلاءمت بين هذه وتلك .

وكتبه ،

كامل محمد محمد عويضة
مصر - المنصورة - عزبة الشال
ش جامع نصر الإسلام

تمهيد

تعريف علم النفس :

كان علم النفس في العصور القديمة معنياً بدراسة النفس أو الروح ومعرفة أصلها ومصيرها . ولما كانت هذه الدراسات غامضة مبهمة وليست علمية ، فقد حاول العلماء المحدثين أن يدرسوا العقل ، ولكنهم لم يتفقوا على معنى العقل ، لذلك ذهب بعض العلماء إلى تسميته بعلم الشعور ، لأن الشعور أهم ظاهرة عقلية . وبهذا نجا العلم من الغموض والإبهام . ولكن لاحظ فريق آخر منهم أن هناك قوة تهيمن على أعمالنا وتصرفاتنا ، وتلك هي اللاوعي أو اللاشعور . واللاشعور هو مجموعة الخواطر والرغبات والميول التي لم يستطع المرء اشباعها في حياته ، لأنها غير ملائمة لآداب المجتمع ولا متفقة مع تقاليده فحاول الإنسان كبتها ، أو غاصت هي في مجال اللاشعور وأصبح الإنسان لا يشعر بها ولكنها مع ذلك تتحكم في توجيه سلوكه .

ولكن ميدان العلم مع ذلك لا يزال ضيقاً لأن دراسة الشعور واللاشعور لا يمكن تطبيقها على الحيوان أو الطفل أو المجنون ، ومن ثم فلا بد أن يتسع نطاق البحث . لذلك حاول العلماء دراسة مظاهر السلوك المختلفة عند الإنسان والحيوان ، ولا يكون ذلك بطريق الملاحظة الداخلية (التأمل الباطني) فحسب ، وإنما يكون بإجراء التجارب . ومن ثم أصبح علم النفس هو العلم الذي يبحث في سلوك

الناس وتصرفاتهم وأعمالهم من حيث هي مظهر للظواهر النفسية .

فائدة دراسة علم النفس :

١ ـ يستخدم علم النفس في الحرب لقياس ذكاء الجنود ، لمعرفة مستواهم العقلي وأحوالهم النفسية . وقد ثبت لعلماء النفس أن الجنود البلهاء الذين انحط مستوى ذكائهم لم يكونوا جنداً يعتمد عليهم ، أما الأذكياء فهم دعامة النصر في الحرب ولا سيما إذا جمعوا إلى الذكاء شجاعة نادرة وجسماً قوياً سليماً .

٢ ـ تراعي معاهد التعليم المختلفة أن يكون تلاميذ الفصل الواحد في مستوى ذكاء واحد ، لأن وجود التلاميذ الممتازين بالذكاء مع آخرين أقل منهم ذكاءاً يجعل المدرس مضطراً إما إلى النزول إلى مستوى التلاميذ الأقل ذكاء وفي ذلك ضياع فائدة على الأذكياء ، وإما إلى التحدث بمستوى عال يلائم الأذكياء فتضيع الفائدة على من هم أقل ذكاء .

٣ ـ بعد أن عرف علماء النفس الكثير عن العقد النفسية وأثرها في الحياة العقلية والجسمية أنشأ فريق منهم عيادات يعالج فيها المصابون بالأمراض النفسية والأمراض الجسمية الناشئة عن اضطراب نفسي .

٤ ـ كشف علم النفس عن طرق التجميل ، والأثر الذي يحدثه الجمال في النفس وقد سميت هذه الدراسة بسيكولوجيا الجمال[١] .

٥ ـ ساعد علم النفس على معرفة نفسية المجرم ، والدوافع التي تدفعه إلى الإجرام وبين علم النفس طرق معالجة المجرم وتوجيهه وجهة

---

(١) لفظ مكون من كلمتين يونانيتين « Psyche » ومعناها « نفس أو روح » . و« Logos » ومعناها « علم أو درس » .

سليمة يرضى عنها المجتمع وتطمئن اليها نفس المجرم ، وقد سميت هذه الدراسة سيكولوچيا، الإجرام .

٦ ـ اهتم فريق من علماء النفس بتطبيق نظريات علم النفس على الحياة العملية ، فأوضحوا لنا كيف يعرض التاجر تجارته على الناس ، وكيف يتعامل الإنسان مع زملائه ويكسب حبهم وصداقتهم ، وكيف يوفق المرء في حياته الزوجية ، وكيف يربي أطفاله تربية صحيحة ، وكيف يلائم الفرد بين شهواته ورغباته وتقاليد مجتمعه إلى آخر هذه الموضوعات التي شملت مرافق الحياة كلها .

الفصل الأول

مذهب الكمال المثالي
والواجبات الإنسانية

تمهيد ـ نشأة نظرية الكمال ـ نظرية الكمال في صورتها الحاضرة ـ الكمال النفسي وتحقيق الذات .

هو أحد المذاهب الغائية وتقوم المذاهب الغائية على أساس أن الأحكام الأخلاقية التي نصدرها على الأفعال الإنسانية الاختيارية تترتب على أثرها والغاية التي تفضي إليها . وهي بهذا تفارق المذاهب الشكلية التي تقف عند شكل الأفعال ولا تنظر إلى سواه وتذهب إلى أن الصفات الأخلاقية ترتبط بشكل الأفعال لا بأثرها وما قد يترتب عليها من لذة وسعادة أو كمال جسمي أو عقلي أو روحي .

والأفعال الإنسانية على اختلاف أنواعها يمكن أن ينظر إليها من ناحية الشكل ومن ناحية الأثر والغاية فإذا نظرنا إليها من الناحية الأخيرة كان من أظهر آثارها ما تحدثه من لذة أو كمال جسمي وعقلي . . وهذا واضح في أفعالنا العادية فالطعام والشراب مثلاً أعمال تصحبها اللذة وتؤدي إلى الصحة والقوة والدراسة العلمية وتذوق الفنون تعقب نوعاً آخر من اللذة وتكسب العقل والذوق نماء . وطبيعي عند النظر في أساس الواجبات أن يخطر لطائفة من الباحثين أن مصدر وجوب الأفعال الواجبة هو أثرها الحسن كاللذة التي تحدثها أو نمو العقل والجسم المترتب عليها . وهذا

هو اتجاه الغائيين العام ولكنهم بعد ذلك يختلفون في تحديد الأثر الحسن الذي يعدونه أساساً للواجب فتذهب طائفة إلى أن الأمر الوحيد الذي يعد حسناً لذاته هو اللذة وأن الأفعال تعد خطأ أو صواباً تبعاً لما تحدثه من اللذة وترى أخرى أن كمال الحياة الطبيعية هو المقياس الأخلاقي الصحيح وتذهب ثالثة إلى أن الخير الأعلى هو الكمال النفسي أو المثالي وأنه مصدر الصفات الأخلاقية التي تتصف بها الأفعال الإنسانية وهؤلاء هم أصحاب نظرية الكمال المثالي واجمال القول ان الغائيين يرون أن الخير الأعلى هو أساس الواجب وان هذا الخير يجب أن يطلب بين آثار الأفعال ونتائجها . وينفرد أصحاب نظرية الكمال المثالي برأيهم في تحديد الخير المذكور ، فيذهبون إلى أنه الكمال النفسي أو المثالي لا اللذة أو كمال الحياة الطبيعية ويزنون الأفعال بأثرها في نمو العقل والجسم .

نشأة نظرية الكمال :

الصورة الأصلية البسيطة لهذه الفكرة هي صورتها عند الأغريق فقد كان المثل الأعلى عندهم للحياة الإنسانية هو المبدأ المعروف (العقل السليم في الجسم السَّليم) أو نمو القوى الجسمية والعقلية نمواً متناسقاً .

وقد جرت العادة أن تفرد القوى العقلية بعناية خاصة على أساس أنها أسمى القوى الإنسانية وقد قام أرسطو بوضع الأسس النظرية لهذه الفكرة وسلك في ذلك مسلكاً فلسفياً دقيقاً يكون جزءاً من تاريخها ويعد خير تمهيد لدراستها في صورتها الحاضرة .

يذهب أرسطو إلى أن كل شيء له وظيفة خاصة يؤديها ويجب أن نبحث عن خيره في هذه الوظيفة نفسها . فلاعب الكمان له وظيفة خاصة

وخيره الخاص هو أن يؤدي هذه الوظيفة خير أداء ويجيد العزف كل الاجادة .

وإذا أردنا أن نعرف خير الإنسان وجب أولاً أن نحدد وظيفته أو عمله الخاص ليتسنى لنا أن نعرف خيره . وهنا نسأل أرسطو ما هي وظيفة الإنسان بين أنواع الكائنات المختلفة في طبائعها ووظائفها ثم يسترسل في البحث حتى ينتهي به التنقيب إليها وإذ ذاك يتجه إلى تحديد خيره الخاص والإنسان ـ عند التحليل ـ يجمع صفات متعددة فهو كائن عضوي ذو حس وقدرة على التفكير . فيبدأ أرسطو بالإنسان ككائن عضوي حي ويتساءل هل الحياة وظيفته الخاصة . فإذا بالحياة مشتركة بينه وبين النبات فهي إذن ليست خاصة بالإنسان ثم يتجه إلى حياة الحس فإذا بها أيضاً مشتركة بين الحيوان والإنسان . يبقى بعد ذلك حياة الفكر . وفي التفكير يجد أرسطو وظيفة الإنسان الخاصة . وهنا ينجلي الأمر ويمكن تحديد خير الإنسان . فهو أعلى أعمال هذا المبدأ وأتمها . هو أكمل نشاط للوظائف العقلية ، والتفوق الناشىء من ذلك هو عنده الفضيلة الإنسانية .

أرسطو إذن يرى أن الوظيفة الوحيدة التي ينفرد بها الإنسان عن عالم النبات والحيوان هي التفكير فهو خاصية الإنسان وصميم شخصيته وأن خير الإنسان هو نمو هذه الوظيفة وكمالها وهنا يصل أرسطو إلى أن خير الإنسان هو تحقيق الذات الإنسانية وكمال النفس .

ولو صح أن الطبيعة البشرية ترد إلى استعداد واحد لكان خيرها المطلق هو كمال هذه النزعة ولكان نشاط هذه النزعة نشاطاً منظماً هو الوسيلة الطبيعية إلى تحقيق أكبر مقدار من الذات الإنسانية وأوفر قسط من سعادتها ولكن الطبيعة البشرية تحتوي على عدد كبير من الاستعدادات الفطرية ولكل منها نشاطه الخاص .

ومع ذلك فلا بد من التسليم بالمبدأ العام الذي يقرر أن هذه القوى الفطرية ووظائفها المختلفة لا تتساوى من ناحية صلتها بتحقيق الذات وأنه من الضروري اخضاع الوظائف السفلى للوظائف العليا فارسطو لم يخطىء حينما قرر هذه الحقيقة ورفع التفكير فوق الوظائف العضوية .

نظرية الكمال في صورتها الحاضرة :

لن يتسنى لنا أن نفهم حقيقة هذه النظرية في صورتها الحالية إلا إذا عرفنا الأسس العامة لنظرية الوجود التي تستند إليها .

وآراء الفلاسفة في طبيعة الوجود مختلفة كل الاختلاف فهناك الماديون الذين يرون الوجود مادة بحتة تفسر سلوكها القوانين الطبيعية المادية التي يستكشفها علماء الطبيعة والكيمياء . وهناك المحدثون من الطبيعيين الذين يعترفون بعنصر الحياة إلى جانب المادة البحتة ويفسرون سلوك الأحياء بالقوانين البيولوجية لا بالقوانين الطبيعية المادية، قوانين علمي الطبيعة والكيمياء .

أما أصحاب نظرية الكمال المثالي فينكرون النزعات المادية والطبيعية ويرون أن في الكون ثلاثة مستويات مختلفة في طبيعتها وسلوكها وهي الشخصية الإنسانية والكائنات العضوية ثم المادة غير الحية ويذهبون إلى أن كلا من هذه المستويات يفترض وجود ما يسبقه ولكن لا يمكن رده إليه وتفسيره بقوانينه .

فالشخصية الإنسانية مستوى أعلى من مستوى الكائنات العضوية وغير العضوية ولها طبيعتها وخصائصها التي لا يشاركها فيها مستوى آخر كما أنه لا يمكن أن يفسر سلوكها بالقوانين الطبيعية والكيمائية التي تفسر سلوك المادة أو بالقوانين البيولوجية البحتة التي تفسر سلوك عالم الأحياء فهي عقل أو نفس ولها سلوكها الخاص تفسره نواميس مختلفة وهي النواميس النفسية التي يدرسها الفلاسفة وعلماء النفس .

وأصحاب نظرية الكمال يرون أيضاً أن هناك فروقاً في القيمة بين مستويات الوجود الثلاثة . وهم بوجه عام يضعون الحي فوق غير الحي وحياة التفكير الممثلة في الإنسان فوق حياة الهضم والنمو والحس التي تظهر في عالم النبات والحيوان ويعتمدون في إثبات هذه الحقيقة على شهادة الفطرة الإنسانية السليمة . فالإنسان خير الخليقة وأعلى مستوياتها بشهادة الإدراك الفطري السليم .

ولكل مستوى من هذه المستويات خيره الخاص فالمادة إذا صارت آلة تؤدي عملاً خاصاً كالسكين مثلاً كان خيرها في كمال عملها فالسكين كأداة للقطع تبلغ كمالها وتحقق خيرها إذا كانت تجيد القطع .

أما الكائنات العضوية من نبات وحيوان فوظيفتها الحياة وخيرها في كمال وظائف الحياة .

ثم يأتي الإنسان . وليس الإنسان مجرد حيوان ولكنه حيوان اجتماعي مفكر . هو في الواقع عقل وكماله في تحقيق عقله أو أداء وظائفه الروحية والعقلية وترقيها وهذا هو ما يسميه الفلاسفة تحقيق الذات .

ولكن النظرية الحديثة أوسع نطاقاً من النظرية القديمة فهي لا تنسى أن للذات وظائف أخرى غير وظيفة التفكير فهي تفكر والتفكير من وظائفها الأساسية ولكنها أيضاً تطلب القيمة الجمالية والدينية فتتذوق وتتعبد ولا يغفل أولئك الكماليون أيضاً الحقائق الواضحة الأخرى أو يتجاهلون مغزاها بالنسبة للكمال النفسي فالإنسان حيوان ، كائن عضوي ، وتحقيق ذاته لا يتم دون تحقيق الوظائف العضوية وهو أيضاً اجتماعي لا يتم ما يتجه إليه من تحقيق الذات دون تحقيق نزعاته الاجتماعية .

تحقيق الذات إذن ـ في رأي المحدثين من الكماليين ـ لا يقتصر على أداء الوظائف العقلية أو العضوية أو الاجتماعية ولكنه النشاط العام

المنظم للاستعدادات النفسية المختلفة فهو وحده الذي يصل بالطبيعة البشرية إلى كمالها ويحقق الذات الإنسانية .

الكمال النفسي وتحقيق الذات :

يتضح مما سبق أن فكرة أرسطو في خير الإنسان تقوم على أساسين فخير الإنسان مكانه ووظائفه وأعماله التي يقوم بها وهذا الخير هو ترقي هذه الأعمال وبلوغها درجة الكمال ولكن أرسطو اهتم بالتفكير أكثر من سواه فالذات الإنسانية عنده العقل ، ووظيفته التفكير وتحقيق الذات هو ممارسة التفكير والترقي حتى يصل إلى درجة الكمال . وهذا هو الكمال الإنساني الخاص في رأيه .

ونظرية الكمال الحديثة تتفق وأرسطو في أن الخير مكانه الوظائف والأعمال وأنه لا يعدو أن يكون رقي هذه الوظائف وبلوغها درجة الكمال وترى في هذا تحقيق الذات الإنسانية وكمالها . ولكنها لا تجاري أرسطو في قصره الاهتمام على التفكير ولا فيما ينزع إليه من أن تحقيق الذات انما يتم عن طريق نمو التفكير وحده بل تذهب إلى أن جميع الأعمال أو الوظائف ضرورية لتحقيق الذات وان كانت تتفاوت في مدى صلتها بتحقيق الذات ومقدار أثرها فيه ومن ثم كان من النافع أن نلقي نظرة عامة على هذه الأعمال وأن نحدد صلة كل نوع منها بتحقيق الذات .

تتألف حياة الإنسان اليومية من عدد غير قليل من الأعمال ولكنها يمكن أن ترد إلى أنواع قليلة العدد ولكل نوع خاص من هذه الأعمال أهداف أو قيم خاصة يرمي إلى تحقيقها فهناك الأعمال الاقتصادية والوظائف العضوية والنشاط الاجتماعي والأعمال العقلية والروحية .

ويمكن أن نقول أن تحقيق الذات يحتاج إلى كل هذه الأعمال والقيم التي تنتجها ولكنه يعتمد عليها ويدخل فيها بدرجات متفاوتة فالنفس تدخل في بعض الأعمال أكثر مما تدخل في غيره ومقدار الخير في هذه

أكثر منه في سواه .

فالأعمال الاقتصادية تنتج الخيرات الاقتصادية المختلفة . وهي أمور خارجة عن الذات ولكنها ضرورية لتحقيق القيم الجسمية ومن ثم كانت ضرورية لتحقيق القيم العليا التي تستند إلى القيم الجسمية .

أما الأعمال البيولوجية كحياة التغذية مثلاً فتحقق القيم الجسمية من صحة وقوة ونحو ذلك وهي أمور لا يمكن تحقيق القيم العليا بدونها .

فإذا وصلنا إلى الحياة الاجتماعية والقيم التي تحققها تغير الحال كثيراً . فالاجتماع ليس كالانتاج يحقق أشياء خارجية أو كتناول الطعام الذي يحقق القيم الجسمية ولكنه يحقق الذات مباشرة . فهو يحقق الصداقة والحب ، كحب الزوجة والأولاد . والحب ليس خارجاً عن الذات الإنسانية . وما الحب إلا حالة نفسية خاصة يصل فيها التعلق النفسي إلى أعلى درجات الشعور . فهو إذن ليس شيئاً خارجاً عن الذات كالقيم المادية . والاجتماع أيضاً يحقق الأخلاق فنحن نأخذها ممن حولنا بطريق الإيحاء والمشاركة الوجدانية وهذه حقائق نفسية وقيم روحية وتحقيقها تحقق للذات .

أما الأعمال العقلية والروحية فصلتها بتحقيق الذات أتم وأوثق . ويحسن أن نتذكر هنا فكرة مستويات الوجود الثلاثة فهي خير تمهيد لفهم أثر الوظائف العقلية والروحية في تحقيق الذات ويكفي أن نتذكر أن هذه النظرية تقرر أن مستوى الإنسانية يختلف عن غيره من المستويات في أنه عقل لا مادة حية أو غير حية وأن الإنسان إنما ظهر في الوجود يوم ظهر الكائن المفكر فإن دلالة هذا بالنسبة لتحقيق الذات واضحة . فتحقيق الذات بناء على هذا هو تحقيق الوظائف والقيم العقلية والروحية .

ووظائف العقل في رأي المحدثين من الفلاسفة الكماليين أوسع من التفكير فالعقل يفكر ويتذوق ويتعبد ، وهو إذ يفعل هذا ينشد قيماً

خاصة . فهو يفكر لطلب المعرفة . ويتذوق ليستمتع بالتجارب الفنية ويتعبد ليصل إلى مبدأ الكون ومصدر الوجود . وهذه الأعمال كلها عقلية فالتفكير والتذوق والتعبد الروحي أعمال يقوم بها العقل نفسه والقيم التي تفضي إليها كذلك . فهي حالات نفسية صرفة فالمعرفة والتجربة الجمالية والصلة بالله حقائق نفسية لا أمور خارجية كالقيم المادية .

وتبدأ هذه الأعمال بسيطة ساذجة ولكنها ترقى وتسير نحو الكمال فإذا وصلت إليه حققت الذات الإنسانية أتم تحقيق وأكمله . ففي ممارسة التفكير وتذوق الفنون والعبادة الروحية الصحيحة ممارسة مباشرة للحياة العقلية والروحية وفي ترقيها وسيرها نحو الكمال تحقيق للذات . بل تحقيق لمعنى الإنسانية نفسها .

أما الحرمان فيتضمن نقصاً في تحقيق الذات وتحقيق مميزات الإنسان كما هو مشاهد في المتوحش والبدائي .

والآن وقد بينا ضروب الأعمال الإنسانية ومدى صلة كل نوع منها بتحقيق الذات والكمال النفسي نستطيع أن نتفرغ لبيان معنى الكمال في الوظائف الإنسانية المختلفة .

وقد كان كمال الحياة البيولوجية، حياة الطعام والشراب والصلة الجنسية موضوع بحث الفلاسفة منذ القدم . وكانت النزعة العامة هي أن كمال هذه الوظائف في التزام حد الوسط . فهو وحده الذي يحقق القيم الجسمية من صحة وقوة أما الافراط أو الحرمان فيحول دون ذلك .

أما كمال الوظائف العليا فلا غموض فيه فكمال التفكير أن يأخذ صورة البحث المنطقي السليم وأن يحقق القيم الفكرية . وهي المعارف الفلسفية والعلمية .

ويتحقق كمال التذوق حينما يسير طبقاً لأصول علم الجمال فيعيننا على التفريق بين الجميل والقبيح وعلى الإحساس الصادق بدرجة

الجمال ونوعه في الطبيعة والفن .

وكمال العبادة ألا يهمل جانبها الروحي وأن تتجه إلى غايتها الصحيحة فتؤدي تدريجياً إلى الصلة الروحية المنشودة .

ووراء هذه الأعمال غرائز مختلفة تدفعنا إلى ممارستها وتحقيق القيم المرتبطة بها . فوراء الأعمال الاقتصادية غريزة الاقتناء التي تدفع رجال الأعمال إلى انتاج القيم الاقتصادية المختلفة .

ووراء الحياة الاجتماعية غريزة الاجتماع التي تدفع الفرد إلى الاجتماع بأمثاله من بني الإنسان فيتسنى له بذلك تحقيق قيم الصداقة والحب والأخلاق .

أما الحياة الفكرية فمن ورائها غريزة الاستطلاع التي تدفع الإنسان إلى البحث والتنقيب عن الحقائق العلمية والفلسفية .

أما الحياة الدينية فالرأي السائد أن ليس وراءها غريزة خاصة وإنما هو شعور الاجلال لمبدأ الكون يدفعنا إلى عبادته والاتصال به . وهو في رأي علماء النفس انفعال مركب .

وهناك من يذهب إلى أن غريزة اللعب مصدر النشاط في الانتاج الفني أما التذوق فعملية مركبة من عناصر نفسية مختلفة .

وإذا كانت الغرائز هي التي تدفعنا في البداية إلى ضروب الأعمال التي تحقق لنا القيم الاقتصادية والجسمية والاجتماعية والعقلية والروحية فإن التربية هي التي تعمل لترقية هذه الأعمال وبلوغها درجة الكمال فهي تدرب الناشيء على البحث المنطقي عن الحقائق العلمية والفلسفية وعلى النظرة العلمية المستنيرة إلى حقائق الوجود كما أنها تصقل ذوقه فتقدم له الآثار الفنية والأدبية وتعاونه على تحليلها وتقدير قيمها الجمالية بطريقة علمية صحيحة وتهتم كذلك بتعويده العبادة وتكوين أخلاقه على أساس سليم .

والتربية الصحيحة لا تهمل الناحية العملية فهي تمده بالكفاية المهنية الضرورية لممارسة الأعمال الاقتصادية .

ولكن هذه الأعمال التي تدفع إليها في الطفولة الغرائز وتهذبها التربية تمثل واجبات إنسانية لا يسع المرء اغفالها . وسنعرض لهذا فيما بعد .

واجمال القول أن الحياة الفاضلة في رأي أصحاب نظرية الكمال تتكون من ممارسة الأعمال الإنسانية المختلفة ولكن في صورتها الكاملة التي تحقق القيم الإنسانية .

فهم يمارسون الأعمال الاقتصادية وينتجون الخيرات المادية ويقبلون على الحياة العضوية حياة الأكل والشرب والجنس لأنهم يعلمون أن الخيرات الاقتصادية ضرورية للحياة الجسمية ويعرفون أن الحياة الجسمية هي دعامة الحياة الإنسانية العليا .

وهم يؤمنون بأن خير الإنسان وهدفه الصحيح هو أن يعيش عيشة إنسانية تكون ذاته وتحقق إنسانيته ويرون أن هذا لا يتم إلا بممارسة الحياة الاجتماعية والعقلية والروحية في صورتها الكاملة فيجتمعون بالناس ويقومون نحوهم بالواجبات الاجتماعية ويرتبطون مع الكثيرين منهم بروابط الصداقة والحب .

ولكنهم بعد هذا كله يعرفون أن الإنسان لن يعيش كإنسان إلا إذا ثابر على الأعمال الإنسانية العليا ووقف جزءاً من حياته على التفكير العلمي والفلسفي وتذوق الجمال الطبيعي والفني وعبادة الله وتوثيق الصلة به .

هذه هي الحياة الكاملة التي تحقق الذات الإنسانية والكمال النفسي . والذين يقبلون هذا النوع من الحياة وهم كثير في كل عصر يعملون في المجال الاقتصادي ويمارسون الصناعات والمهن المختلفة ولكنهم لا يجعلون من الثراء غاية ويأكلون ويشربون ويتزوجون ولكنهم لا يتخذون من لذة الطعام والشراب هدفاً أعلى لأنهم يؤمنون إيماناً ثابت

الأركان بأن خير الإنسان أن يعيش كإنسان وأنه إنما يبقى إنساناً إذا استمسك بحياة الفكر والذوق والعبادة .

وتنقسم الحياة اليومية بالنسبة إليهم إلى قسمين كبيرين. ساعات العمل وساعات الفراغ . فهم يمارسون الأعمال الاقتصادية أو غيرها في ساعات العمل أما ساعات الفراغ فهي موقوفة على أعمال الإنسان الصحيحة وهي التزود من العلم وممارسة التفكير العلمي أو الفلسفي وتذوق الفنون والآداب أو نتاجها ثم التعبد والقيام بالواجبات الدينية والخدمات الاجتماعية في صورة من صورها المتعددة .

الواجبات الإنسانية

أساس الواجبات ـ الواجبات الفردية ـ حفظ الحياة ـ حفظ الصحة ـ واجب الاعتدال ـ ١ ـ مذهب التقشف ـ ٢ ـ مذهب اللذة ـ واجباتنا نحو الحياة العقلية والروحية ـ واجبنا نحو حياة التجارب الجمالية ـ واجباتنا الدينية ـ الواجبات الفردية بوجه عام ـ الواجبات الاجتماعية ـ أساس الواجبات الاجتماعية ـ حق الحياة ـ حق حرية الفكر والعمل ـ حق حرية العمل ـ الإحسان ـ الصلة بين العدل والإحسان . ـ

يفرق علماء الأخلاق بين نوعين من الواجبات ، الواجبات الخاصة بالفرد والواجبات الخاصة بالمجتمع . وبتعبير آخر يفرقون بين واجب المرء نحو نفسه وواجبه نحو أخيه الإنسان .

وسنبدأ أولاً بدراسة واجباتنا نحو أنفسنا ولكن يجب قبل أن نأخذ في دراسة الواجبات دراسة تفصيلية أن نحدد المبدأ الذي سنتخذه أساساً لما نقرره من واجبات .

أساس الواجبات :

يتضح من الدراسة السالفة أن علماء الأخلاق قد اختلفوا في تحديد الأساس النظري للأخلاق الإنسانية فذهبت طائفة إلى أن القضايا التي تقرر الواجبات من نوع البديهيات التي لا تحتاج إلى دليل وأن العقل يدرك صحتها إدراكاً مباشراً وهؤلاء هم أصحاب مذهب البصيرة أو الإدراك المباشر (الحدس) وهو مذهب شكلي معروف أما الغائيون

الذين يقررون أن أساس الواجبات هو آثارها والغايات التي تفضي إليها فيذهبون إلى أن هذه الآثار هي سبب الوجوب وعلته . وذلك أن بعض الآثار حسن لذاته وخير في نفسه وهذا الخير الأعلى هو مصدر وجوب الأفعال ولكنهم بعد اتفاقهم على أن الخير الأعلى يجب أن يطلب في آثار الأفعال ونتائج السلوك يختلفون في تحديده فيرى بعضهم أن الخير هو اللذة وأن الفعل الواجب أو الصواب هو الذي ينتج أكبر مقدار من اللذة للفرد أو للمجموع ويرى سواهم أن الأفعال الواجبة هي التي تحقق الكمال المثالي وأن الكمال المثالي هو خير الإنسان والهدف الصحيح لحياته وجهوده وفي ضوء هذه الفكرة يحددون الواجبات الإنسانية .

وهذه المذاهب المتعددة إذا وضعت موضع النقد ظهر فيها من مواطن الضعف ما قد يوهن من قوتها وينال من صحتها .

وليس من العسير في شيء أن نقول انه من الصعب التسليم بأن الواجبات بديهيات لا سبيل إلى ردها أو الشك في صحتها .

فالواجبات الإنسانية تختلف من أمة لأمة ومن عصر لعصر أما البديهيات فلا خلاف بين الناس فيها . ومن الواضح أيضاً أن القول بأن اللذة هي الخير الأعلى الوحيد حكم لا يطابق الشعور الأخلاقي العام في عصور التاريخ المختلفة .

ولعل أقرب هذه المذاهب إلى الصواب هو مذهب الكمال المثالي أو تحقيق الذات فالنظرة السليمة والعقل السوي لا يجد صعوبة في التسليم بأن تحقيق خصائص الإنسانية هو خير الإنسان الأعلى وأن هدف الحياة الإنسانية لا يمكن أن يكون مجرد طلب اللذة ولكن أن يجعل المرء من نفسه إنساناً متمتعاً بكل مزايا الإنسانية في أعدل صورها وأكملها .

ولن يتأتى له هذا إلا إذا عاش عيشة إنسانية كاملة وحقق جميع القيم الإنسانية فلا سبيل إلى تحقيق الذات إلا بالإهتمام الصادق بتحقيق القيم

الجسمية والاجتماعية والعقلية والروحية والقيام بالأعمال الضرورية لذلك ومن أجل هذا صارت هذه الأعمال واجبات .

الواجبات الفردية :

المبدأ العام هو ألا نعمل ما يضر الطبيعة البشرية وأن نعمل بقدر طاقتنا لابلاغها كمالها وإذن تكون واجباتنا الفردية سلبية وإيجابية وسنحاول بيانها فيما يلي :

حفظ الحياة : أول واجباتنا نحو أنفسنا هو حفظ الحياة والناس في أكثر الأحوال يحافظون على حياتهم من تلقاء أنفسهم فحفظ الحياة في الغالب مسألة غريزة ومع ذلك ففكرة الواجب لها مكانها وأثرها في بعض الأحوال فقد تصبح الحياة مريرة إلى درجة لا تحتمل فيفكر المرء في الخلاص منها ووضع حد لآلامها وهنا تقف فكرة الواجب في كثير من الأحوال حائلاً بين المرء وبين الانتحار .

ومهما يكن من أمر الباعث على حفظ الحياة فالحقيقة الأخلاقية الهامة هنا هي أن حفظ الحياة واجب وأساس هذا الواجب هو الأساس العام للواجبات الإنسانية فهو عند الغائيين ينتج من أن حياتنا شرط ضروري لتحقيق الغاية الخلقية العليا للسلوك فأنصار مبدأ اللذة من الفلاسفة يقررون واجب الاحتفاظ بالحياة لأن الغاية هي اللذة والحياة شرط لتحقيق هذه الغاية ولكن القدامى منهم كانوا يرون أنه إذا أفلتت السعادة بصورة لا تدع موضعاً للأمل في عودتها فإن الموقف يتغير . ذلك لأن الحياة إذ ذاك تفقد قيمتها كوسيلة للذة . وفي هذه الحالة لا يمكن أن يبقى الاحتفاظ بالحياة واجباً بل يكون الانتحار هو الحل الوحيد المعقول . ومن أجل هذا نصح به الرواقيون والأبيقوريون في مثل هذه الأحوال .

ولكن الحياة لها غاية أخرى غير السعادة الفردية في هذه الحياة وهدف أعلى من السعي وراء اللذات الخاصة ، فهناك ترقي الإنسانية وبلوغها كمالها الخاص فهذا هو الخير الأعلى الذي يفرض نفسه على ضمائرنا وعقولنا ومن واجبنا أن نحقق هذا الخير في أنفسنا وفي غيرنا ، ومن واجبنا أن نجعل أنفسنا أوفر نصيباً من الكمال وأن نحقق المجتمع العادل الذي يستطيع كل فرد فيه أن يصل إلى كماله ولا سبيل إلى هذا بغير الاحتفاظ بالحياة فالاحتفاظ بها واجب والانتحار حتى في أسوأ الظروف ضرب من الفرار من المثل الأعلى الذي يجب تحقيقه .

واجب حفظ الصحة :

هذا ويتناول واجب حفظ الحياة واجب العناية بالصحة فالأمراض تضعف قوانا وتشل إرادتنا وتمنعنا من تحقيق الغايات العليا للحياة ومن أجل هذا كان من الواجب مراعاة قواعد علم الصحة ما يتصل منها بالنظافة والتحرز من الأمراض ولا بد أيضاً من ممارسة الرياضة البدنية بصورة منظمة ومناسبة للسن . وهو واجب مهمل في الحياة المصرية بصورة غير مرضية .

واجب الاعتدال :

ليست الحياة هي واجب المرء الوحيد فعلية أن يحيا حياة إنسانية حقيقية . عليه أن يكون إنساناً بأدق معاني الكلمة . ولن يتأتى له هذا إلا إذا سلك في حياته الجسمية مسلكاً رشيداً وأدى الواجب الذي يفرضه عليه العقل في ممارسة هذه الحياة وأول واجبات المرء في حياته الجسمية هو أن يحرر نفسه من سيطرة الغرائز .

١ ـ مذهب التقشف :

وقد أحست المجتمعات الأولية نفسها بهذا الواجب ، واجب النضال ضد الجبر الجسمي وطغيان الغريزة ولهذا كانت الأخلاق عندهم مطبوعة

بطابع التقشف وقد احتفظ أكثر المذاهب الأخلاقية والدينية بشيء من هذا التحدي للحياة الطبيعية فلكل الديانات متقشفوها وزهادها الذين حقروا الجسم وضنوا عليه حتى بالعناية الأولية والفكرة الأساسية التي يقوم عليها هذا النظام الأخلاقي القاسي هي أن إضعاف الجسم ضروري لخلاص الروح وسعادتها .

وليس هذا مقصوراً على الديانات فلقد ذهب كثير من الفلاسفة إلى أن الجسم سجن الروح وأنه بطبيعته عقبة في سبيل الحياة الخلقية والفكرية وكثيراً ما يلوح من ثنايا كلامهم أن اللذة شر في ذاتها .

٢ ـ مذهب اللذة :

ويناقض هذه النزعة عدد كبير من الفلاسفة وكثيراً ما يكون هذا رد فعل ضدها وهذا الفريق يميل إلى الافراط في تبرير الحياة الجسمية . وهؤلاء هم أصحاب مبدأ اللذة ، فمذهب اللذة كما سبقت الاشارة إليه أكثر من مرة يقرر أن اللذة هي الغاية الوحيدة للحياة . وهو عند أرستيب وأمثاله لا يُفـرِّق بين اللذة الرفيعة والوضيعة ، فهو مذهب يستنكر التقشف ويدعو إلى المبادرة إلى إرضاء الغرائز والحصول على اللذات والامعان في هذا السبيل .

ويجدر بنا هنا أن نلقي نظرة تحليلية وتقديرية على مذهب التقشف واللذة قبل أن نشرع في تحديد واجبنا الصحيح إزاء الحياة الجسمية .

وأول ما يجب أن نقرره هنا هو أنه ليس هناك من الأسباب ما يقتضي اعتبار الجسم في ذاته مبدأً للقذارة والفساد كما أنه لا يوجد من الأسباب ما يحملنا على أن ننظر إلى اللذة من الناحية الخلقية نظرة إتهام وسوء ظن . ولا بد من الاعتراف بأن حياة الشظف والحرمان التي يفرضها مذهب التقشف قد تقف في سبيل الرقي العقلي والروحي الذي يحقق الكمال الإنساني بسبب ما ينشأ عنها من ضعف وكبت .

ونحن الآن نرى الضمير الحديث يسير في هذا الشأن على أساس جديد . أساس احترام الحياة الجسمية والاهتمام بها . وأهم مظاهر هذه النزعة الجديدة ما نشاهده من عناية بالطعام والشراب والمساكن وقوانين الصحة والرياضة البدنية وأسباب اللهو والسرور .

ولكن يجب أن نتذكر إنه إذا كان من السخف أن نكبت وظيفة طبيعية كائنة ما كانت على أساس انها غير ظاهرة في ذاتها فمن الغفلة أيضاً أن نتعامى عن حقيقة أخرى هامة ، وهي أن فينا بعض غرائز عنيفة وقاهرة بطبعها وإنه إذا أُرخي لها العنان أضعفت نمو النزعات الرفيعة وحدت أو منعت اتجاهنا الطبيعي إلى تحقيق القيم العقلية والروحية وممارسة الحياة الإنسانية العليا وبهذا يضيق نطاق الحياة الإنسانية وتخلو من أهم عناصرها .

أضف إلى هذا ان الإندفاع وراء الشهوات من أجل المزيد من اللذات له نتيجة عكسية . فإنه يؤدي في النهاية إلى تناقص اللذة وحياة الملل والسأمة المضنية .

مذهب اللذة إذن يمكن أن يصحح التطرف الذي وقع فيه مذهب التقشف ولكنه لا يصلح أساساً لتنظيم الحياة الجسمية فهو ينزع بنا إلى التطرف في إرضاء الغرائز للحصول على اللذات التي تنجم عن ذلك . فيفسد الحياة الطبيعية ويضر الحياة الإنسانية العليا .

فإذا انتقلنا إلى مذهب الكمال وجدنا انه لا يدعو إلى محو الحياة الطبيعية أو كبتها ولكنه يطالبنا بأن نضع الحياة العقلية والروحية فوق الحياة الجسمية ويذهب إلى أن ضبط النفس والسيطرة على الغرائز الجسمية شرط ضروري لاطراد التطور والرقي العقلي والروحي الذي يرتفع به الإنسان فوق مرتبة الحيوان . وهذا الضبط ممكن إلى حد كبير .

وبالإجمال فالذي يطلبه أنصار مذهب الكمال ليس كبت الطبيعة البشرية فما أكثر الذين سقطوا من أفق العالم المثالي الرفيع إلى أرض الحياة المادية بسبب هذه المحاولة . والمرء ليس ملكاً ومن أراد أن يخلق الملك خلق الدابة . الذي يطلبه القوم نوع من النظام الدقيق للحياة الجسمية قد يكون شاقاً في بعض الأحيان ولكنه الوسيلة الطبيعية التي بها تنسجم الحياة الطبيعية مع الحياة الفكرية والروحية وترفعها بدلاً من أن تكون عقبة في طريقها .

وخلاصة القول ان الوضع الصحيح للحياة الجسمية ليس كبت الغرائز الجسمية ولا الإفراط في إرضائها ولكنه الاعتدال الذي يحول دون الأضرار الناشئة من حرمان التقشف والإفراط الناشيء من الإيمان باللذة . فإن هذا التوسط يضع الحياة الطبيعية في موضعها من إطار الحياة الإنسانية فيجعلها عوناً على تحقيق الحياة الإنسانية العالية بدلاً من أن تكون عائقا يحول دون الوصول إليها .

واجباتنا نحو الحياة العقلية والروحية :

آن لنا بعد النظر في واجباتنا الجسمية أن ننظر في الواجبات المتصلة بالحياة الإنسانية العليا ، الواجبات المتصلة بالعقل والروح .

وقد تبين مما سبق إن العقل يقوم بوظائف متعددة لا وظيفة واحدة فهو يفكر ويتذوق ويتعبد ومن ثم تعددت الواجبات الإنسانية إزاء الحياة العقلية والروحية .

وأول ما نود أن نعرض له من هذه الواجبات هو واجبنا نحو الحياة الفكرية .

ومن البين أن واجبنا الأول هو إنماء الفكر وترقيته بحيث يستطيع أن يصل إلى الحقائق العلمية والفلسفية دون التورط في الخطأ أو إضاعة الوقت والجهد . وتضع التربية أساس هذه العملية ولكن يجب ألا تخلو

حياتنا في وقت من الأوقات من الثقافة الفكرية فإهمال التفكير العلمي والفلسفي يؤدي إلى انكماش قوة التفكير وهبوط مستوى الفرد الثقافي ونقص حظه من معنى الإنسانية .

ولكن التفكير وحده لا يكفي فمن واجبنا أيضاً أن نحصل العلوم والمعارف وهي نوعان : علوم ومعارف عامة تعيننا على فهم الكون ومعرفة حقائق الحياة وأخرى خاصة تتصل بمهنة من المهن التي يتخصص الناس فيها .

ونستطيع أن نقول ان من واجبنا أن نجمع بين هذين النوعين من المعرفة فيجب أن نستنير بالنسبة لكل شيء فنعرف مبادىء العلوم والآداب والفلسفة والفن وأصول علم الاجتماع ويجب أيضاً أن نتخصص في مهنة من المهن وندرس العلوم المتصلة بها دراسة وافية . وبهذا نجمع بين الثقافة العامة والتعليم المهني . ومهمة التربية في الوقت الحاضر هي النظر في التوفيق بينهما . ويمكن أن يقال بوجه الإجمال ان مرحلة التعليم الثانوي هي مرحلة الثقافة العامة التي تهتم بتكوين الفرد وتزويده بالمعلومات العامة الضرورية لفهم الكون والحياة . أما التعليم المهني فمكانه التعليم الجامعي والمدارس الفنية المتوسطة .

واجبنا نحو حياة التجارب الجمالية :

نحن نتأمل الجمال الطبيعي والفني ونرتاح إليه ونعد التجارب الجمالية عنصراً أساسياً من عناصر الحياة الإنسانية العليا .

وواجبنا إزاء الحياة الفنية هو أن نجعلها جزءاً من حياتنا العادية وأن نسير بعملية التذوق والانتاج الجمالي في طريق التقدم والرقي فإن هذا يعاون على تحقيق الذات الإنسانية العليا .

وربما كان أكبر خطأ في الحياة المصرية هو العجز عن التذوق

المستنير للآثار الفنية من صور وأفلام وقصص ومسرحيات . وقد أدى هذا بطبيعة الحال إلى العجز عن التمييز بين أنواع الفنون والآداب كما أدى أيضاً إلى العجز المطلق عن التقدير المستنير للآثار الفنية والأدبية وتحديد طبقاتها ومنزلتها في عالم الجمال .

وقد أدى هذا النقص العام في ثقافتنا الجمالية إلى أضرار فادحة . فقد أتجه المصورون والفنانون وكتاب القصص إلى إثارة الغريزة الجنسية من قرب أو بعد وحملوا الجماهير على أن يظنوا أن هذا هو الفن الصحيح . وفي غمرة هذه الفوضى نسي الجمال الكلاسيكي كما نسي الرائع من المناظر الطبيعية والمواقف الإنسانية وغير ذلك من ضروب التجارب الفنية النبيلة .

وأهم الأسباب أن المدرسة المصرية لم تأخذ على عاتقها إلى اليوم تدريب الناشئين على التذوق المستنير للفنون والآداب ولم تحاول أن تعطيهم فكرة عن معنى الجمال وطبقاته .

ومهما يكن من أمر فلا بد للفرد أن يستنير في معنى الجمال وأنواع التجارب الجمالية وطبقاته وأن تستعين بهذه الثقافة على توجيه حياته الجمالية وتذوقه للفنون والآداب .

واجباتنا الدينية :

تمتاز نظرية الكمال الحديثة بأنها أوسع أفقاً وأرحب صدراً مما سبقها من النظريات فهي لا تجاري أرسطو في أن خير الإنسان هو كمال التفكير وحده ولكنها تعد التذوق والتعبد من الأعمال العقلية والروحية وخواص الذات الإنسانية وتضمهما إلى قائمة الواجبات الإنسانية العليا . وهي كذلك تستنكر ما يذهب إليه المتقشفون من كبت الغرائز الجسمية وتصر على أن الكمال لا يتم إلا بإرضائها ولكن موقفها من الواجبات الدينية هو الأساس الفلسفي الذي تستند إليه في ذلك .

نظرية الكمال الحديثة تعترف بأن فينا دوافع نفسية تدفعنا إلى الحياة الدينية وإنه من الواجب إرضاء هذه الدوافع وتعترف أيضاً بصحة القيم الدينية فترى فلسفة الدين والمباحث السيكلوجية الحديثة أنه من الممكن أن يقع اتصال بين العبد والرب وأن هذا الاتصال مصدر سعادة نفسية لكل من يصل إليه وإنه يمدنا بالقوة والبصيرة التي تعيننا على مواجهة مشاكل الحياة .

والنتيجة المنطقية لهذا الموقف واضحة ، فلا بد من إرضاء النزعات الدينية التي تنزع إلى العبادة والاتصال بالله والترقي بها . ولا بد من الأعتراف بالقيم الدينية وجعلها هدفاً لحياتنا الروحية .

نظرية الكمال الحديثة إذن تعترف بواجب العبادة والهدف الديني الذي يرمي إليه وترى كل ذلك ضرورياً لتحقيق الذات .

الواجبات الفردية بوجه عام :

نستطيع أن نجمع الأخلاق الفردية في كلمة واحدة وهي (كن إنساناً) ولن يستطيع المرء أن يجعل من نفسه إنساناً إذا وقع تحت سلطان الغرائز الجسمية واستولى عليه حب اللذات فإنه إذ ذاك يسير في طريقه إلى الحيوانية لا الإنسانية ولكن لا بد له من إرضاء دوافعه الحيوانية وتحقيق القيم الجسمية التي تدفع إليها وإلا نزل به الضعف وقعد به العجز عن الوصول إلى المستوى الإنساني الرفيع .

فإذا تسنى له أن يسيطر على غرائزه الحيوانية وسلك سبيل الاعتدال في إرضائها فعليه أن يعيش كإنسان يفكر ويتذوق ويعبد ويخدم المجتمع الذي ينتسب إليه .

ولا شك أن تحقيق هذا المثل الأعلى يحتاج إلى مجهود شاق ولا سبيل إلى الاحتفاظ به إلا ببذل الجهد المتواصل في إنزال الحياة الجسمية والاقتصادية منزلتها ورفع الحياة العقلية والروحية إلى مكانها

الرفيع في حياتنا اليومية .

الواجبات الاجتماعية :

مهمة الأخلاق الاجتماعية تحديد واجباتنا نحو غيرنا ويمكن أن ننظر إليها من جهتين :

١ ـ فمن الجهة العامة تكون المهمة تحديد واجباتنا نحو أمثالنا من الناس كائناً من كانوا .

٢ ـ ومن الجهة الخاصة يضيق النطاق وتصبح المهمة تحديد واجباتنا نحو من يشترك معنا في عضوية جماعة خاصة كالأسرة مثلاً .

وسنبدأ بدراسة الواجبات الاجتماعية العامة فنحدد واجباتنا نحو الإنسان بصورة عامة .

هذا وتختلف الأخلاق الاجتماعية فيما بينها من ناحية طبيعتها ودرجة قوة الإلزام فيها . فهناك واجبات العدل وهي الواجبات التي تطلب منا الامتناع عن الحاق الضرر بالغير أما واجبات الإحسان فهي التي تطلب عمل الخير للغير .

أساس الواجبات الاجتماعية :

ولا بد لنا قبل دراسة الواجبات الاجتماعية دراسة تفصيلية أن نحدد أساسها النظري وهي مهمة قد أصبحت الآن سهلة هينة . فقد قررنا فيما سبق أن الغائيين يرون أن أساس الأخلاق العام هو الغاية العليا أو الخير الإنساني . وقد اتضح لنا فيما سبق أن الخير الإنساني يملي علينا واجبات فردية خاصة . وهو كذلك يملي علينا الواجبات الاجتماعية بجميع أنواعها . ولكن صلة الخير الأعلى بالواجبات الاجتماعية تختلف بعض الاختلاف عن صلته بالأخلاق الخاصة فهو يفرض علينا الواجبات الخاصة مباشرة أما الواجبات الاجتماعية فتترتب على ثبوت الحقوق الإنسانية ويكفي أن يتذكر الإنسان أن واجبات العدل ليست إلا احترام

حقوق الإنسان ليبدو له الفرق واضحاً ويدرك أن أساس الأخلاق الاجتماعية المباشر هو نظرية الحقوق وإنه من الضروري لمن يدرس الأخلاق الاجتماعية أن يستعرض الحقوق الإنسانية ، يتعرف أسسها ومدى كل واحد منها .

والغائيون إجمالاً يرون أن الخير الأعلى أساس الحقوق الإنسانية على اختلاف أنواعها . فإنه إذا كانت مهمتنا وواجبنا في هذه الحياة تحقيق الخير الإنساني كان من الطبيعي أن يكون لنا الحق في كل الشروط والظروف الضرورية لتحقيقه . والعقل والتجربة يدلان على أن الحقوق شروط ضرورية لتحقيق الهدف الأعلى للحياة الإنسانية . فبدون حق الحياة وحرية الفكر والعمل وغيرها من الحقوق يصبح من المستحيل على الفرد أن يتفرغ لتحقيق الخير الإنساني الأعلى .

والتجربة هنا تؤيد النظر . ولعل أهم التجارب الإنسانية هنا هي حالة الرقيق في العصور المتوسطة فإن تجريد هؤلاء التعساء من حقوقهم جعلهم أداة طيعة في أيدي طبقة الأشراف وحال بينهم وبين التفرغ للعناية بأجسامهم وعقولهم وتحقيق ذواتهم . وجعل تحقيق الهدف الأخلاقي الأعلى عسيراً أو مستحيلاً .

الحقوق الإنسانية إذاً ضرورة لإمكان تحقيق الهدف الأعلى للحياة الإنسانية . وقد كان هذا الشعور أساس الثورات التحريرية التي قامت لاسترداد الحقوق المسلوبة .

فكرة الحقوق إذا تقوم على أساس الخير الأعلى ولكنها أيضاً تملي فكرة الواجبات الاجتماعية . فإذا صح أن للإنسان الحق في الحياة والحرية كان من واجب الناس أن يحترموا حقه في الحياة وفي الحرية . وإجمال القول ان الحقوق أساس الواجبات وأن هناك واجباً اجتماعياً إزاء كل حق إنساني .

أنواع الواجبات الاجتماعية :

يمكننا بعد هذه المقدمة أن ندرك أن هناك أنواعاً من الواجبات الاجتماعية بعدد أنواع الحقوق . وسنعرض الحقوق والواجبات المقابلة لها في حدود مهمتنا الخاصة .

حق الحياة :

وأول الحقوق التي تملكها الشخصية الإنسانية حق الحياة وهذا الحق يفرض علينا واجب احترام حياة الغير .

ولكن هناك حالات تخول لنا الأخلاق فيها ألا نحترم حياة الغير وذلك كحالة الدفاع المشروع .

ويتصل بحق الحياة الحق في وسائل الحياة لأنه لا فائدة في حق الحياة إذا لم يجد المرء وسائل الحياة .

ويبدو لنا هذا الحق أول ما يبدو في صورة حق العمل . فكل رجل صحيح الجسم يجب أن يجد عملاً وأن يحصل من هذا العمل على ما يؤمن له حياة مرضية .

ومبدأ حق العمل قد نادت به ثورة سنة ١٨٤٨ في فرنسا فأقيمت في الحال مصانع لتأمين العمل للمتعطلين ولكن هذه المحاولة لم تنجح لأن المصانع أديرت إدارة سيئة . ولكن هذا لا يعني أننا يجب أن ننبذ مبدأ حق العمل .

ومهما يكن من أمر فعلى المجتمع أن يعترف بمسؤوليته إزاء المتعطلين عليه أن يجد لهم عملاً أو يدفع لهم معونة تمكنهم هم وأسرهم من الحياة فهذا واجب اجتماعي لا يصح التخلي عنه . وقد قطعت الأمم الأوروبية والأميركية شوطاً واسعاً في هذا المضمار وبقي أن يدرك المجتمع المصري أهمية هذا الواجب الاجتماعي الخطير ويعمل على القيام به بصورة فعالة .

وهناك أنواع أخرى من العوز تهدد حق الحياة تهديداً واضحاً . هناك أولئك الذين لا يستطيعون العمل بسبب الضعف والمرض كالشيوخ والمرضى والأطفال فإذا كان هؤلاء لا يملكون وسائل الحياة فعلى عاتق المجتمع يقع واجب العناية بهم بأن يقوم إزاءهم بواجب المعونة .

وبالإجمال فحق الحياة يلقي على عاتق كل فرد واجب احترام حياة الآخرين كما يلقي على عاتق الدولة واجب توفير العمل للعاطلين وتقديم المعونة للعاجزين .

ويتصل بحق الحياة حق الصحة وهذا يفرض علينا واجب الاحترام لصحة غيرنا ويضع على كاهل المجتمع واجب السهر على الصحة العامة واتخاذ الوسائل الضرورية لحمايتها .

وحق احترام صحة الغير يلزمنا بالعناية بصحتنا الخاصة حتى لا يتسرب المرض إلى سوانا ويحتم علينا إذا أصبنا بمرض معد أن نأخذ الاحتياطات الضرورية لمنع انتقال العدوى عن طريق الملامسة أو الوراثة .

حق حرية الفكر والعمل :

حق الحرية يشمل حرية التفكير وحرية العمل :

. وحرية التفكير عبارة غير دقيقة فلا يستطيع أحد أن يسلبنا حرية التفكير الداخلي الذي لم يصل بعد إلى حد التعبير . حرية التفكير إذا يجب أن تعني حرية التعبير عن الفكر ونشره بالقول أو الكتابة أو العمل فقد كانت هذه الحرية محرمة على الأفراد قروناً متطاولة وكان المجتمع يعتقد أن له الحق في أن يفرض على أعضائه عقائد دينية وسياسية وفلسفية خاصة بل قد فرض أحياناً عقائد علمية معينة . وكانت السلطة السياسية تعاقب من يخالف هذه العقائد وكثيراً ما كان هذا بتحريض السلطة الدينية .

ولكن الحق في حرية التفكير لم يلبث أن ظهرت طلائعه ثم توطدت دعائمه فقد بدأ الناس بالتسامح إزاءه بالنسبة للآراء المخالفة للعقائد القديمة والإغضاء عمن يخالف الآراء التي تؤمن بها أكثرية المجتمع حتى انتهى الأمر باعلان الحرية الفكرية كحق إنساني مصون في ثورة ١٧٨٩ في فرنسا ولحق حرية التفكير من الناحية العملية حدود يجب أن يقف عندها. فيجب أن نكون واقعيين وأن نعترف بأنه ليس لأكثر الناس في المجتمع الحاضر عقول قد وصلت في تكوينها إلى درجة تستطيع معها أن تدرك الحقيقة في كل مسألة. ومن ثم كان من الخطر أن يتركوا عرضة لكل الأفكار دون حد أو تمييز .

ومن الصعب تجديد الرأي الخطر الذي تجب حماية المجتمع منه ومع ذلك فمن الممكن أن نقول أن الرأي الخطر هو الرأي الموجه ضد النظم الاجتماعية الضرورية لسلامة المجتمع نفسه لا ضد وضع سياسي خاص . . ومن أمثلة ذلك الدعوة إلى الفوضى أو رفض الجندية .

أما الواجب المقابل لحق حريتنا الفكرية فهو واضح فمن واجبنا أن نحترم آراء الغير وألا نحاول منعه من نشرها أو التعبير عنها . وهو واجب يشترك فيه الفرد والمجتمع معاً .

حق حرية العمل :

وإلى جانب حرية الفكر تأتي حرية العمل . وهي استطاعة الكائن المفكر أن يفعل ما يشاء بشرط ألا يلحق ضرراً بحقوق أمثاله من البشر .

وهذا الحق يتضمن حرية العمل فللفرد أن يعمل أو لا يعمل كما يتضمن حرية اختيار نوع المهنة .

وقد أسيء فهم هذا الحق في ظروف كثيرة فأدى ذلك إلى أضرار اجتماعية كبيرة . فقد خيل لكثير من الناس انه بمجرد انقضاء عهود الاستعباد وتحرير رقيق الأرض قد أصبح الفرد يتمتع بحق حرية العمل

تمتعاً كاملاً . ولكن هذا لا يمثل الواقع .

صحيح أنه من الممكن أن يعتبر العامل من الناحية النظرية مرتبطاً بعقد حر يبادل بمقتضاه عمله بالأجر الذي يتقاضاه ولكن الواقع أن هذه الحرية كثيراً ما تكون ظاهرية . فالعامل الذي لا يملك قوت يومه يضطر بسبب حاجته وحاجة أسرته إلى قبول شروط مجحفة . ومثل هذا التعاقد لا يمكن أن يوصف بأنه تعاقد حر بكامل معنى الكلمة .

وليس من الممكن أن ندعي ان كل فرد في المجتمع الحاضر يختار مهنته بحرية لأن بعض الأعمال موصدة الأبواب في وجوه بعض الناس .

ويجب أن يضم إلى حق حرية العمل حق الإضراب وهو الاستطاعة التي يعترف بها القانون لكل عامل في أية مهنة أن ينقطع عن العمل مؤقتاً .

الإحسان :

العدل هو احترام الحقوق أما الإحسان فأساسه حب الإنسان ويتكون من حب الخير وعمل الخير . وحب الخير هو إرادة الخير للناس والفرح لسعادتهم والحزن لآلامهم أما عمل الخير فيتكون من عمل كل ما يستطيعه الإنسان لخير الناس ، لسعادتهم وكمالهم .

ويقابل كل واجب من واجبات العدل واجب من واجبات الإحسان فالعدل يأمر بعدم الاعتداء على الناس في ميادين مختلفة أما الإحسان فيأمر بفعل الخير في تلك الميادين نفسها .

فيقابل واجب احترام حياة الغير الذي هو من واجبات العدل واجب من واجبات الإحسان وهو السهر على حفظ حياة الغير .

وهذا الواجب يأخذ صوراً متعددة ، من العناية بالمرضى إلى أعمال الانقاذ التي تتجلى فيها البطولة فيخاطر المرء بحياته أو يضحي بها لانقاذ حياة غيره .

ويقابل واجب احترام صحة الغير الذي هو أحد واجبات العدل واجب العمل على تحسين صحة أمثالنا من البشر .

ويقابل واجب احترام حرية التفكير واجب العمل على تشجيع الحرية الفكرية ويقابل واجب احترام حرية العمل واجب تشجيع هذه الحرية .

الصلة بين العدل والإحسان :

رأينا أن الإحسان من بعض النواحي يقابل العدل كما يقابل الواجب الإيجابي الواجب السلبي .

ولكن هناك رابطة أوثق وهي أن هناك واجبات كانت تعد قديماً من واجبات الإحسان فصارت الآن من واجبات العدل كواجب تعويض صاحب العمل للعامل الذي أصيب بحادثة في أثناء العمل .

وقد اعتمد بعض الفلاسفة على ما يحدث من تحول الإحسان تدريجياً إلى عدل فرد الإحسان إلى العدل وهؤلاء الفلاسفة يجعلون من الإحسان عدلاً تعويضياً . ومهمة الإحسان عندهم التعويض عن الأمور الظالمة التي يحدثها المجتمع أو الطبيعة فيصيب التعساء من الناس .

ومهما يكن من شيء فقد كانت فكرة الإحسان بمعناه العام أساس الخدمات الاجتماعية المختلفة فبنيت المستشفيات والملاجيء ودور التعليم استجابة لعاطفة الإحسان ولا زالت هذه العاطفة تدفع أصحاب القلوب الكبيرة إلى التفكير في الفقراء وتقديم كل ضروب المعونة لهم ، ولكن النزعة الحديثة قد أعطت الموقف صورة جديدة فقد ألقى واجب المعونة على المجتمع نفسه وتولت الدولة بدلاً من الأفراد تقديم المعونة والعناية بالصحة والتربية واصطنعت الدولة لأداء هذا الواجب الإنساني أحدث الوسائل العلمية .

ولكن يجب أن تدخل هذه الفكرة المدارس على اختلاف طبقاتها

لتعد الأجيال المقبلة لفهم هذا المبدأ والإيمان به والعمل على تحقيقه ومعاونة الدولة على النهوض به .

الفصل الثاني

مشكلة الشخصية وتكاملها

مقدمة

السلوك النفسي والسلوك الجسمي ـ السلوك الفطري والسلوك المكتسب ـ اختلاف شخصيات الأفراد .

السلوك الجسمي والسلوك العقلي :

وقفت فيما سبق على الصلة بين علم النفس والفلسفة ، وعلمت أن علم النفس يدرس سلوك الإنسان كمظهر لحياته النفسية ، وتتجلى هذه الحياة في شعورنا بما يجري حولنا ، وبما يدور في داخلنا من احساسات وخواطر ، وعندما نمضي في القراءة والاطلاع لنروي ظمأنا للعلم ، ونشبع فضولنا للمعرفة ، أو عندما نغضب ونتشاجر ، أو نخاف ونهرب ، أو نحب ونكره ، كما تتجلى عندما نستعيد من ذهننا صور المحسوسات بعد زوالها ، أو عندما نستذكر الدروس ونسترجع ما حفظناه منها لنجيب على أسئلة الامتحان ، أو عندما نحلم ونتخيل ، ونخترع ونفكر ، ونأتي بمبتكرات فنية طريفة ، أو بحلول مختلفة لما يعترضنا في الحياة اليومية من مصاعب ، أو لما يثيره فكرنا في نواحي الوجود من مشاكل .

ذلك وكثير غيره مما سيرد ذكره ضروب مختلفة للسلوك النفسي ، وهو يختلف في مجموعه كما ترى عن السلوك الجسمي الذي تدرسه علوم الحياة ووظائف الأعضاء والطب ، والذي يبدو في عمليات البناء

والهدم ، وفي نشاط الأعضاء والأجهزة المختلفة وما تتعرض له من صحة ومرض .

على ان ذلك لا يعني ان السلوك النفسي يتميز تماماً وينفصل عن السلوك الجسمي ، إذ الواقع ان التفاعل بينهما قوي إلى حد بعيد ، وحسبك أن تعلم أن إدخال السرور والأمل على نفس المريض بالقلب يرفع من « روحه المعنوية » ويرجىء المضاعفات ، وربما جعل الشفاء يسيراً ، وأن انفعال الغضب الشديد يؤدي أحياناً إلى انفجار شريان بالمخ وحدوث شلل لبعض الأعضاء ، هذا بينما تؤثر حالات الجسم المختلفة على عقل الإنسان ومزاجه ، كما تلاحظ في المرضى الذين يسهل اقناعهم بما نعجز عنه وهم في صحة وعافية ، وفي المعودين وما يغلب عليهم أحياناً من انقباض وتشاؤم .

ولا شك أن ذلك التفاعل القوي بين السلوكين يلقي كثيراً من الضوء على طبيعتي النفس والجسم ، ويثير في نفس الوقت بعض المشاكل الفلسفية .

السلوك الفطري والسلوك المكتسب :

ونستطيع أن نميز في السلوك ناحيتين ، ناحية فطرية نرثها ونؤديها باتقان دون تعلم ، كظاهرتي الرضاعة والأمومة وغيرهما من أساليب السلوك البسيطة والمعقدة التي سيأتي الكلام عنها فيما بعد ، وناحية مكتسبة نمتصها بالتدريج من البيئة ، كالنظافة والنظام والصدق ، وشتى أنواع السلوك الذي تتلقاه في المنزل والمدرسة والمجتمع .

وعسير جداً وضع حد فاصل دقيق بين ناحيتي الفطرة والاكتساب في

حياة الإنسان ، والغالب أن تكون الفطرة مجرد استعداد يشترك فيه الأفراد مع اختلاف في الدرجة كثير أو قليل ، ثم تأتي البيئة بما فيها من حياة اجتماعية فتقوي من ذلك الاستعداد أو تضعفه ، وتسمح له بالظهور على ذلك النحو أو ذاك ، بل وتضيف إليه استعدادات أخرى وميولاً كثيرة ، فالناس مثلاً مستعدون بالفطرة[1] لأن يخافوا ويهربوا من كل ما يجدون فيه خطراً على حياتهم ، ولكن البيئة عدلت من ذلك السلوك وهذبته في الأفراد ونوعت من مثيراته وأساليب إشباعه، حتى أصبح أسلوب الخوف والهرب لدى الناس متبايناً حسب ظروفهم ومستوياتهم ، وأصبحت لدى البعض ميول أو عواطف مكتسبة تدور حول الخير والحق والعدل والواجب ، وتحملهم على الخوف والنفور والهرب من كل ما لا يتفق وهذه المعاني التي يحبونها ويغارون عليها . . .

هذا وتساعدنا دراسة الحشرات كالنمل والنحل ، والحيوان الراقي كالقط والكلب والقرد ، ودراسة الطفل والإنسان غير المتمدن وفاقدي العقل من المرضى ، على تعرف حدود السلوك الفطري وتبين طبيعته الخالصة ، ذلك أن العقل والحياة الاجتماعية لدى الإنسان يلعبان دوراً كبيراً في (تطوير) سلوكه وتعديله وتهذيبه وبذلك ارتقى وما زال يرتقي في سلم الكائنات .

اختلاف شخصيات الأفراد :

وكما اننا نختلف كأفراد من حيث الصورة الجسمية التي تميز كلامنا بسمات مادية خاصة ، كذلك نحن نختلف من حيث الصفات النفسية

---

(١) في رأي ماكدوجل .

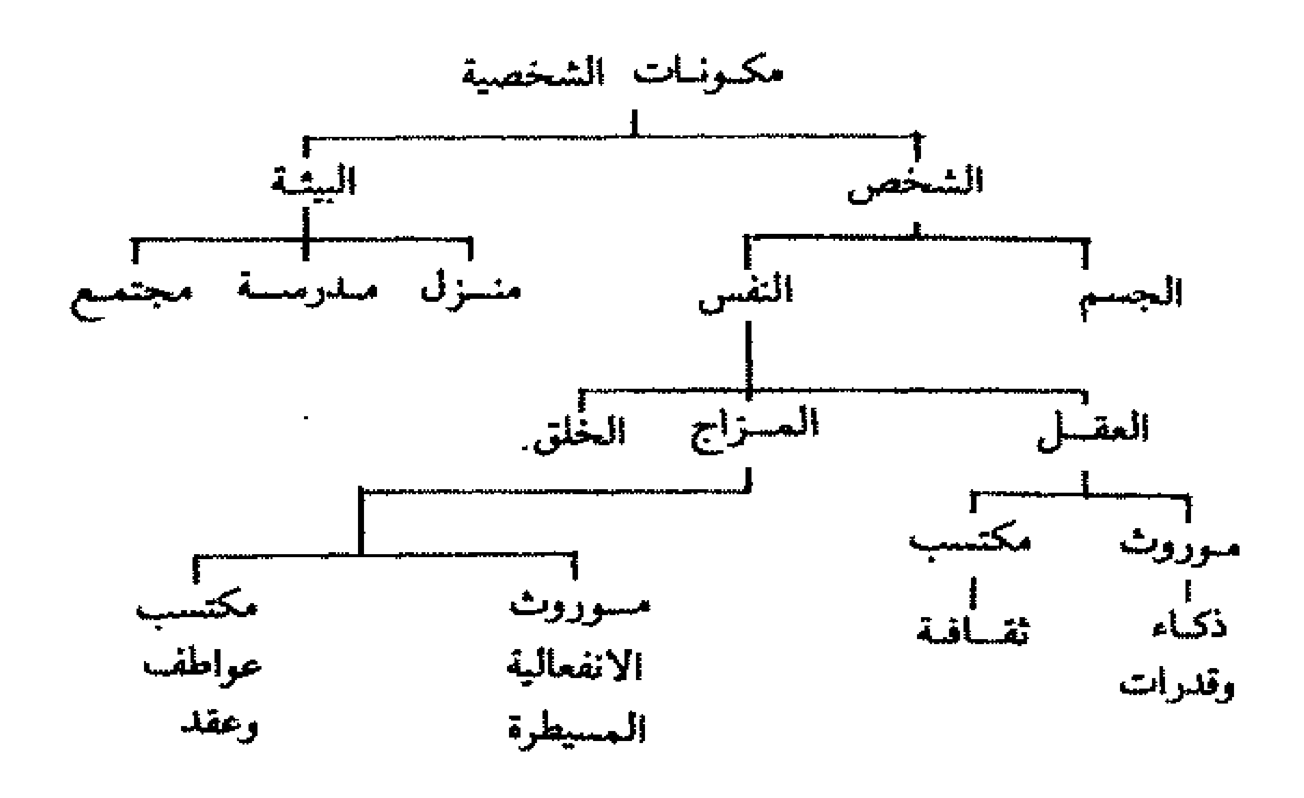
التي تطبع كلامنا بطابع خاص ، وليست « شخصية » الفرد في النهاية إلا ذلك « الكل » المكون من الجسم والنفس بما فيهما من فطرة واكتساب على السواء ، ولذلك يمكن أن نعتبر دراستها بؤرة تلتقي فيها الأضواء الكثيرة التي يلقيها علم النفس على شتى العناصر المكونة لذلك « الكل » بامتزاجها الدقيق وتفاعلها الشامل .

ونخطىء كثيراً إذا حاولنا الحكم على شخصية فرد من الأفراد عن طريق مظهره الخارجي ، أو حظه في الحياة ، أو أثره فينا ، إذ أن ذلك وحده لا يكفي ، ولا بد إلى جانبه من دراسة تحليلية طويلة معقدة تتناول الشكل والحركة ، والسلوك بجميع استعداداته ، والآمال والتجارب التي مر بها ، ورأيه في نفسه ، ورأي الناس فيه ، وما هو عليه في الواقع ، ثم تركيب هذه العناصر جميعاً في وحدة شاملة يفقد كل عنصر فيها ذاتيته الخاصة ليندمج في ذلك الكل الواحد الثابت الذي هو زيد أو عمرو من الناس .

وسندرس في الفصول القادمة بعض العناصر الفطرية والمكتسبة المكونة للشخصية ، وسنعود في الفصل الأخير لاستكمال الموضوع ، وفي الجدول التالي تخطيط عام مركز لمكونات الشخصية .

ملحوظة :

سيرد في الأبواب المختلفة التالية شرح مطول أو مركز عن كل ناحية من نواحي هذا الجدول .



مكونات الشخصية
الشخص
البيئة
الجسم
النفس
منزل
مدرسة
مجتمع
العقل
المزاج
الخلق
موروث
مكتسب
ذكاء وقدرات
ثقافة
موروث
الانفعالية المسيطرة
مكتسب
عواطف وعقد

الفصل الثالث

تمهيد

الشعور

الشعور ومظاهره ودرجاته ـ البؤرة والهامش ـ اللاشعور :

الشعور ومظاهره الثلاثة :

يختلف الإنسان عن الجماد والنبات في نواحي كثيرة منها شعوره بوجوده ، وبالوسط الخارجي حوله ، وبما ينبعث في داخله من خواطر ومشاعر واحساسات ، أما الحيوان فلا يرقى في شعوره إلى مستوى الإنسان[1] .

وينساب الشعور كالتيار المتدفق في حياة الإنسان ويتراوح بين القوة والضعف ، ولا يكاد ينقطع إلا بالموت . وإذا أخذنا لحظة من لحظاته لاستطعنا أن نميز فيها ثلاثة مظاهر مختلفة متتالية هي الإدراك والوجدان والنزوع ، وذلك مثلما يحدث حينما يزورنا صديق عزيز فإننا ندركه ، وننفعل مسرورين لقدومه ، وننزع لمصافحته والترحيب به .

---

(١) نظراً لافتقاره للعقل . ومهما قيل في ذكائه فلا شك أن الفرق بين الإنسان المتوحش وأرقى حيوان كبير للغاية ، بينما يتضاءل هذا الفرق جداً بين الإنسان المتوحش والإنسان المثقف المتحضر ، إذ للإنسان المتوحش حضارة بدائية فيها دين وآداب وتقاليد وفنون ، وهو قابل للتطور والرقي بسرعة ، بينما الحيوان لا حضارة له ، ورقيه محدود للغاية .

وتتوالى هذه المظاهر وتتشابك دائماً في حياتنا ، ويتغلب أحدها علينا أحياناً فيضعف شعورنا بالمظهرين الآخرين ، ويقسم بعض العلماء السلوك على أساس هذه المظاهر الثلاثة ، فثمة سلوك إدراكي كالتفكير ، وسلوك وجداني كالخوف والغضب والحب والبغض ، وسلوك نزوعي كالتقليد ، ولكن ينبغي أن نلاحظ دائماً أن السلوك الواحد وان بدا إدراكياً أو وجدانياً أو نزوعياً فإن عوامل كثيرة تتعاون في إظهاره وتحديده ، فالطالب الذي يجيب على أسئلة الامتحان مثلاً يعمل عملاً إدراكياً في الغالب ، ولكنه قد يكون مدفوعاً إليه بعوامل السيطرة وحب الوالدين والأساتذة والخوف من العقاب وو . . إلخ .

البؤرة والهامش :

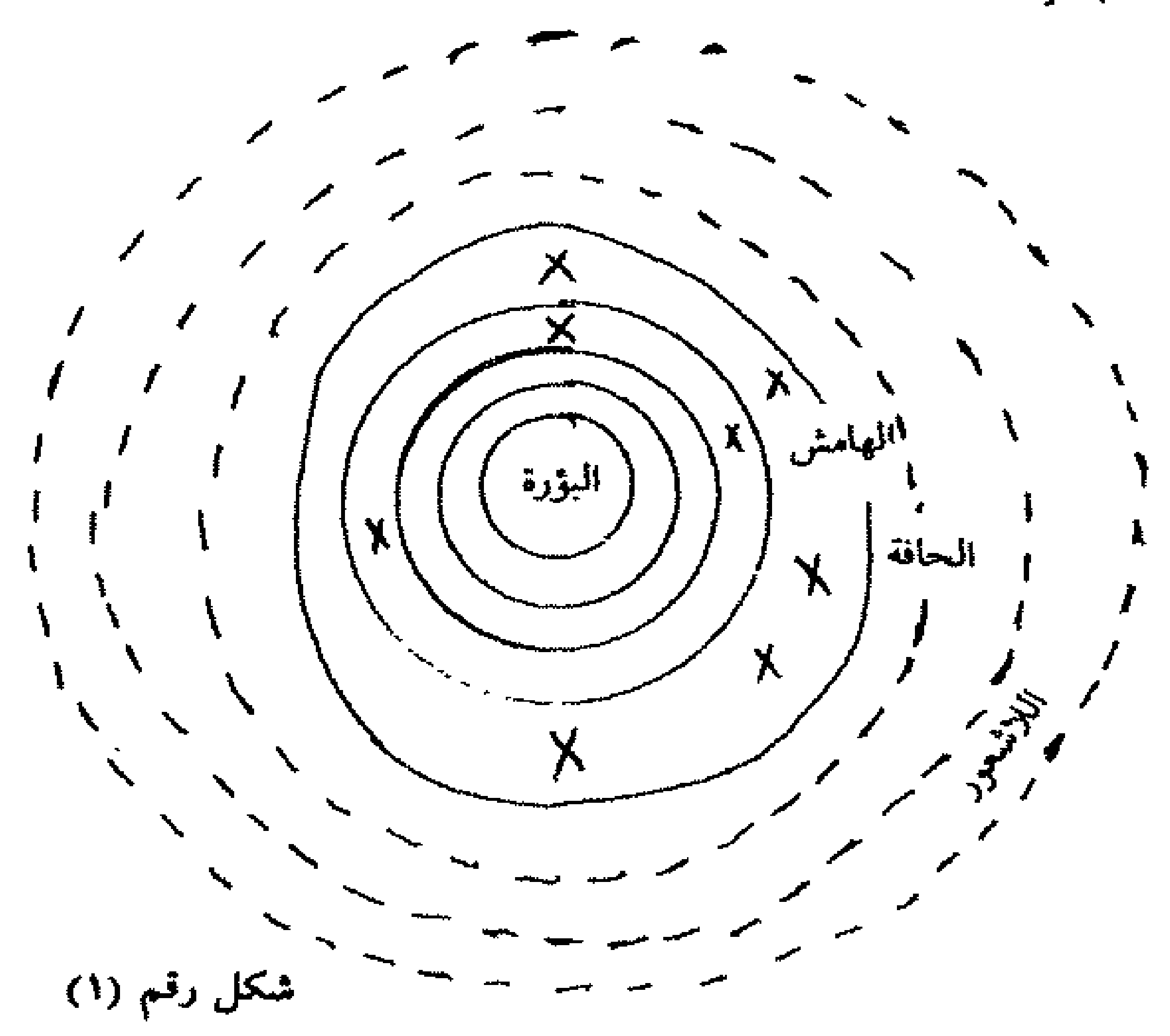
وكلما تركز شعورنا في شيء محسوس أو فكرة كلما كان هذا الشيء أو تلك الفكرة في « البؤرة » ، أما المحسوسات والأفكار الأخرى فإنها تكون من هذه البؤرة على أبعاد مختلفة ، وتكون درجتها من الوضوح متفقة مع هذه الأبعاد ، ولكنها تعتبر على أية حال في (هامش الشعور) ، وتظل قابلة لأن تنتقل من مكانها في الهامش إلى البؤرة .

مثال : يعتبر درس الأستاذ في بؤرة شعورك ما دمت منصرفاً إليه انصرافاً تاماً ، ويعتبر زملاؤك في هامش الشعور ، ولكن إذا وقف أحدهم ليسأل الأستاذ عن شيء فإنه سرعان ما يحل بالبؤرة بدلاً من الدرس ، وإذا خطرت في ذهنك ذكرى هامة أثناء سؤال زميلك فإنها تأخذ مكانها في البؤرة بالمثل وتنحي زميلك عنها ، وهكذا .

اللاشعور :

على حافة الهامش يبدأ (اللاشعور) بأعماقه المختلفة ، وبما يترسب أو يكبت فيه من مواقف وذكريات تضطرنا الحياة إلى تنحيتها عن

(الوعي) ، لأنها تؤلمنا أو لا تتفق مع آداب المجتمع وتقاليده . وبعض هذه الرواسب سطحي يمكن تذكره بسهولة ، وبعضها الآخر بعيد الغور ولا يكاد يبدو في غير الأحلام ، وفلتات اللسان ، والسلوك غير المفهوم ، وهي في أعماق اللاشعور كالتمساح في قاع النهر لا يشعر به أحد ، ولكنه يضرب الماء من آن لآخر بذنبه الضخم ضرباً عنيفاً يبدو أثره في السطح ، وهو التحليل النفسي الذي يكشف عن هذه الناحية وما فيها من ذكريات أو عقد تؤثر في السلوك وتعرضه للإنحراف كما سنرى في الفصل العاشر (انظر شكل ١) .



شكل رقم (١)

السلوك الفطري

السلوك الفطري ـ الفعل المنعكس

السلوك الفطري :

سبقت الإشارة إلى السلوك الفطري ، وهو ما نرثه عن النوع ، وما يظهر فينا جميعاً دون تعلم سواء كان ظهوره عقب الولادة مباشرة كالرضاعة ، أم بعدها بزمن قليل أو كثير كالسيطرة والاتجاه نحو الجنس الآخر .

وتوجد بجانب هذا السلوك الفطري العام في أفراد النوع استعدادات وراثية خاصة تصل إلى الأفراد من الوالدين أو بعض الأجداد كارتفاع مستوى الذكاء أو الاستعداد الموسيقي والرياضي .

ويقابل السلوك الفطري السلوك المكتسب ، ويتمثل في الاستعدادات والميول الكثيرة المختلفة التي تكسبنا إياها البيئات المتنوعة التي نمر بها كالعادات والعواطف ، ويعطي الكثيرون من علماء النفس لهذا الجانب من السلوك أهمية كبرى ، ويعتبر بعضهم السلوك الفطري ـ إن وجد ـ مجرد استعداد غامض تظهره البيئة وتحدده أو تضعفه .

الفعل المنعكس :.

وأبسط أنواع السلوك الفطري ما يعرف بالفعل المنعكس ، ويتمثل في هذه الحركة الآلية الاضطرارية السريعة التي يبتعد بها الأصبع إذا ما

لامس جسماً ملتهباً ، أو حركة الجفن إذا ما أوشك جسم غريب أن يؤذي العين ، وعماد هذه الحركة الأعصاب الحسية والحركية المتصلة ، بمراكز النخاع الشوكي ، وغايتها كما ترى حماية الأعضاء أو أجزائها من الخطر .

وبينما تتسع دائرة التعديل في الأفعال الفطرية الأكثر تعقيداً كما سيرد فيما بعد ، إذا بهذا الفعل لا يسمح بغير تعديل طفيف اكتشفه الطبيب الروسي (بافلوف) حينما كان يدرس إفراز الغدد في الحيوان ساعة تقديم الغذاء ـ وهو فعل منعكس عادي ـ وخلاصة ذلك التعديل أنه إذا تكرر اصطحاب مثير صناعي للمثير الطبيعي عدة مرات فإنه يكتسب صفته ويصبح كافياً وحده للحصول على الاستجابة المطلوبة : فإذا تكرر مثلاً دق الناقوس وقت تقديم الغذاء للكلب ، فإن غدد الجهاز الهضمي فيه تصبح مستعدة لإفراز اللعاب والعصارات بمجرد سماع الناقوس وحده .

وهذا الفعل المنعكس الشرطي أساس تدريب الحيوانات في الملاهي على طائفة من الحركات المعينة كرقص الأوز على نغمات الموسيقى ، وبه نستطيع أن نفهم بعض نواحي سلوكنا المرتبطة به[1] ، ولكنه لا يصلح لتفسير السلوك الإنساني كله كما تزعم « المدرسة السلوكية »[2] ، وكما سنرى في الفصول القادمة من السلوك الفطري المعقد والسلوك المكتسب على السواء .

---

(١) مثل ارتباط الطفل بين العقاب الذي يتلقاه لعبثه ببعض الأشياء وبين الأشياء ذاتها لأنه لا يلبث أن يذكر العقاب بمجرد رؤيته لها ويكف عن العبث بها .

(٢) زعيمها وطسن . وتتمتع بشهرة واسعة في أميركا . وهي ترد السلوك للأفعال المنعكسة وما تقوم عليه من ترابط عصبي . وكان ماكدوجل من أقوى =

....

=معارضيها . ويتمثل الخلاف بينه وبين وطسن في أن حركة الأصبع إذا ما لامس جسماً ملتهباً أمر محتوم في رأي السلوكيين ولكنها ليست كذلك في رأي ماكدوجل الذي يقيم وزناً كبيراً للعامل النفسي الداخلي الذي قد يمنع هذه الحركة أو يقاومها كما نجد لدى فقراء الهنود .

الفصل الرابع

الغرائز

النظرية الفرضية ـ تعريف ماكدوجل ـ عددها ـ صفاتها ـ مناقشتها ـ تعديلها ـ الإبدال والإعلاء ـ خاتمة .

النظرية الفرضية :

تستند مدرسة ماكدوجل Mcdougall في قولها بالغرائز كدوافع فطرية معقدة للسلوك الإنساني إلى فلسفة غائية تزعم ان الكائنات مسيَّرة لتحقيق أغراض مرسومة سواء شعرت بها أم لم تشعر ، ولذلك سلحتها الطبيعة بدوافع أو استعدادات تحقق بها هذه الأغراض وكأنها مسوقة إليها سوقاً .

وأظهر ما يتجلى ذلك في الحشرات ثم في الحيوانات الأرقى ، أما الإنسان فتلعب فيه الاستعدادات المكتسبة دوراً كبيراً يعدل هذه الناحية الفطرية أيما تعديل .

وكمثال بارز للسلوك الغريزي نقول : إن بعض الطلبة يهوى تربية دودة القز ، فيحضرونها كبيرة ناضجة ، ويطعمونها أوراق التوت بضعة أيام ، ثم لا يلبثوا أن يجدوها تكف عن الغذاء ، وتنسج حول جسمها شرنقة تختفي فيها أياماً ، ثم تخرج منها فراشات تلتقي ببعضها ، ثم تضع الإناث بويضاتها، وتموت الفراشات جميعاً، وبعدئذٍ تستحيل البويضات إلى يرقات صغيرة لا تلبث أن تنمو وتصبح ديداناً تعاود سيرة

الديدان السابقة في الغذاء ونسيج الشرانق ، والالتقاء ، ووضع البويضات ، كأنما تسعى جميعاً دون تعليم إلى تحقيق هدف بعيد واحد هو بقاء النوع .

ومثل ذلك السلوك يمكن أن يشاهد في النمل والنحل والأسماك والطيور المهاجرة ، بل وفي الحيوان الراقي مع بعض التعديل الطفيف الذي لا يشوه الجوهر في قليل ولا كثير ، ثم في الطفل والإنسان المتوحش والإنسان الراقي مع المرونة (والقابلية) الكبيرة للتعديل .

تعريف ماكدوجل :

ولهذا يعرف ماكدوجل « الغريزة » بأنها استعداد فطري جسمي نفسي يدفع الكائن الحي لأن يدرك مثيراً خاصاً ، وينفعل حياله انفعالاً خاصاً ، ثم ينزع أو يشعر على الأقل حياله بالرغبة في النزوع منزعاً خاصاً .

مثال ذلك إدراك القط للكلب وخوفه منه ومحاولته الهرب، أو إدراكك لإهانة موجهة إليك من رئيسك ، وغضبك ، ونزوعك للرد عليها بالقول أو بالفعل ، وقد تتمثل العاقبة إذا استجبت لنزوعك فتشفق منها وتعدل عن الرد ، ولذلك ليس وقوع النزوع بالفعل أمراً محتوماً .

عدد الغرائز :

وقد اختلف العلماء في عدد هذه الغرائز وطبيعتها ، فبينما نجدها عند وليم جيمس اثنتين وثلاثين غريزة بينها الغيرة والخجل والنظام ، إذا بها عند ثورنديك اثنتين وأربعين بينها البكاء والسعال والابتلاع .

وبينما نجدها عند « فرويد » تخدم غريزة واحدة مسيطرة هي الغريزة الجنسية ، إذا بها عند أدلر تدور في فلك غريزة أخرى هي غريزة السيطرة .

أما ماكدوجل فقد جعلها أربع عشرة غريزة لكل منها انفعال خاص يميزها ، وهي :

١ ـ الوالدية	وانفعالها الحنو
٢ ـ الاستطلاع	وانفعالها التعجب
٣ ـ الهرب	وانفعالها الخوف
٤ ـ المقاتلة	وانفعالها الغضب
٥ ـ النفور	وانفعالها الاشمئزاز
٦ ـ البحث عن الطعام	وانفعالها الجوع
٧ ـ الجنس	وانفعالها الشهوة
٨ ـ الاستغاثة	وانفعالها الشعور بالضعف
٩ ـ السيطرة	وانفعالها الزهو
١٠ ـ الخضوع	وانفعاله الخضوع والاستكانة
١١ ـ التملك	وانفعالها حب الملكية
١٢ ـ الحل والتركيب	وانفعالها حب العمل
١٣ ـ الاجتماعية	وانفعالها الشعور بالوحدة
١٤ ـ الضحك	وانفعالها التسلية والمرح

على انه أضاف في أواخر أيامه لهذه الغرائز أربع أخرى هي : الراحة ، والنوم ، والهجرة ، ومجموعة غرائز تتصل بحاجات الجسم كالسعال وغيره .

وتستطيع أن تتبين في هذه الغرائز ما يخدم الفرد كالهرب والسيطرة وغيرهما ، وما يخدم النوع كالوالدية ،والجنس ، وما يخدم الجماعة كالاجتماعية والمقاتلة ، وما يعمل في خدمة الفرد والنوع والجماعة معاً كالخوف وغيره .

صفاتها :

ولهذه الغرائز صفات أهمها :

١ ـ الفطرية : أي انها غير مكتسبة .

٢ ـ النوعية : أي توجد في جميع أفراد النوع الواحد وتميز الأنواع عن بعضها .

٣ ـ الثبات : بعكس الاستعدادات المكتسبة التي يمكن زوالها أو إبدالها بغيرها .

٤ ـ العمياء : كالنحلة التي لا تنقطع عن وضع العسل في خلية مثقوبة، أو لا تكف عن مطاردة من يقترب منها ولسعه لسعة فيها هلاكها .

٥ ـ الظهور على مراحل : كالرضاعة التي تظهر عند الميلاد . والاجتماعية والجنسية اللتين تظهران فيما بعد .

٦ ـ وجود مظاهر الشعور الثلاثة واضحة في كل منها .

٧ ـ تميز كل غريزة بانفعال خاص كالغضب في المقاتلة والخوف في الهرب .

٨ ـ القابلية للتعديل كلما ارتقى الحيوان ، وفي المظهرين الإدراكي والنزوعي على الخصوص .

مناقشة الغرائز :

ويشك بعض العلماء في فطرية كل هذا العدد من الغرائز ، ويجد من الشواهد ما يؤيد شكه ، فغريزة الملكية مثلاً تدحضها بعض القبائل التي تحيا حياة مشتركة ، وبالمثل غريزة المقاتلة ينكرها السلام الدائم بين بعض القبائل غير المتحضرة ، ثم هناك اناس لا أثر للسيطرة عندهم ، واناس لا يميلون للإندماج في المجتمع ، ولو كانت هذه الغرائز فطرية وعامة في النوع كله كما يقول ماكدوجل لما أمكن أن نجد لها ظواهر كثيرة تخالفها .

وإذا كانت نظرية ماكدوجل تعتمد على « الغائية » كمذهب فلسفي ، فإن بعض المذاهب الفلسفية الأخرى لا ترضى عن هذا المذهب في كثير ولا قليل[1] .

والظاهر إن الناشيء يمتص بعض سلوكه من البيئة حوله ، ويعتاده ويلصق به ، حتى ليخيل إلينا ان ذلك السلوك طبع فيه موروث .

وعلى كل فقد القت نظرية التطور وتسلسل الكائنات الكثير من الضوء على هذه الناحية في سلوك الحيوان على الخصوص ، وسواء وجدت الكائنات في المبدأ ومضت تكافح الطبيعة ، وتتكيف مع البيئة ، وتتنازع البقاء بغير هذه الدوافع ، ثم اكتسب الصالح للبقاء منها طائفة من النزعات والحركات ترسبت فيه بمضي الزمن وورثها للأجيال من بعده ، أو وجدت هذه الدوافع مع الكائنات من المبدأ ، لتضمن لها استمرار الحياة وبقاء النوع ، وانتقلت في السلالات من جيل إلى جيل ، سواء صح هذا الرأي أو ذاك ، فلا شك أن الغريزة فرض لا سبيل إلى الاستغناء عنه في أغلب سلوك الحيوان ، وفي بعض نواحي السلوك[2] الإنساني ، وغاية ما هناك بالنسبة للإنسان ان الغريزة عنده استعداد عام غامض مرن قابل للتعديل إلى حد بعيد ، وان البيئة تحور كثيراً هذا الاستعداد وتحاربه أحياناً وتنتصر بما تمد الإنسان به من عواطف وعادات كما نرى في حياة بعض الرهبان والمتصوفة الذين ينصرفون عن الملكية والجنس ، ويفنون أنفسهم في العبادة وأداء الخير ، ومن أجل هذا كان الخلاف بين سلوك الأفراد والشخصيات واسع الأطراف ، وكانت

---

(١) وذلك شأن المذاهب الفلسفية دائماً إذ قلما تتفق .

(٢) كالرضاعة والأمومة والاتجاه الجنسي .

أساليب هذا السلوك بالغة التباين والتنوع . وذلك على خلاف الحيوان الذي تتضاءل فيه الفروق بين أفراد أنواعه وتتقارب أساليب السلوك إلى حد كبير .

تعديل الغرائز :

ومظاهر التعديل لدى الحيوان الراقي والإنسان كثيرة ، فمن حيث المثير نجد القطار الذي تنزعج من ضجيجه مواشي الريف عندما تسمعه لأول مرة ، يصبح شيئاً مألوفاً لايخيفها أن تسير في الطريق إلى جانبه ، والطيور التي تحيا في جزيرة مهجورة لا يخيفها الإنسان عندما تراه كذلك لأول مرة ، ولكنها لا تلبث أن تخاف وتفزع من رؤيته إذا ما أخذ في صيدها وقتلها .

ويساعد العقل النامي المتطور الإنسان على تعديل واسع المدى في هذه الناحية ، ولهذا تختلف المثيرات بين الصغير والكبير ، والجاهل والمتعلم ، ورجل الدنيا المقبل عليها ، والفيلسوف الزاهد فيها .

ومن حيث الوجدان نجد الإنسان قادراً على تعديل مظهره الانفعالي الخارجي وفق الظروف والأحوال . فقد يكون حزيناً ويظهر الفرح ، وساخطاً ويبدو راضياً وخائفاً ويتكلف مع ذلك الشجاعة والثبات ، مما لا ينطلي أحياناً على ذوي الفراسة من الناس ، ومما تكشفه بعض الأجهزة الحساسة الدقيقة .

وأما من حيث النزوع فمجال التعديل فيه أوسع من أن يحد ، إذ تسمح مرونة الغرائز لدى الإنسان وبعض الحيوان باتخاذ أساليب متنوعة ومتطورة في الإشباع إلى حد كبير كما نرى في الحيوانات الأليفة التي يتعدل بعض إدراكها ونزوعها على السواء ، وكما نلمس في حياتنا المتحضرة التي تعمل فيها غريزة الاستطلاع في خدمة العلم بدلاً من أفقها المحدود لدى الحيوان والطفل ، وغريزة السيطرة في الانتصار على

الطبيعة والنفس بدلاً من مستواها الأناني لدى البعض ، وغريزة القتال في التنافس الشريف والهجاء بدلاً من التماسك المادي ، وغريزة الهرب من النفور من الرذائل الخلقية والخوف من التردي فيها بدلاً من الأفق المادي الضيق الذي لا تتعداه عند الحيوان . . .

الإبدال والإعلاء :

ويشبه الأستاذ (طمسن) Thmson الغرائز بنهر متدفق ، والقيود والحواجز التي حتمتها الحياة الاجتماعية ووضعتها أمام الغرائز بسد ضخم يعترض مجرى النهر ، فماذا يحدث إذا تعسفت هذه القيود وبقي السد أمام المياه المتدفقة مصمتاً لا منافذ فيه ؟؟

هناك احتمالات ثلاثة :

١ ـ اما أن تندفع المياه بشدة وتحطم السد ، أو تعلو فوقه وتفيض على الجانبين ، كما يحدث لدى الأفراد الذين لا يعبؤون بعرف ولا قانون في الجرائم الخلقية والقانونية على السواء .

٢ ـ واما أن ينجلي الصراع بين الماء المتدفق والحاجز عن قنوات خفية آسنة يتسرب منها الماء من تحت السد ، والمجتمع مليء بهذه الأساليب المموهة الخادعة التي يلجأ إليها بعض الأفراد ليستروا نزوعهم الخفي الجائر الذي لا يقره العرف أو القانون .

٣ ـ وأما أن يكون الحاجز من القوة وعمق الأساس، والماء من التدفق والوفر، بحيث تظل المعركة قائمة، ويشتد الفوران وتكثر الدوامات ، وليس ذلك بالطبع إلا على حساب الصحة النفسية لأولئك الأفراد الذين يعجزون بحكم الطبيعة والتربية عن انتهاك القواعد ، واسكات الغرائز ، فيشتد بهم الصراع ، ويروحون في النهاية ضحية لهذا الموقف الذي يسبب لهم الكثير من الانحرافات النفسية والعقلية .

ويبذل المجتمع الكثير من الجهد ، وينفق المال الطائل والعناء الجم، لاتقاء شر هذه الطوائف الثلاث الأنفة وحماية نفسه منها، وما المدارس والمحاكم والسجون ، والعيادات النفسية والعقلية ، إلا بعض وسائله لتحقيق هذا الهدف ، ولا جدال في ان التربية السليمة لو سادت وعمت الجميع في المنزل والمدرسة والمجتمع لوفرت علينا الكثير ، وتقضي هذه التربية بإبقاء الحواجز والقيود ما دامت الحياة الاجتماعية المتطورة نحو التعاون والتكامل لا يمكن أن ترجع للوراء ، أي إلى حياة الإنسان المتوحش والحيوان في الغاب ، ولكن على أن نسمح للغرائز ببعض الإشباع لأن اقتلاعها مستحيل ، وكبتها يحولها إلى طاقات ضارة في اللاشعور ، وكأننا بذلك نبقي على السد في مجرى النهر ، ونفتح فيه منفذاً وقائياً للتنفيس الذي يمكن أن يأخذ صورتين هما الإبدال والإعلاء .

فبالإبدال نحول الطاقة القوية للغريزة إلى أساليب متنوعة من النشاط الفردي والاجتماعي ، كما تنفس عن الغريزة الجنسية بالقراءة وغيرها من الهوايات والخدمات الاجتماعية ، متى كانت الظروف لا تسمح لنا باشباعها اشباعاً صحياً كريماً .

وبالاعلاء نسمو بدافع الغريزة ونعلو به إلى المستوى المشروع معنوياً كان أو مادياً كما نفعل في تسخير غريزة الاستطلاع في خدمة البشرية ، بدلاً من الوقوف على أسرار الناس والاتجار بها ، وفي إشباع الغريزة الجنسية بالزواج وهو نظام مشروع .

وتزخر حياة الشباب بطاقة هائلة من القوى الدافعة فما أجدره بالهيمنة عليها واستخدامها في صالحه وصالح المجموع .

وتعتبر الهوايات المختلفة كالخدمات الاجتماعية ، والقراءة ، والموسيقى ، والرسم ، والألعاب الرياضية ، والأشغال اليدوية ، واقتناء

طيور وأسماك الزينة ، من أرقى الوسائل وأنفعها في تمضية الفراغ وتغذية العقل ، وتهذيب الذوق ، وإنضاج الشخصية ، واكتساب المهارة ، وتفويت النزعات الضارة ، ولكن ينبغي ألا تتعارض وتطغى على العمل الجدي المنوط بنا أداؤه ، والذي يتوقف عليه مستقبلنا ، ومكانتنا الاجتماعية .

خاتمة :

وبعد فهذه هي الغرائز أو الدوافع الأولية التي يشترك في بعضها الحيوان مع الإنسان .

وقد رأينا كيف تعمل لدى الحيوان في نطاق جامد بينما يتسم نشاطها في الإنسان بالمرونة والتعديل والتطور من خدمة الفرد إلى خدمة الجماعة ، ومن الأفق المادي إلى الأفق المعنوي .

وسنرى فيما بعد كيف يمكن أن تنتظم هذه الدوافع بانفعالاتها في مجموعات عاطفية تخص الإنسان وتوحد سلوكه ، وترقى بمستواه .

لقد أدت وتؤدي وظيفتها في المحافظة على الفرد والجماعة والنوع . ولكن طبيعة الإنسان المرنة القابلة للرقي تأبى أن تعيش سجينة في نطاقها .

الفصل الخامس

النزعات العامة

بين النزعات العامة والغرائز ـ الاستهواء ـ المشاركة الوجدانية ـ التقليد ـ اللعب .

بين النزعات العامة والغرائز :

وإلى جانب هذه الغرائز توجد نزعات فطرية عامة تنمو في ظل الحياة الاجتماعية ، ويعتبر كل منها مظهراً لأحد عناصر الشعور الثلاثة التي مرت بنا .

فالاستهواء ، أي الميل إلى تصديق آراء الغير دون نقد ـ مظهر للإدراك .

والمشاركة الوجدانية ـ أي الميل إلى التأثر بحالة الغير الإنفعالية ـ مظهر للوجدان .

والتقليد ، أي الميل إلى نقل المظهر التنفيذي لسلوك الغير ، مظهر للنزوع .

ومن أجل ذلك يمكن اعتبار هذه النزعات كالغرائز من حيث أنها فطرية ، كما يمكن اعتبارها مخالفة لها في ناحيتين ، الأولى أنها دائماً اجتماعية بينما بعض الغرائز كغريزة الاستطلاع ليست كذلك ، والثانية أن عناصر الشعور لا توجد متميزة فيها ومتعادلة كما توجد في الغرائز ، بل هو عنصر واحد منها الذي يغلب كما رأينا .

أما اللعب فنزعة عامة بالمثل ، ولكن ليس حتما أن تكون اجتماعية ، وليس ضرورياً أن يغلب فيه مظهر للشعور دون غيره .

وسنبين فيما يلي أهمية كل من هذه النزعات الأربع وعوامل نجاحها .

(١) الاستهواء

أهميته ـ عوامل نجاحه ـ أنواعه

أهميته :

تعتبر هذه الظاهرة ـ ظاهرة انتقال الأفكار من شخص لآخر ـ من أقوى وأهم الظواهر العقلية أثراً في حياة الجماعة والفرد ، وتستغلها التربية والدعاية الفنية والتجارية والسياسية والحربية إلى أبعد حد ، ولها من التطبيقات في التنويم المغنطيسي والعلاج النفسي والاصلاح الاجتماعي قدر لا يستهان به ، ولو أمكن الهيمنة عليها في المنزل والمدرسة ودور العرض ، وفي الإذاعة والصحافة والحياة السياسية ، لجنى المجتمع منها أطيب الثمرات .

عوامل نجاحه :

١ ـ الجهل ، جهل السامع بالنسبة للمتكلم ، وهو نوعين ، جهل بمعنى الأمية ، يمكن حتى انصاف وأرباع المتعلمين ومن إليهم من فرض آرائهم على السامعين وسوقهم إلى تحقيق مآربهم كما حدث كثيراً في التاريخ ، وجهل السامع للموضوع نظراً لخروجه عن اختصاصه كما يصدق الأديب قولاً خاطئاً لعالم مشهور في الطبيعة أو الرياضيات .

٢ ـ السن ، فكلما كان السامع أصغر من المتكلم كلما كان أميل لتصديقه ، ومن هنا نلمس خطورة دور الأبوين والمعلمين .

٣ ـ الغباء ، ذلك أن من صفات الذكاء البارزة النقد ، وهذه الناحية ضعيفة لدى الأغبياء فيصعب عليهم كشف الخطأ أو المبالغة فيما

يسمعون .

٤ ـ الجنس ، ذلك أن الناحية الوجدانية تغلب على طبيعة المرأة ، ولذلك يتلون تفكيرها بها ويسهل استهواؤها .

٥ ـ الجماعة ، ذلك ان الفرد وحده أقدر على الرؤية والتقدير منه داخل الجماعة حيث ينحط مستوى التفكير وتتوزع المسؤولية ، ولذلك يحدث أن يرتكب المتظاهرون أفعالاً يستحيل على الأفراد المشتركين فيها أن يرتكبوها وهم منفردين ، وتتلقى الديموقراطية السياسية الكثير من النقد الذي يوجّه إليها من ناحية اعتمادها على الجماعات في الانتخابات والمجالس النيابية ، ولكنها تعمل جاهدة على التخلص من هذا النقص بتربية الأفراد تربية سياسية ناضجة ، وبتقسيم المجالس إلى لجان قليلة العدد يهيمن عليها المختصون .

ويضاف إلى هذه العوامل ما يتمتع به المتكلم من ذكاء وسمعة أدبية ، وقوة شخصية وبعد صيت ، وطريقة الالقاء وما فيها من تعبير قوي مخلص ، وأسلوب جميل آخاذ ، وألفاظ طنانة ، واستشهاد بليغ ، ثم ومناسبة الكلام نفسه لعقل السامع واتفاقه مع ما يعتز به من عقائد وآراء ، ووجود بطانة وجدانية تجمع قائله به كأن يكون من أبناء مذهب ديني أو سياسي أو اقتصادي واحد .

والتكرار بعد هذا عامل فعال لا سيما إذا كان منوعاً غير ممل .

ثم ومرض السامع ، وضعفه ، ونقصه ، وشدة انفعاله ، فإنها جميعاً عوامل لا سبيل إلى تجاهلها .

ويمكن بعد هذا أن تشترك عدة عوامل في الاستهواء الواحد كما نرى في أفعال الدجل والشعوذة وغيرها .

أنواعه :

قد تستهوى نفسك فكرة لا تفتأ ترددها حتى تعتقد فيها فيكون ذلك

استهواء مباشراً .

وقد تأتيك الفكرة من الغير جماعة كانت أو فرداً فيكون استهواء غير مباشر .

وقد تصدق الفكرة وتعمل بها فيكون الاستهواء إيجابياً .

وقد تشكك فيها لسبب أو لآخر فتؤمن بعكسها ، ويكون الاستهواء على هذا النحو سلبياً .

وأخيراً يستهوي الناس بعضهم اما بالقول واما بالفعل ، والثاني أقوى بالطبع وأضمن .

ويقصد البعض أن يستهوي الغير فيوفق أو لا يوفق .

ولا يقصد البعض استهواء فيما يقول أو يفعل ، ولكن قد يتأثر به الغير ، فيكون الاستهواء هنا غير مقصود بينما هو في السابق مقصود .

بقي بعد هذا أن نتجنب الاسراف فيه بالنسبة للناشىء أو الجماهير ، والا تعطلت ملكة النقد ، وتعرضت العقول بهذا التعطل لفقدان الاستقلال الفكري والسير وراء كل كاتب أو متكلم ، وفي ذلك من عدم نضوج الوعي ما فيه بالنسبة للجماعة والفرد ، ولا يؤخر الأمم ويبقيها جامدة لا تتطور ولا تتحرر من تقاليدها البالية إلا افتقار وعيها العام للفهم المنطقي وللتحرر الذهني والاستقلال في الوزن والتقدير .

(٢) المشاركة الوجدانية[1]

اهميتها ـ عوامل نجاحها :

أهميتها :

ولهذه الناحية ، (ناحية انتقال الوجدان بين الأفراد) ، أثرها في

(١) نلاحظها في الطير حين تصيح الديكة ، وفي الحيوان حين يفزع جواد لسبب ما فينتقل الفزع إلى الجياد الأخرى .

التماسك والتجانس الاجتماعيين ، وهي مظهر من مظاهر التناغم بين الصديقين والزوجين ، وتبدو في المناسبات الوطنية كرباط متين يجمع القلوب ويوحد بينها ، جاء في كلمات لقاسم أمين أن تنفيذ الحكم في شهداء نشواى كان له أثره الأليم في أبناء الأمة جميعاً ، فوجمت النفوس وانفطرت القلوب ، حتى لكأن أرواح الموتى كانت ترفرف في كل مكان .

ولا تستطيع الجماعة أن تقبل بسهولة من لا يتجاوب معها في احساسها ومشاعرها ، وفي ذلك ما فيه من تضييق الخناق على العابثين مثلاً بالآداب ، ولكن فيه أحياناً ضياع فرص يتنبه إليها ويحذر منها بعيدو النظر من السياسيين أو المصلحين غير الشعبيين ، حينما تكون الجماهير مشبعة باتجاهات قاصرة خاطئة لا يرضى عنها أولئك المفكرون .

عوامل نجاحها :

وكما وجدنا في الإيحاء ، وهو مظهر إدراكي ، نجد الأطفال والنساء والجهلاء والأغبياء أكثر استعداداً لانتقال الوجدان ، ونجد الأشخاص مختلفين في تأثرهم بسهولة بالسرور أو الحزن حسب مزاجهم الخاص ، والتجارب التي مرت بهم ، بل وحسب ما يعرض لهم من أحوال مؤقتة تجعلهم أكثر استعداداً للتأثر بهذه الناحية أو تلك ، ولذلك يصعب على بعض « الأفراد » أحياناً الاندماج في الوجدان العام للمآتم نظراً لقلة تجاربهم أو إنعدامها في هذه الناحية .

وأخيراً يفيد النشء كثيراً إذا حرص على أن يندمج في الوجدان الأخلاقي الراقي لوالديه وأساتذته ، وكذلك في الوجدان الفني ، لأن ذلك يساعد كثيراً على شحذ ضميره وصقل ذوقه وترقية احساسه .

(٣) التقليد[١]

أهميته وعوامل نجاحه ـ أنواعه

أهميته وعوامل نجاحه :

ولا تقل هذه الظاهرة ، (ظاهرة انتقال المظهر التنفيذي للنزوع ، أهمية في حياة الجماعة والفرد عن الظاهرتين السابقتين ، فهي تساعد على النمو والتعلم والاتقان في المهن الحسركية ، وبعض الشؤون الدراسية ، وهي أساس تقليد الأبطال والزعماء والحذو حذوهم ، وإليها يرجع انتشار الكثير من أساليب الحياة المختلفة في الملبس والمأكل والمسكن ، وتأثر بعض الأفراد بما في القصص المقروءة والمشاهدة من أفعال .

ونكرر هنا ما سبق أن قلناه في مظاهر الشعور من أن الحالة الواحدة لا يمكن أن تخلو من المظاهر الثلاثة بالرغم من تغلب أحدها وبروزه . ولكي يتم التقليد ينبغي أن تتوفر له الرغبة والقدرة معاً ، لأن الرغبة وحدها لا تكفي ، والقدرة من غير رغبة لا تعمل .

والإعجاب الشديد من بواعثه ، كما نلاحظ في تأثر النشء ببعض المهيمنين على الشؤون السياسية أو الاجتماعية والفنية ، وتلعب بعض العوامل السابقة المساعدة على نجاح الإيحاء والمشاركة نفس الدور في نجاح التقليد .

أنواعه :

وهو كالايحاء ينتقل من فرد إلى فرد ، أو من فرد إلى جماعة ، أو من

---

(١) نلاحظه في الحيوان والطير كالقرد والببغاء .

جماعة إلى فرد ، وهو اما دائم كالتقاليد والطقوس ، واما مؤقت ، واما مقصود أو غير مقصور ، ثم هو اما حسي ملموس ، واما تصوري يقلد فيه المرء صورة يتمثلها .

والعيب البارز فيه هو أنه يضعف الابتكار ويقضي على الاستقلال . ولـذلك يحرص الآباء والمربون وتحرص المجتمعات الراقية على الاعتراف بشخصية الفرد وإتاحة فرص كثيرة أمامها للابتكار والإبداع .

(٤) اللعب

طبيعته ـ نظرياته

طبيعته :

ذكرنا أن اللعب نزعة عامل بالمثل ، وقلنا انه يجوز أن يكون فردياً ، والواقع انه يختلف عن العمل الجدي في وجوه كثيرة ، فهو يحمل غايته في نفسه ، بينما العمل الجدي وسيلة لغاية بعيدة أو قريبة ، وهو أميل للحرية والانطلاق من العمل الجدي ، كما أن النفس تعبر عن ذاتها فيه بنحو تلقائي صريح ، بينمـا يشوبهـا أحيانـاً في العمل الجـدي بعض التكلف والغموض .

نظرياته :

وقد اختلف العلماء في تعليل هذه الظاهرة التي يشترك فيها الإنسان والحيوان[١] ، فمنهم من زعم انه غريزة من الغرائز ، ومنهم من اعتبره إعداداً وتدريباً على نوع السلوك اللازم للصغير متى كبر[٢] ومنهم من

---

(١) كصغار القطط والكلاب والقرود والعنز والخيول والعجول .

(٢) كالقط والطفل .

رأى أنه وسيلة للتخلص من الطاقة الزائدة المتدفقة كما نرى في حركات الأطفال ونشاطهم ، ومنهم من عده تلخيصاً للحياة الإنسانية ، منذ عصر الصيد وما يتميز به من فردية وفوضى ، حتى عصر الزراعة والمدنية وما يتميز به من تعاون وتبادل ونظام[١] . ثم ان منهم من يرى فيه تنفيساً عن انفعال مكبوت[٢] ، ومهما يكن من شيء فلا ريب أن بعض هذه النظريات أصلح للتفسير في هذه الحالة أو تلك من بعضها الآخر ، ويجوز أن يفسر السلوك الواحد بأكثر من نظرية من هذه النظريات .

وكثيراً ما ترمي المدرسة بوسائلها التعليمية والتهذيبية المختلفة من عرض سينمائي ، وتمثيل ، ورياضة ، ورحلات ، وأشغال يدوية ، وهوايات مختلفة ، وإجراء التجارب ، وإعداد المشروعات ، إلى التنفيس عن الانفعالات المكبوتة ، والاقتراب من الحرية والتلقائية ، وهما من خصائص اللعب ، كي تجعل التحصيل العلمي والأخلاقي أكثر يسراً وامتاعاً وثباتاً ، وكي تخفف الكثير من قيود العمل الجدي ، وتتيح للناشئين فرصة واسعة للتعبير عن أنفسهم وانضاج شخصياتهم[٣] .

---

(١) كالالعاب الجمعية المنظمة التي لا تظهر في حياة الناشيء إلا أخيراً .

(٢) كالطفل يعبث بدميته معاقباً رداً على عقاب والده له . ويلاحظ أن قراءة القصص ومشاهدة التمثيليات تخففان أحياناً من ضغط بعض الإنفعالات وتعيدان للنفس اتزانها الوجداني .

(٣) وكلما أحببنا العمل الجدي بسبب اتفاقه مع ميولنا أو اقتناعنا بضرورة ادائه كلما أصبح قريباً من طبيعة الهواية ، وكلما انتجنا فيه . . وحبذا لو وزع العمل في الدولة على هذا الأساس ، لأن العمل الغير متفق مع ميول صاحبه كثيراً ما يؤدي إلى الركود والانحراف .

الفصل السادس

الانفعالات

اللذة والألم ـ تعريف وشروط ـ أنواع الانفعالات ـ أثرها في الجسم ـ دورها في الحياة .

اللذة والألم :

تخضع الحياة في الإنسان والحيوان لعاملين أساسيين هما اللذة والألم . ويتميز الإنسان بلذات وآلام معنوية إلى جانب اللذات والآلام الجسمية .

وتختلف اللذات والآلام باختلاف الأفراد وثقافتهم وأحوالهم الطارئة ومستواهم الخلقي ، فالنغم الموسيقي الذي يسبب ارتياحاً لدى الرجل العادي قد يثير ألماً وضيقاً لدى الفنان المرهف الحس ، والفقير الهندي يجد لذة في تعريض جسمه لألوان العذاب المادي ، والقاضي النزيه العادل يرضيه أن يحكم بالسجن على صديق عزيز مذنب ، ويؤلمه أن يصدر حكماً ظالماً على عدو بغيض بريء .

وتمثل الإنفعالات ناحيتي اللذة والألم في حياتنا بما فيها من ارتياح وسرور ، أو قلق وحزن .

مثال :

يحدث أحياناً وأنت هادىء النفس أن تصلك على غير انتظار برقية فيها نبأ نجاحك الممتاز في الامتحان ؛ ، هنالك تخرج من شعورك

الهاديء السابق ، وتعتريك حالة انفعالية سارة عنيفة ، تشيع الاضطراب في نفسك وجسمك ، فإذا بك تنهض نشيطاً وتأخذ في القفز والرقص ، وإذا بوجهك يعبر بابتسامته وانفراج أساريره عن السرور والطرب ، وإذا بحديثك عن هذا النجاح يتدفق في قوة وان أعوزه الترابط والانسجام .

ولو استطعنا الوقوف على ما يحدث في أجهزتك الداخلية من اضطراب في الوظيفة وخروج عن المألوف بسبب هذا الانفعال ، لوجدنا تغيراً في ضربات القلب ، وحركات التنفس ، وافرازات الغدد . . . إلخ .

وسواء حدث الانفعال فجأة ، أو تكون ببطء كما تتكون الغيرة والحسد وسواء كان مثيره من الخارج كما رأيت في هذا المثال ، أو أتى المثير من الداخل كما يحدث عند استعادة ذكرى ماضية أليمة ، وسواء كان متعلقاً بالغرائز والمشاركة الوجدانية وهي جميعاً استعدادات فطرية ، أو تعلق بالعواطف وهي استعدادات مكتسبة ، سواء كان هذا أم ذاك ، فإنه يخضعنا ـ مع اختلاف في الدرجة ـ لمثل هذه الطائفة من التغيرات التي أسلفناها .

تعريفه :

فهو إذا وجدان ثائر يشمل النفس والجسم بالتغير والاضطراب ، ويتسبب عن إدراك طاريء ملائم أو غير ملائم .

ولما كانت طبيعته على هذا النحو من الثورة والاضطراب ، فالأصلح أن نتعود السيطرة عليه حتى لا يبدد قوانا عبثاً ، ويضيع علينا الكثير من فرص النجاح الاجتماعي .

شروط حدوثه :

ولكي يحدث الإنفعال ينبغي توفر العوامل الآتية :

١ ـ مثير أو منبه خارجي أو داخلي ، وهو الإدراك .

٢ ـ كائن حي له من الظروف الفطرية والمكتسبة ما يحدد مدى وطبيعة استجابته للمثير .

٣ ـ ومن ثم تحدث الاستجابة أي ـ الإنفعال ـ بنواحيه الثلاثة ، ناحية التعبير الخارجي ، وناحية الشعور الداخلي ، وناحية التغير الفسيولوجي .

وواضح أن الأفراد يختلفون بسبب العامل الثاني في كيفية ودرجة استجابتهم للمثير الواحد، وأن الفراسة تعجز أحياناً عن تبيان طبيعة الانفعال في وجه صاحبه نظراً للفروق الدقيقة بين الحالات المتقاربة كالغيرة والحنق والمقت والسخط ، أو لما يستطيع الإنسان أن يتكلفه من تغطية لحقيقة انفعالاته بالمظهر الكاذب والتصنع (أي التمثيل) المتقن ، وتساعد الأجهزة الدقيقة المسجلة التي اهتدى إليها العلماء أخيراً ورجال التحقيق الجنائي على كشف حقيقة المتهمين في الجرائم ، لأنها تعطينا تسجيلاً صحيحاً لضغط الدم ، وحركات التنفس ، وضربات القلب ، ومقاومة الجسم للكهربائية ، فندرك بسهولة طبيعة الانفعالات التي يعانيها المجرمون في أعماق أنفسهم ـ (كالخوف والفزع) ـ ولكنهم يخفونها تحت ستار الثبات وعدم المبالاة .

أنواع الإنفعالات :

١ ـ أولية : أو بسيطة ، وهي انفعالات الغرائز التي مرت بك كالخوف والغضب وتأكيد الذات .

٢ ـ ثانوية أو مركبة : وهي تتكون من أكثر من انفعال أولي . . . ولهذا نجد منها ضروباً كثيرة . . .

أ ـ فالاعجاب مزيج من الاستطلاع والخنوع .

ب ـ والرهبة مزيج من الإعجاب والخوف .

جـ ـ والغيرة مزيج من الغضب والتملك والحنو .

د ـ والاحتقار مزيج من الغضب والتقزز والسيطرة .

هـ ـ والخشوع مزيج من الخنوع والخوف .

و ـ والعتاب مزيج من الحنو والغضب .

٣ ـ مشتقة وهي انفعالات تقوم بالنفس نتيجة احساسها بالثقة ، أو الأمل ، أو الشك والقلق واليأس والقنوط ، حين تكون مباشرة لعمل غريزي تتناوب فيه عليها بعض هذه الحالات ، كما يحدث لك وأنت تجيب على أسئلة الامتحان .

أثرها في الجسم :

ويسير عليك بعد هذا أن تتبين أثرها في الجسم والنفس ، فهي إذا كانت سارة هادئة ساعدت على صحة الجسم وسرعة شفائه ، وهي إذا كانت شديدة عنيفة عجز الجسم عن احتمالها حتى ولو كانت سارة[1] ، وبعض نواحي أمراض السكر وضغط الدم والقلب والقرح المعوية ، تنشأ من انفعالات الغضب والحنق والغيظ والحسد والحزن العنيفة المتصلة ، والحضارة الحديثة بما فيها من صناعة ضخمة ، وسرعة وتعقيد، وتنافس وغرور، مسؤولة عن ازدياد نسبة المصابين بهذه الأمراض ، وعن ميل مستوى الصحة العامة للهبوط في بعض الأوساط بالرغم من تقدم وسائل العلاج الطبي ، ذلك أن حياة الناس في الماضي كانت بسيطة فيها رضى وتسليم وسذاجة وإيمان ، وقناعة وهدوء وتحاب .

---

(١) الفرح الشديد المفاجىء لا يحتمله القلب أحياناً وقد يذهب بالعقل .

أما أثرها في العقل فلا يقل خطورة عن أثرها في الجسم . انها تنشطه إذا كانت معتدلة (كما في العواطف) ، وتفتح أمامه آفاق الخيال والإلهام ، وتمده من اللاشعور بطاقات مكبوتة تتيح له الابتكار القوي والابداع العظيم كما نجد في انتاج الفنانين .

ولكنها لا تخلو إذا عنفت من الاندفاع بالتفكير على نحو مفكك لا يمكن توجيهه ، وقد تشل العقل نفسه عن كل نشاط ، وتهوي بصاحبها إلى مستوى الغرائز حيث يتحطم كل قيد ، ويرتفع كل حجاب ، ويرتد الإنسان إلى الحيوانية العمياء[1] .

ولذلك يقول رجال التحليل النفسي أن قشرة المدنية التي نعيش فوقها قشرة رقيقة سرعان ما تنشق فتهوي إلى حيث تسود شريعة الغاب أو ما هو أفظع منها وأفدح ، لأننا نستغل حينئذ امكانيات العلم في الدمار والهلاك .

وعلى كل فما يزال أمل الإنسان معلقاً بالعقل وبما يستطيعه من تنظيم للغرائز كما سنرى في العواطف .

الانفعالات والحياة :

يتبقى بعد ذلك أن نسأل ما وظيفة الانفعال ، وما قيمته في الحياة ؟

إنه كما رأيت القوة الدافعة في الغرائز ، والغرائز سياج حياة النوع والجماعة والفرد .

وسترى كذلك انه قوة العواطف الدافعة ، والعواطف تنظم الغرائز ،

---

(١) ويرجع رجال التحليل النفسي الانحرافات النفسية والعقلية إلى الصدمات الانفعالية في الكثير من الأحوال . . .

وتقف في وجه طغيانها أحياناً ، وترقى بالإنسان إلى أفق كريم رفيع إذا أحسن المربون تكوينها وتوجيهها ..

ثم هو يعبر عن نفسه بالإشارة والحركة والصوت ومظهر الوجه ، فيأخذ وظيفة اللغة الاجتماعية التي يمكن أن يتفاهم بها الناس ، ويكسب الوجوه بكثرة تكراره سحنة خاصة تميز أصحابها وتنّم عن شخصيته[1] .

وأخيراً نراه يلون حياتنا ويخرجها فيما بين الآن والآخر من الهدوء الرتيب الخامل إلى العنف والمفاجأة والتجديد ، فيجعلها أكثر حيوية وأشهى طعماً .

ولا عبرة بعد هذا بما قد يجلب من آلام ، لأن الألم فضلاً عن تطهيره للنفس وسموه بها ، فإنه يشعرنا بقيمة اللذات المادية والمعنوية التي قد نكون غارقين فيها دون أن نحسن تقديرها .

الدوافع المكتسبة

تمهيد :

يعتبر الدوافع السابقة من غرائز ونزعات عامة دوافع أولية ـ وهي بهذا الوصف عامة في أفراد النوع الإنساني ، ويشاركه في بعضها الحيوان .

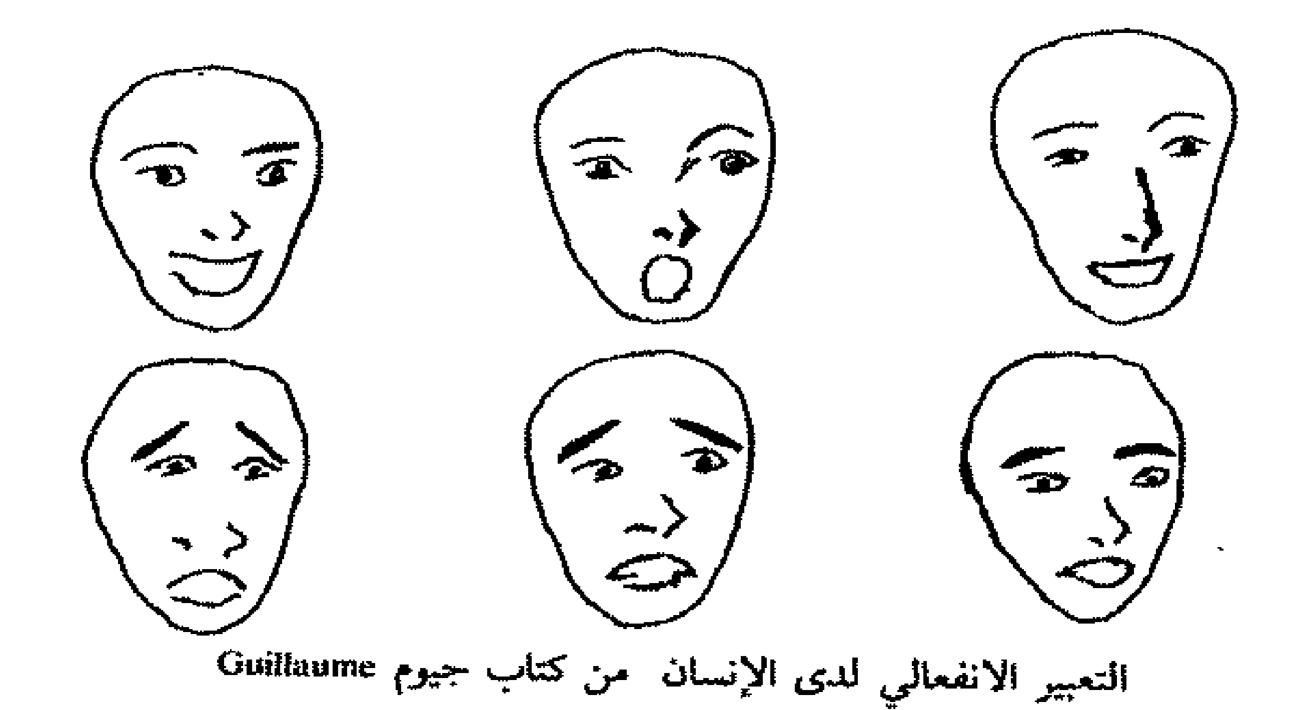
وتوجد بجانب هذه الدوافع الأولية دوافع ثانوية يكتسبها الأفراد

---

(١) كلما غلبت طائفة خاصة من الانفعالات على حياة المرء والحزن والحقد كلما اكتسب سحنة خاصة يمكن تمييزها بسهولة ـ كما في الشكل .

ويختلفون فيها تبعاً لاختلاف بيئاتهم كما أشرنا من قبل ، وهي العادات والعواطف والعقد .

وسنرى في الفصول التالية أهمية هذه الدوافع ، وكيفية تكوينهما ، وصلتها بالدوافع الفطرية ، وأثرها في حياة الجماعة والفرد .



التعبير الانفعالي لدى الإنسان من كتاب جيوم Guillaume

الفصل السابع

العادات

تعريفها ـ أهميتها ـ كيف تتكون ـ أنواعها ـ أثرها ـ العادة والشخصية ـ كيف نكتسبها وكيف نبطلها .

تعريفها :

في حياتك اليومية أساليب من السلوك تتكرر على نحو آلي واحد لا تكاد تتعداه ، كطريقة ارتداء الملابس ، أو تناول الطعام ، أو الإنصات للدرس ، وزملاؤك لا يحذون حذوك تماماً في هذه الأساليب ، وإنما لكل منهم أسلوبه الخاص : فيهم من هو أكثر سرعة وتأنقاً في الارتداء ، ومن هو أكثر عناية بمضغ الطعام ، ومن هو أكثر اهتماماً بتدوين الملاحظات خلال الشرح ، ولو سئلت عن أحد هذه الأساليب من السلوك الخاص بك لقلت في بساطة انه عادتك .

فالعادة إذا ميل ثانوي مكتسب لاداء السلوك على نحو آلي .

أهميتها :

وتكثر العادات في حياة الأفراد والجماعات حتى لتكاد تحجب ما عداه من أنواع السلوك الأخرى ، ذلك أن لكل منا عاداته الإدراكية ، وإتجاهاته الوجدانية ، وأساليبه النزوعية التي يؤديها على نحو خاص يميزه عن غيره ، والتي ليست في الواقع إلا عادات . . . وكلما انتشرت العادة في المجتمع ورسخت على مر الأيام كلما اكتسبت صفة التقاليد ،

ومن هنا تأتي خطورة العادة في السلوك ، لأنه في رقي العادات أو انحطاطها رقي للجماعة والفرد ، أو انحطاط لهما .

كيف تتكون :

يحدث أن نشبع إحدى الغرائز بنحو من انحاء السلوك نوجه إليه بالاستهواء أو بالتقليد ، أو بالصدفة البحتة ، ثم يتكرر هذا النحو برغبتنا مرة ومرة لما نجد فيه من لذة ، فلا نلبث أن نشعر باكتساب ميل إلى مزاولته .

وبعد أن كان الأداء غير يسير في المبدأ ، وفيه انتباه وجهد ، ومحاولة وخطأ وقدر كبير أو قليل من الوجدان ، فإنه لا يلبث أن يصبح أقرب للسلوك الآلي الذي يؤدى بسرعة ومهارة وإتقان ، وبغير كبير انتباه أو جهد ، وبغير وجدان ، كقيادة السيارة ، أو الكتابة على الآلة الكاتبة .

ولا شك أن الطبيعة تساعدنا على مثل هذا الاكتساب بفضل مرونة الجهاز العصبي ، وإلا لما أمكن أن يتحقق كل هذا التكيف مع الطبيعة والتأقلم الملاحظ في حياتنا وحياة الحيوان ، وللذاكرة أثرها بالطبع في اختزان التجارب التي يمكن استغلالها في تنحية الأخطاء ونحن في دور الاكتساب .

أنواعها :

أولها العادة الحركية ، وهي التي يعنيها العلماء باصطلاح العادة مثل الصناعات اليدوية .

وثانيها العادة العقلية ، وهي كالنحو الذي يعمل به التفكير ، أهو منطقي فيه تؤدة ، واستقامة في الاستنتاج ، واستقلال في إبداء الرأي ، أو هو متسرع مفكك ، فيه تقيد عن غير اقتناع بآراء الغير ؛ ومثل اعتياد العقل على نوع من الثقافة له طابعه الخاص كالثقافة الأدبية .

وثالثها العادة الوجدانية ، وهي المعروفة بالعاطفة ، كالصداقة وحب العدل . وسترد في الفصل التالي .

أثرها :

ذكرنا انها تمكننا من أداء العمل بسرعة وإتقان ، وعلى نحو آلي ، وبغير كبير جهد .

ولا يخفى ما في ذلك كله من خير . . فالصانع الذي يرتفع مستوى انتاجه في الكم والنوع بغير كبير عناء يفيد فوائد كثيرة ، والطالب الذي يستطيع أن يؤدي واجباته الحركية اليومية المتعلقة بالمأكل والملبس وغيرهما في سرعة واتقان ، يستطيع أن يوفر جهده لعمليات أرقى هي المذاكرة وتحصيل العلم وصقل الذوق ، ومن ثم تتيح له العادة فرصة أفضل للنمو والنضوج والارتقاء .

وفضلاً عن هذه المزايا ، فإنها تمكننا من القيام بأكثر من عمل في وقت واحد ، كالقراءة خلال انشغال اليدين بعمل معتاد .

أما إضعاف الوجدان فيساعد الأطباء مثلاً على عمليات التشريح دون تقزز وامتعاض ، كما يساعد غيرهم من ذوي المهن المنفرة أو الأعمال الخطرة المضنية ، أو من اصابتهم كوارث أليمة ، على الرضى والاحتمال . .

ولكن هذه الناحية ، ناحية إضعاف الوجدان ، تقلل بمضي الأيام من تأثرنا بروعة الأشياء ، وتشيع في نفوسنا الملل ، وتدفعنا - إذا استطعنا - للتغيير .

هذا وتمر العادة في دورين ، دور التكوين ، ودور الثبات ، ومن هنا تأتي خطورتها ، لأنها حين تثبت يصعب الإقلاع عنها ، فإذا كانت سيئة وضارة بالفرد والمجتمع ، كان الغرم كبيراً .

ومن ناحية أخرى ، تتطلب الحياة في كثير من الأحيان التطور والتجديد ، ولكن هذا الثبات في العادة يحيطها بسياج من الجمود يجعلها عقبة كأداء في سبيل رقي الفرد والمجتمع ، لا سيما إذا كانت تربية الأفراد لم تطبعهم بالمرونة والقابلية للتحرر ، ولذلك جزع جان جاك روسو أحد فلاسفة الثورة الفرنسية ، وقال : (خير عادة ألا يكون للمرء عادة ما) ـ كما ثار الفيلسوف جون ستيوارث مل وقال « ويل للزمن الذي لا يجرؤ على الشذوذ فيه إلا الأقلون » . . وكأنما يريد هذان الفيلسوفان ألا يقف جمود العادة في طريق التطور ، لأن التقاليد البالية التي تعوق التقدم ليست في الواقع إلا عادات جامدة يصعب على الأفراد التخلي عنها لسهولتها ، ولاكتسابها على مر الأيام لوناً من التبجيل والتقديس ، ومن هنا صح قول القائل بأن الموتى يحكمون ـ أحياناً ـ الأحياء .

العادة والشخصية :

ومتى تكونت عادات المرء العقلية والعاطفية الحركية، فإن شخصيته تأخذ طابعاً خاصاً يميزه عن غيره ، ويسمح بالتنبوء بسلوكه ، ألا تقول أحياناً أن هذا الفعل أو ذاك لا يمكن أن يصدر من صديقك لأنك تعرفه ؟ فماذا تعرف فيه ؟ إنك تعرف لون تفكيره ، وإتجاه وجدانه ، وأسلوب حركاته ، وكلّ ذلك « عادات » فيه .

ومن أجل هذا يسهل على رجال التحقيق الجنائي التعرف على شخصيات المجرمين ، لأن كلا منهم له في جرائمه أسلوبه الخاص الذي لا يكاد يتغير .

كيف نكتسب العادات وكيف نتخلص منها :

والمقصود اكتساب العادات الحسنة بالطبع والتخلص من العادات

السيئة ، وتهم هذه الناحية النشء بنوع خاص لأن في صباه وشبابه من المرونة ما يجعله أكثر قبولاً للنجاح في هذه الناحية من غيره .

١ ـ وينبغي في المبدأ لتيسير النجاح أن يكون لنا مثل أعلى نحبه ونحترمه ونرضى عن ذواتنا بقدر ما نقترب من أفقه . وليس ضرورياً أن يكون هذا المثل شخصاً بالذات ، بل يكفي أن يكون مجرد فكرة فيها ضروب الكمال الممكن ، والمتفق مع ميولنا واستعداداتنا بقدر الإمكان[1] .

وبهذا المثل الأعلى يمكن أن نحكم على ما ينبغي أن نترك وما ينبغي أن نأخذ من العادات ، لأننا سنربطها به ، لنرى ان كانت ستساعدنا على تحقيقه .

٢ ـ ويلي ذلك الاقتناع القوي التام بما ينبغي أن نفعل .

٣ ـ ثم التنفيذ فوراً وبغير إمهال حتى لا تخمد جذوة الحماس .

٤ ـ وينبغي الثبات في المبدأ وعدم النكوص ، والاحتفاظ بالحماس أثناء التنفيذ حتى يرسخ الاتجاه الجديد .

٥ ـ ويمكن الاستعانة على صعوبة الموقف بعهد نرتبط به أمام أنفسنا أو أمام من يخجلنا عدم الوفاء أمامه بما نقول .

٦ ـ والأفضل دائماً البعد عن المغريات المتعلقة بالعادة التي نريد التخلص منها ، وإحاطة أنفسنا بكل ما يشجعنا على النجاح في الإتجاه الجديد .

٧ ـ ويمكن الاستعاضة أثناء التخلص بسلوك آخر فيه نفع وتعويض .

٨ ـ ويجب الإبقاء على حيوية الإرادة فينا كي نستطيع مواجهة الموقف

---

(١) ويساعدنا علم النفس في التعرف على هذه الميول وتلك الاستعدادات .

المسير بنجاح ، وذلك بتعمد مخالفة أهوائنا كل يوم ولـو في أمور بسيطة .

وبهذه الخطوات استطاع كثيرون التخلص من (التدخين) مثلاً وهو من العادات (أو الكيوف) البيولوجية ذات الأثر الكيمائي في الدم (مما يجعل التخلص منها أشق وأعسر) .

وبها يمكن أن يخلق النشء لنفسه شخصيات مبرأة بقدر الإكمان من العيوب الخلقية والاجتماعية .

الفصل الثامن

العواطف

تعريفها ـ أهميتها ـ كيف تتكون ـ أنواعها ـ أثرها في العقل .

تعريفها :

ذكرنا ان العاطفة استعداد مكتسب ، وانها عادة وجدانية ، وتستطيع أن تلاحظها في شعورك نحو صديقك بإحساس خاص لا يشاركه فيه غيره ، إنه يسرك أن تراه ، وأن تسمع عن فوزه ، ويحزنك أن يرسب أو يمرض ، وتخاف عليه من التعرض للخطر إذا ارتحل ، وتغضب له إذا أهين ، وتعاتبه إذا قصر في حقك ، وترتاح للتنازل عن بعض حقوقك من أجله . .

فما هو محور هذا الاتجاه النفسي كله ؟ إنه عاطفة الحب بمعناها الواسع ، ويدخل تحتها الصداقة والشفقة والحنان والإعجاب والعشق .

وتقابلها عاطفة الكراهية ، التي يدخل تحتها الحسد والمقت والغيرة والاحتقار . والانفعال السائد في الأولى هو الحنو ، وفي الثانية هو البغض .

ويسهل عليك بالطبع أن تتمثل إحساسك ومشاعرك نحو عدو تكرهه . فالعواطف إذن استعدادات ثانوية وجدانية مكتسبة تنعقد حول محور خاص .

أهميتها :

أشرنا من قبل إلى تنظيمها للغرائز وللدوافع، إنها أفق راق من السلوك يتلو أفق الغرائز ويقتصر على الإنسان الناضج ، ويهيمن على النشاط الإنساني هيمنة كبيرة . وإليها يرجع الكثير من الفضل في تلك الأعمال الخالدة التي تركها العظماء للإنسانية ، لأنهم كانوا يصدرون فيما يفعلون عن عواطف راقية أججت نشاطهم وألهمت خيالهم .

كيف تتكون :

تسمح العلاقات بين الأفراد بتكرار تجارب انفعالية سارة أو مؤلمة ، فينتهي هذا التكرار بعاطفة حب أو كراهية ، وتصبح هذه العاطفة حالة وجدانية هادئة مستمرة تخالف الانفعال من حيث شدته وعنفه وزواله السريع ، وتساعد على تكوينها المشاركة الوجدانية إلى جانب الإيحاء والتقليد[1] .

أنواعها :

وقد يكون الإنفعال الذي كونها واحداً فتصبح أولية ، كما نجد في عواطف الأطفال ذوي الخبرات المحدودة .

وقد يكون أكثر من واحد كما نرى في عواطف الكبار التي تستند إلى غرائز كثيرة .

١ ـ ثم هي قد تتجه إلى الجماد والحيوان كما نرى في مشاعرنا نحو الأماكن التي تربطنا بها ذكريات عزيزة، أو نحو الكلب والجواد وطائر الزينة .

---

(١) فكأن العاطفة يمكن أن تكون مجموعة منظمة من الغرائز تدور حول محور خاص .

٢ ـ وقد تتجه نحو شخص من نفس الجنس فتكون صداقة ، أو من جنس آخر فتكون عشقاً .

٣ ـ وأخيراً قد تتجه نحو فكرة مجردة كاتجاه الفلاسفة والعلماء نحو الحق ، والأخلاقيين نحو الخير ، والفنانين نحو الجمال ، وكاتجاه الزعيم الوطني نحو التحرر والاستقلال وكل ما يحقق مجد الوطن .

العاطفة السائدة :

وكما يحدث في الغرائز عندما تسيطر أحداها وتبرز ، وتسخر ما عداها في خدمتها ، كذلك يحدث في العواطف ، إذ قد يتجه المرء لناحية بالذات ، ويغمرها بكل وجدانه ، فتصبح هذه الناحية محوراً تدور في فلكه العواطف الأخرى ، كما نرى في سيرة الخليفة عمر بن الخطاب حيث سادت عنده (عاطفة العدل) ، فسهل عليه الانتصاف لصعلوك من ملك ، ومن ابنه للشريعة .

وبعاطفة سقراط نحو الحق وكرامة العقل تجرع السم وأبى أن يخنع للغريزة ويحيا حياة حقيرة ، وضرب بذلك مثلاً فذاً ما فتىء احرار الفكر في تاريخ الإنسانية يحتذونه .

عاطفة اعتبار الذات :

ويمتص الناشىء فكرته عن نفسه من المنزل والمدرسة والمجتمع ، فإذا كانت البيئة الاجتماعية والثقافية في هذه الأوساط الثلاثة مهذبة سما بفكرته عن نفسه ، وارتفع بها عن مستوى اللذة والألم الماديين ، وأصبحت نفسه عنده موضع حب وتكريم في نطاق المثل العليا ، وبذلك تندمج العاطفة السائدة والعواطف الأخرى في عاطفة اعتباره لذاته ، وتصبح هذه العاطفة الأخيرة مسيطرة على دوافعه جميعاً ، وبقدر ما تخضع لها هذه الدوافع ، بقدر ما يكون راضياً عن نفسه ومحترماً لها ، وبقدر ما ينعدم فيه الصراع النفسي .

وتتجلى هنا الإرادة الإنسانية كحركة حرة لا تخضع للنزعات والأهواء ، فهو قد اختار الإطار الخلقي الكامل لنفسه بعد اقتناع ، وهو يأبى أن يخضع للنزعات التي تخالف مبادىء ذلك الإطار ، ويمضي في الحياة محققاً لذاته العليا في تناغم داخلي وانسجام خارجي .

أثرها في العقل :

وكما ذكرنا في الانفعالات : يمكن أن تساعد العاطفة المعتدلة العقل على الإنشاء والإبداع والتفنن في التماس أساليب النجاح كما نرى في حياة الكثيرين من العظماء .

ولكنها يجوز أن تتحيز لموضوعها ، وتضغط على العقل ، وتحول بينه وبين الحق والعدل ، وتموه عليه بتبرير مصطنع فيه من التماسك الظاهري ما فيه .

وكما يخضع كثير من الناس لانفعالهم الجامح ، كذلك يصعب على الكثيرين التحرر من العاطفة وتبريرها ، ولذلك كانت مصدراً للتعصب البغيض عند الأنانيين المحبين لأنفسهم ، أو لعائلاتهم ، أو لمذاهبهم السياسية والدينية والاقتصادية ، وكم لقيت الإنسانية وتلقى من آثار هذا التعصب في سائر العصور ، وكم انحرف ميزان الحق لدى بعض المؤرخين ، وكم ارتكبت جرائم وآثام بسبب العواطف الجامحة .

ولذلك ينبغي أن نحذر دائماً تدخل عواطفنا في أحكامنا وأفعالنا ، وأن نتشكك فيما تسوقه لنا من (تبرير) يصطنع الحق والعدل وهو منهما بریء .

ولنذكر دائماً ان العاطفة غير المستنيرة بالعقل مجازفة غير مأمونة العواقب ، وان الرقي في التطور النفسي يتطلب السلوك العقلي الذي هو فوق مستوى الغرائز والعواطف جميعاً .

الفصل التاسع

الكبت والصراع النفسي

الفرد والمجتمع ـ الصراع والكبت والعقد ـ الشذوذ والإجرام .

الفرد والمجتمع :

بينا في الفصول السابقة تأثر الدوافع الفطرية الأولية ، والثانوية المكتسبة ، بالتوجيه الاجتماعي ، ولاحظنا ـ كما ذكرنا في الغرائز وتعديلها ما للمجتمع من القيود التي تعارض نزوع الفرد[1] ، وتحتم أسلوباً خاصاً من التكيف إزاءها فيه من التوفيق بين رغبات الفرد والمجتمع ما عبرنا عنه بالإعلاء والإبدال ، وفي إشارة عابرة للاشعور ذكرنا ما يحدث من كبت للمواقف والتجارب ، وأثر هذا الكبت في تكوين عقد تبقى منسية ومستقرة في الأعمال لتؤثر في السلوك من وراء ستار وتحدث الاضطراب والإنحراف .

الصراع والكبت والعقد :

والواقع أن الحياة لو كانت تسمح للأفراد باشباع كل ما ينزعون إليه من دوافع الفطرة أو الاكتساب لما تعرضوا للصراع النفسي والكبت ، ولجرت حياتهم بغير تعقيد كما تجري حياة الحيوان والإنسان

---

(١) كالدين والعرف والقانون .

المتوحش . ولكن القيود جعلت عقل الإنسان ينقسم إلى قسمين ، قسم تدفعه النزعات الطبيعية ، وقسم يحسب حساباً للبيئة واعتباراتها المكتسبة ، فإذا استحال التوفيق بينهما حدث الصراع بين الغرائز أو بينها وبين العواطف ، أو بين العواطف وعاطفة اعتبار الذات ، مما يؤدي إذا استفحل الأمر إلى شتى أنواع الإنحرافات والأمراض النفسية والعقلية المعروفة . وسواء ظل الصراع شعورياً ، أو انقلب وأصبح لاشعورياً بالكبت الذي تستحيل فيه التجربة إلى[1] عقدة ، فإنه - أي الصراع - يشيع الاضطراب والتوتر والقلق في النفس ، ويمزق الطاقة ويبددها ، ويشتت الانتباه ، ويضعف التركيز ، ويوقف الانتاج أو يعرقله .

والنزعات المكبوتة تتحايل في الظهور بالرغم من الرقابة التي يفرضها العقل الواعي عليها ، فتبدو في فلتات اللسان والقلم ، وفي النسيان ، وفي أحلام اليقظة والنوم على نحو مقنع أو صريح . والعقد كالعواطف من حيث هي طاقة انفعالية بسيطة أو مركبة ، ولكن بينما تظل العواطف قائمة في الشعور لتقوى وتستمر ، أو تضعف وتضمحل ويحل غيرها محلها ، فإن العقد تظل منسية في اللاشعور ولا تتوصل إليها إلا بالتنويم أو التخدير أو التحليل .

وفي هذا الأخير ندرس السلوك وتاريخه ، والأحلام عن طريق التداعي الذهني المقيد والمطلق ، حتى تتوصل إلى العقدة وتطفو بها على سطح الشعور فيزول الانحراف ويتم الشفاء .

---

(١) تلجأ الطبيعة للكبت تخفيفاً من ضغط الصدمات المؤلمة على الذهن الواعي أو من ضغط الغرائز التي لا تسمح الظروف باشباعها. وغالباً ما تتكون العقد في الطفولة لعدم نضوج العقل .

الشذوذ والإجرام :

وفي ضوء ما تقدم نستطيع أن نعرف بعض أسباب الشذوذ والإجرام بما فيهما من خروج على أوضاع المجتمع .

وإذا كان الضعف العقلي من أهم أسباب الجريمة لأن الغرائز تستطيع أن تعبث بأصحابه في يسر ، فإن سوء التربية في المنزل والمدرسة والمجتمع أكثر أهمية في هذه الناحية من العوامل الأخرى .

إن عدم تعديل الغرائز كما ينبغي ، وعدم استغلال الاستهواء والمشاركة والتقليد والعادات في تكوين المواطن الصالح ، أو استغلالها استغلالاً منحرفاً سيئاً ، ثم عدم تنظيم الغرائز في عواطف تعمل من أجل عاطفة اعتبار الذات وما يمكن أن يكون فيها من مثل عليا ، كل ذلك يساعد على الشذوذ والإجرام ، لا سيما إذا كانت ظروف المجتمع من بطالة وفقر وجهل وإنحلال وسوء توزيع للثروة وإنعدام للرقابة ، يشجع عليه ويغري به .

إن الخلق القوي بناء متين متماسك يصمد للتيارات والأعاصير الكثيرة المغرية المختلفة التي يمكن أن تمر بنا ، وما لم يحرص المنزل إلى جانب المدرسة والمجتمع على إقامة ذلك البناء في كل فرد على أساس تربوي سليم ، ظلت الجريمة محتملة بمعناها الأخلاقي والقانوني ، وظل المجتمع يعاني منها ، ولما كان الأفضل دائماً هو اتقاء الشر قبل وقوعه ، فإن الدول الراقية تعمل على توفير التوجيه الصحيح للناشىء في بيئات المنزل والمدرسة والمجتمع ، كما تعالج المشاكل الاجتماعية والصحية التي تغذي الجرائم وتساعد على الشذوذ والإنحراف كمشاكل الجهل والفقر والبطالة ، وسوء التربية ، والأمراض الوراثية ، وغيرها ،

وذلك إلى جانب العناية الصحية والاجتماعية لضعاف العقول[1] .

ويتبقى بعد ذلك التشريع المستند إلى أسس نفسية. فالمجرم في الكثير من الأحيان ضحية للوراثة وإهمال المجتمع ، والسجون ينبغي أن تكون دور إصلاح وتهذيب واشعار بالكرامة وتنمية للضمير ، والعمل الشريف والكسب الحلال ينبغي أن توفرهما الدولة والمجتمع للأفراد ، وإذا حلت أزمات البطالة فيجب أن تدبر الدولة لها مختلف الحلول السريعة الناجعة .

---

(1) في مصر حوالي ٢٠٠,٠٠٠ منهم . ويدل الاحصاء على اضطراد النسبة بين ضعف العقل والإجرام .

الفصل العاشر

بقية مكونات الشخصية

مقدمة ـ الجسم ـ الذكاء والقدرات ـ المزاج ـ البيئة ـ الخلق .

مقدمة :

يعرف (بيرت) Burt الشخصية بأنها نظام كامل وثابت نسبياً من النزعات الجسمية والنفسية الفطرية والمكتسبة ، يميز فرداً بعينه ، ويحدد الأساليب التي يتكيف بها مع البيئة المادية والاجتماعية .

وبالرجوع إلى الجدول الذي أوردناه في نهاية الفصل الأول نجد أننا درسنا بالفعل الغرائز والنزعات العامة ، والعادات والعواطف والعقد ، ورأينا كيف تتصل الانفعالات بالغرائز والعواطف ، وكيف تسيطر في الفرد الواحد غريزة بالذات ، وكيف تنتظم الغرائز حول موضوعات مختلفة وتستحيل إلى عواطف تهيمن عليها أحياناً عاطفة بارزة أو عاطفة اعتبار الذات ، ثم كيف تعمل العادات والعواطف معاً في تكوين الشخصية وتحديد معالمها ، وأثر توجيه المنزل والمدرسة والمجتمع في اكتساب العادات وتكوين العواطف ، وعلينا الآن أن نعرض لبقية العناصر الأخرى عرضاً سريعاً مركزاً .

١ ـ الجسم :

وهو يؤلف مع النفس (كلا) واحداً كما ذكرنا ، وله دوره العام كعنصر من عناصر الشخصية .

إننا نرث شكله ولونه ، وقد نرث قوته وضعفه[1] ، ولهذا جميعاً كما لأجهزته وأعضائه المختلفة من حيث الصحة والمرض ، واختلال الوظيفة أو حسن آدائها ، من الأثر في مزاج الفرد وعقله وأسلوب تفاعله مع البيئة ما لا سبيل إلى إنكاره .

والشواهد على ذلك كثيرة .

فصحة الجسم ، وقوة بنيانه ، واتساق تكوينه ، جديرة جميعاً في الظروف العادية أن تمنح صاحبها من الثقة والإقدام ما لا يمنحه الضعف والمرض وعدم الاتساق ، وللعاهات على الخصوص من الأثر في نفس صاحبها ما يتفق وصداها في نفسه[2] ، فاما انسحاب وانطواء وفشل وتخاذل ، واما عناد وعدوان ، واما جد واجتهاد وتبريز يلفت النظر ويغطي النقص ، كما نجد في الكثيرين من عظماء التاريخ مثل تيمورلنك ونابليون وغيرهما .

وهذا كثيراً ما يتصل اعتدال الطبع وهدوئه ، وصحة وانسجام بعض الوظائف العقلية كالتذكر والتفكير ، بسلامة الجهاز العصبي وقوته ، وباتزان افرازات الغدد المختلفة كالغدة النخامية والغدة الدرقية وغيرهما من غدد النمو والنضوج الجنسي والهضم ، ولهذا كثيراً ما ينجح الطب الجسمي حين يتعاون بعقاره مع الطب النفسي ، وكثيراً ما تهتم المدارس في الأمم المتحضرة بتكوين أجسام صحيحة قوية متسقة لتكون عقول أصحابها سليمة متزنة .

٢ ـ الذكاء والقدرات :

وأثره بالمثل في الشخصية كبير ، إذ لا شك أن الذكي يتفاعل

---

(١) تشتهر سلالة بعض الأسر مثلاً بقوة البنية وبشكل خاص بطول العمر .

(٢) قد تجد مقطوع الساق يضحك من نقصه ، بينما ذي الحول البسيط في العين غاية في الألم والسخط والخجل .

ويتكيف مع البيئة على نحو يخالف تفاعل الغبي وتكيفه معها[1] . . . ، والعلماء مختلفون في تعريف الذكاء ، ولعله يجمع بين التفطن وسرعة التعلم والفهم لجوهر المسائل، وبين القدرة على التجريد، وحسن التكيف ، والاستفادة من التجارب السابقة ، مع الابتكار والنقد والتوجيه الصحيح .

ويتباين الأفراد في درجة الذكاء ، ويقف أغلبهم في المستوى المتوسط ، بينما يقع أقلهم فوق هذا المستوى أو تحته على درجات تصل إلى الامتياز والعبقرية ، أو البله والعته . ويقاس الذكاء باختبارات مقننة[2] تجري على فئات من الطلبة متقاربة في السن والبيئة . . . وكلما ارتفعت الدرجات في الاجابة على هذه الاختبارات وانخفض السن كلما كان ذلك دليلاً على أن العمر العقلي يسبق العمر الزمني ، أو بالأحرى على ارتفاع مستوى الذكاء .

ويرى (سبيرمان Spearman) ان الذكاء ينقسم إلى عامل عام يشترك في كل العمليات العقلية مع اختلاف في الدرجة[3] ، ويكاد يتوقف نموه بعد الثامنة عشر ، وتأثره بالبيئة قليل ، وعامل نوعي خاص بعملية واحدة ، وتأثره بالبيئة كبير ، كالقدرة على التفكير الحسابي أو الرسم أو الخطابة ، ويتوقف النجاح في العملية الواحدة عليه وعلى العامل

---

(١) الذكي مثلاً أميل للسيطرة . والغبي يسيء معاملة الناس فيكرهونه . ولكثرة فشله يلجأ لما ينسيه هذا الفشل كالمخدرات وغيرها .

(٢) أي صالحة علمياً لمستوى خاص .

(٣) يظهر في دراسة الرياضة والآداب القديمة أكثر مما يظهر في التعليم الحركي والتذكر والعمليات الحسية ، ويلوح في عمليات إدراك العلاقات وأطرافها أكثر مما يلوح في غيرها .

العام [1] .

ويوجد بجانب هذين العاملين عامل طائفي يؤثر في العمليات المتقاربة ، ويعتبر أساساً للمواهب الفردية المبدعة كالموهبة الموسيقية والموهبة اللغوية والمواهب الميكانيكية والفنية والاجتماعية والنفسية .

هذا وتدل الاحصائيات على ارتفاع نسبة الذكاء في الكثيرين من عظماء العالم وعباقرته ، وعلى اطراد دقيق بين الذكاء والتفوق في الدراسة الجامعية ، بينما تدل من ناحية أخرى على تناسب طردي بين الغباء والانحراف الإجرامي .

ذلك أن الذكي يستطيع أن يتبين في سهولة ويسر النتائج القريبة والبعيدة لعمله، وان يقدر خطورة المسؤولية الملقاة على عاتقه مما يدفعه للعمل على الارتقاء بنفسه وتجنيبها الأخطاء ، ولكن ليس معنى ذلك أن الذكاء يكفي وحده للنجاح ، إذ لا بد أن تتوافر إلى جانبه الظروف المشجعة ، والصبر ، والثقة بالنفس ، والعزم القوي ، والإرادة القاهرة ، والتوجيه الصحيح ، بل لقد تنتج هذه العوامل مع الذكاء المتوسط ما لا ينتجه الذكاء الخارق وحده . ومع كل فمن بين الذين اشتهروا في التاريخ اناس ترجع شهرتهم إلى عوامل انفعالية قوية ، وإلى انحرافات وعقد ووساوس ، ومن ثم أتيحت لهم فرصة القيادة ، فسيطروا على الجماهير بالإيحاء والمشاركة والتقليد ، وأحدثوا في التاريخ دوياً كبيراً كالحاكم بأمر الله وجان دارك وهتلر .

هذا وتوجد بجانب الذكاء والمواهب الآنفة قدرات أخرى عامة تقوم عليها نواحي النشاط الإدراكي ، وهي التصور والتخيل والتذكر

---

(١) كلما كانت العملية مشبعة بالعامل العام كلما كان توقف النجاح فيها عليه أكثر من توقفه على العامل النوعي .

والتفكير . فبالتصور نستعيد صور المحسوسات[1] التي أثرت في الحس ثم انقطع تأثيرها عنه . ويغلب علينا التصور البصري ، كما يغلب بنسبة أكثر في المصورين وعلماء الرياضة ، ويغلب في الموسيقيين التصور السمعي .

. وبالتخيل نحلم بما يرفعنا فوق الواقع ويخفف عنا ضغطه ، وبه نؤلف من المحسوسات والحوادث والآراء والنظريات والاختراعات تركيبات جديدة يظهر فيها حظنا من الخلق والابتكار والابداع ، كما نرى في المصور والمثال والأديب والعالم والفيلسوف ، وعلى قدر حظنا من التصور والتخيل يكون حظنا من التذوق والانتاج الفني والعلمي ، وتكون نظرتنا للحياة .

- أما التذكر فنستعيد به ما سبق أن حصلناه ووعيناه من معرفة وتجارب تجعل لحياتنا تاريخاً متصلاً ووحدة مترابطة . وهو قدرة وعمليتان :

قدرة تختلف في الأفراد من حيث النوع[2] والقوة والضعف ، وعملية نستقبل بها المعلومات ونحفظها ونعيها ، وأخرى نسترجعها بها ونتعرفها ونربطها بالزمان والمكان . ولا مندوحة لنا إذا أردنا حفظاً جيداً واسترجاعاً سريعاً مضبوطاً من اتباع قواعد خاصة في الاستقبال والاسترجاع[3] .

وللذاكرة وما تحويه من معارف وتجارب مكتسبة أثرها في قدرتنا على التعلم ، وفي تحديد تفاعلنا وتلوين الجانب الثقافي من شخصيتنا الحاضرة بما يتفق وماضينا .

(۱) كل ما ندركه عن طريق الحواس الخمس يسمى محسوساً .
(۲) للبعض ذاكرة سمعية أقوى من الذاكرة البصرية مثلاً .
(۳) أرجع لباب الذاكرة في الكتب النفسية فهو خير ما يعينك على أفضل حفظ بأقل مجهود .

وللذاكرة وما تحويه من معارف وتجارب مكتسبة أثرها في قدرتنا على التعلم ، وفي تحديد تفاعلنا وتلوين الجانب الثقافي من شخصيتنا الحاضرة بما يتفق وماضينا .

أما التجارب التي تقضي الظروف بتناسيها ، وتستقر في أعماق اللاشعور في صورة عقد نفسية ، فلها هي الأخرى أثرها في سلوكنا وتكيفنا ، وتعمل كعنصر فعال في بناء شخصيتنا .

وأما التفكير فيساعدنا على مواجهة ما يعترضنا من مشكلات لا تسمح معلوماتنا السابقة بحلها ، فنمضي إلى تحديدها وافتراض الفروض وتجربة الحلول ، ثم تعميم ما تثبت التجربة صحته من الفروض كي يصبح قاعدة نطبقها على ما يستجد من حالات جزئية[١] .

وهذه القدرة على التفكير تستغل الذكاء - (أي العامل العام) - والعوامل النوعية والطائفية جميعاً ، وتتأثر بالنحو الذي تنشأ عليه في المنزل والمدرسة والمجتمع[٢] ، وتعمل وتدرك الأشياء وتحكم عليها في إطار من التجارب والثقافات العامة والخاصة التي تكتسبها ، ولذلك يختلف الجانب الثقافي في شخصيات الأفراد تبعاً لاختلاف « عقلياتهم » ، فثمة عقليات علمية وأخرى أمية[٣] ، وثمة عقليات نظرية

---

(١) كلما يفعل العلماء في دراستهم لمظاهر الطبيعة حيث يلاحظون ويجربون وينتهون إلى نظريات تسمح بالتنبؤ بالمستقبل .

(٢) كالسطحية أو العمق ، وكالسرعة في الحكم أو الروية ، وكالاستقلال والتحرر أو الامعية والرجعية ، وكالترابط أو التفكك ، وكالالمام بأطراف الموضوع أو التفكير في مجال ضعيف .

(٣) أي يشوبها الجهل والبعد عن قواعد العلم كالأخذ بالخرافات والتعميمات غير المضبوطة .

وأخرى عملية ، ورجال الشؤون التجارية غير رجال الشؤون الفنية ، وأولئك وهؤلاء غير رجال السياسة أو الدِّين ، وذوي الثقافة الحرة العميقة الواسعة المتجددة ، غير ذوي الثقافة السطحية الفجة الضيقة الأفق المتعصبة ، ولكل فرد من الناس مذهبه في الحياة ، ونظرته في الكون ، وفلسفته وقيمه الخاصة التي يحيا ويتفاعل مع البيئة المادية والاجتماعية على أساسها ، والتي يحصل بها ما يستطيع من نجاح ، ويحتل بها ما يقوى على احتلاله من مكانة في نفوس الغير .

٣ ـ المزاج :

وله بالمثل دور كبير كعنصر أساسي من عناصر الشخصية ، وهو في رأي البعض مجموعة الخصائص الفسيولوجية التي تؤثر في الخلق ، أي انه نتيجة للكيفية التي يمتزج بها ما في جسم الإنسان من عناصر كيماوية ـ وكأن هذه العناصر أوتار مشدودة في صندوق موسيقي ، وتختلف أنغامها باختلاف طبيعتها وطولها وطريقة العزف عليها .

وعلى هذا الأساس قامت النظرية القديمة في الأمزجة الأربعة ، وهي الدموي والصفراوي والسوداوي والبلغمي ، والأول يستجيب بسرعة للاستثارة ، ويميل للمرح والنشاط والتفاؤل والتقلب ، أما الثاني فسريع الغضب في ثبات وعمق وعنف ، وبينما نرى الثالث ينفعل في قوة وثبات ، ويتأمل في بطء ، ويكتئب ويتشائم ، إذا بنا نرى الرابع يميل للسطحية والخمول والبلادة والشره[1] .

ولئن قيل ان الأساس العلمي لهذه النظرية ضعيف[2] ، فلا شك أننا

---

(١) ما زلنا نجد صدى لهذه النظرية عند من يربطون بين المزاج وإفرازات الغدد ، والثابت ان زيادة إفراز الأدرينالين تنتج زيادة في قابلية التهيج والانفعال . وإن زيادة إفراز الغدة الدرقية يسبب النشاط والاحتمال والقوة والشجاعة .

(٢) لأنها تقوم على أساس العناصر الأربعة التي زعم الفيلسوف أمبيدوكل أن كل =

نلاحظ شيوع بعض صفات هذه الأمزجة بالفعل في هذا الفرد أو ذاك .

ومهما يكن فلا ريب أن هناك «إنفعالية عامة» في الأفراد تعمل كطاقة تعمل كطاقة وراء السلوك وتقوم كأساس للذكاء العام وكمنبع للغرائز ، ويختلف الأفراد في حظهم من هذه الطاقة؛ فاناس تشتد فيهم فتعنف انفعالاتهم ، ويفلت زمام أنفسهم من أيديهم ، ويشيع القلق وعدم الاستقرار في نفوسهم ، واناس تضعف فيهم فيكونون أميل للبلادة والخمول ، واناس يقفون بين بين ، فيكونون أميل للاعتدال والهدوء والثبات والنجاح في التكيف مع البيئة .

وقد تغلب في هذه الطاقة العامة انفعالية هذه الغريزة أو تلك في الفرد الواحد[1] ، فنكون إزاء نماذج أو أمزجة مختلفة من الشخصيات بحسب انفعال الغريزة المسيطرة .

ومن التصنفيات الحديثة للشخصية تصنيف (يونج) ، الذي يفترض وجود طرازين أساسيين من الناس ، أحدهما المنطوي ، وهو إنسان هادىء واسع الخيال ، ينفر من الناس ، ويحلق بخياله بعيداً عن الواقع ، وتشوب نظرته النزعة الذاتية ، والثاني المنبسط ، وهو على النقيض يندمج في الجماعة ، ويهتم بالحقائق الموضوعية ، ويتكيف بسهولة مع البيئة ، ويؤثر أن يمثل دوراً جريئاً على مسرح الحياة ولا يحيا متفرجاً فحسب .

= شيء في العالم يتكون منها ، وهي الماء والهواء والنار والتراب . وهو أساس لا يقره العلم .

(١) يقول فرويد ان الصفة الغالبة في الطاقة العامة هي الصفة الجنسية . ويرى أدلر إنها صفة السيطرة والقوة . ويختلف الأفراد على كل حال في قوة غرائزهم سواء عملت هذه الغرائز في صالح غريزة واحدة مسيطرة أو في صالح نفسها .

ويضع يونج إزاء هذين الطرازين أربعة وظائف أساسية للحياة ، هي الإحساس ، والتفكير ، والوجدان والإلهام[1] ، ثم هو يقلب كلا من هذين الطرازين على هذه الوظائف الأربع ، وعلى وسط بين كل أثنين



نقلاً عن الأستاذ البورت Alport

(١) في الإحساس تقيد بالمحسوسات ، وفي التفكير تجريد وإدراك للعلاقات ، وفي الوجدان تغلب للانفعال على حياة الفكر ، وفي الإلهام صوفية تدرك بها الأشياء على أسس غير عقلية وكأنما ندركها بحاسة فوق العقل .

منهما ، ليخرج لنا بستة عشر ضرب من الشخصيات ، . . . ويهذا يكون لدينا المنطوي الحسي أو الفكري أو الوجداني أو الإلهامي ، والمنطوي الذي هو بين الحس والفكر ، أو الفكر والوجدان ، أو الوجدان والإلهام ، أو الإلهام والإحساس . . . وقل مثل ذلك تماماً في المنبسط [1] .

وللبيئة من غير شك أثرها الكبير في تعديل هذه الاستعدادات الوراثية المزاجية ، ثم هي تكسبنا استعدادات أو أمزجة أخرى لها أثرها في تمييز شخصيتنا وتحديد سلوكنا وأعني بها ما مر بنا من عواطف وعقد. ولعلك تذكر هنا أن العواطف تساعد على انتظام الغرائز واستقرار السلوك مما يؤدي للصحة النفسية، وسنرى فيما بعد أن صراع العواطف يفكك الشخصية ويضعفها ويقضي على التكامل فيها.

٤ ـ عوامل البيئة : ـ

وهي المنزل ، والمدرسة ، والمجتمع ، وأثرها في الفرد أوضح من أن يذكر ، وبها تنعقد آمال المربين والمصلحين في تكوين الشخصيات القوية المنشودة .

وفي المنزل توضع اللبنات الأولى في بناء الشخصية ، ولذلك كان عبء الوالدين من هذه الناحية كبيراً وخطيراً ، وكلما فاض جو المنزل بالهدوء والصفاء والعطف ، والحزم والثقة والاحترام ، والتعاون والعدل ، كلما تغذت شخصيات النشء بالغذاء النفسي الذي يوفر له

---

(١) يلاحظ ان أغلب الناس أوساط بين الأطراف المزاجية شأنهم في ذلك شأن متوسطي القامة بين الطوال والقصار وهم أقلية . انظر شكل (٤) .

الصحة ويبعد عنه الانحراف ، ولا شك أن المستوى العلمي للوالدين[1] يلعب دوره في هذه الناحية إلى جانب المستوى الاقتصادي والاجتماعي والاخلاقي . ومن أهم المظاهر التي تؤثر في شخصية الناشىء التدليل الذي يصادفه الطفل الأول والطفل الأخير على الخصوص ، نظراً لما يشيعه في خلق الطفل من رخاوة ولين ، ولما يغرسه بين الأخوة من غيرة وكراهية وتحاسد[2] .

أما المدرسة فمجتمع صغير ينفذ خطة مرسومة من شأنها إعداد الناشىء للحياة السوية في المجتمع الكبير . وما الناظر والأساتذة إلا آباء روحيون لهم من المعرفة والخبرة والإنصاف ما لا يتاح في الكثير من الأحيان للآباء الحقيقيين.

هنا يستنير العقل وينمو على أساس منطقي مستقل ، ويصقل الذوق بشتى الفنون والهوايات ، ويتكون الخلق السليم . وتنضج الشخصية بالاستهواء والمشاركة والتقليد ، إلى جانب العلاج الحازم ، والنشاط الاجتماعي السديد .

وهنا تفتح آفاق جديدة أمام الطالب في النظر والعمل ، ويناقش ما عسى أن يكون في ذهنه من مبادىء وتقاليد لا تتفق ومنطق التطور ، كي تخطو الأجيال دائماً إلى الأمام ، ولا يتوقف تيار الأمة ، ويركد في مجرى الزمن .

---

(١) حبذا لو وقف الوالدان على بعض المبادىء النفسية والتربوية اللازمة .

(٢) ويقابل التدليل القسوة التي تباعد ما بين الطفل ووالديه وتجعله يتعرف انحرافات مختلفة والحق إن سلطة الوالدين ينبغي ألا تحول بين خلق الصداقة بينهما وبين الطفل . ويرى البعض أن أثر الأم ، وهي الصق بالطفل من والده ـ يقدر بـ ٦٠٪ ، وأثر الوالد ٤٠٪ ، وأثر أستاذ كمدرس الكشافة ٢٠٪ بينما أثر المدرس العادي لا يتجاوز ٨٪ ، والأمر يتوقف ـ على أية حال ـ على نوع الاحتكاك بين الطالب ووالديه وأساتذته .

وكم من أستاذ استطاع أن يخرج بشخصية طلبته من العجز والقصور والتخاذل إلى القوة والطموح والكرامة ، بما ضرب لهم من مثل وبث من مبادىء[1] . . .

وأخيراً يأتي المجتمع بماله من أثر في الشخصية . وتنشأ المجتمعات من بيئات جغرافية مختلفة تطبع أفرادها بطابعها ، وكثيراً ما تساعد هذه البيئات على سيادة نوع خاص من الحكم ، وعلى خلق طراز خاص من النظام الاجتماعي ، ومن ثم يوجد الفرد في وسط له من العادات والتقاليد ، والنظم السياسية والاجتماعية ، والقيم الروحية والمادية ، ما يكون له أثر بعيد في ثقافته الاجتماعية ، وما يعمل بالتالي على تلوين شخصيته بلون خاص ، وحسبنا أن نشير إلى الفروق الواضحة بين حياة الرجل الريفي ، ورجل المدنية ، وبين الزارع والصانع وبين سكان الجبال وما فيهم من شدة وصرامة ، وسكان السهول وما فيهم من دعة ولين ، وبين شعوب البحر الأبيض وما يشيع فيهم من انفعالية حادة ومرح ، وسكان الشمال وما يمتازون به من هدوء وسيطرة على النفس ، بل حسبنا أن نشير إلى أفراد الأمم التي تتمتع بنظام ديموقراطي سليم ، وما يشعرون به من عزة وحرية وكرامة ، وأفراد الأمم التي ألفت الإستبداد وما يشيع فيهم من خنوع وتخاذل.

ولكن ينبغي أن نلاحظ على أية حال أن البيئة الجغرافية ليست كل شيء ، وأن اتصال الأمم ببعضها ، وامتزاج الثقافات ، وانتشار التعليم وازدياد السكان ، كل ذلك وغيره يعمل على تطوير المجتمعات ، وتعديل أساليب الحكم فيها ، وتغيير قيمها بما يدخل الكثير من التبديل

---

(١) وبذلك تختلف الشخصيات باختلاف المدارس ونظمها وبرامجها وطرقها التربوية .

بل الانقلاب على حياة الأفراد وشخصياتهم[1] .

٥ ـ الخلق :

وتعتبر هذه الناحية أهم عوامل الشخصية، وهي تتصل اتصالاً أكثر بالنزوع ، وتطلق سمتها البارزة أحياناً على الشخصية كما نفعل حين نتكلم عن زيد بأنه عطوف أو شهم أو أناني أو إيثاري .

والواقع أن سلوكنا يتأثر بكل هذه المكونات السابقة التي مررنا على بعضها في إسهاب ، وعلى بعضها الآخر في إيجاز ، وهو يمر في الظروف العادية بثلاث مراحل متتالية هي مرحلة الغرائز ، ثم مرحلة العواطف ، ثم مرحلة العقل ، ولكنه على كل حال الصدى المحتوم لتفاعل الغرائز والعواطف والعقد (أي المزاج بالمعنى العام) والعقل ، مع البيئة الاجتماعية بمؤثراتها المختلفة في المنزل والمدرسة والمجتمع ، وليست الإرادة القوية هنا إلا الشخصية المتكاملة التي تعمل في تماسك وحزم وصلابة وسيطرة على الذات .

ومن بين الصفات الهامة المميزة لخلق الشخصية بخيرها وشرها الصدق والتعاون والإيثار والاندماج في الجماعة ، والسيطرة والخنوع والمثابرة ، والصداقة والخداع والكذب .

---

(١) كالأمم التي تحررت أخيراً من الاحتلال الملكي الفاسد ، والاقطاع ، وأزيلت من طريقها العوائق ، وإذا كان حقاً ما يقال من اننا نريد الجسم السليم ، فحق كذلك اننا نريد العقل السليم في مجتمع سليم .

(٢) ارجع لعاطفة اعتبار الذات في فصل العواطف .

الفصل الحادي عشر

تكامل الشخصية

امتزاج مكونات الشخصية ـ دراسة الشخصية ـ تكامل الشخصية ـ التكامل عند ماكدوجل وفرويد .

امتزاج مكونات الشخصية :

يقول مورتن برني Mortin Prinoe أن الشخصية هي حاصل جمع كل الاستعدادات والغرائز والميول والقوى البيولوجية الفطرية والموروثة[1] مضافاً إليها ما نكتسبه من صفات .واستعدادات وميول وقد مرت بك في الفصول التسعة السابقة عناصر مختلفة بعضها فطري وبعضها مكتسب ، وهذه العناصر تمتزج امتزاجاً ويفقد كل منها سمته الخاصة ليخرج لنا منها جميعاً (كل) واحد يعبر عن نفسه بهذا السلوك أو ذاك ، ويحتفظ بوحدته التي تميزه عن غيره بفضل الذاكرة وما يختزن فيها من ثقافة وتجارب والحق أن ذلك الامتزاج دقيق[2] بحيث يصعب التمييز في الظاهرة النفسية الواحدة بين ما هو حسي وما هو عقلي وما هو مزاجي وكأنما الظاهرة (زمناً) يدل عليه عقرب الساعة ولكن العقربان

---

(١) الفطري أبعد غوراً من الموروث لأنه يأتينا من النوع ، أما الموروث فمن ، الوالدين أو الأجداد .

(٢) ولذلك كان تحليل الشخصية إلى عناصر منفصلة يفقدها وحدتها .

لا يعملان إلا بجهاز دقيق معقد تتشابك فيه التروس وتتعاون مندفعة بقوة الزنبرك .

ويمكننا على ذلك أن نتبين في شخصية الفرد صفات عامة هي صفات النوع الإنساني ، وصفات خاصة هي صفات الشعب الواحد[1] وصفات أخص هي صفات الوراثة القريبة والبيئة المحدودة التي نشأ فيها ، وهذه الصفات الأخيرة هي التي تميز الفرد عن غيره ، وهي تمتزج ببعضها وبالصفات الأخرى في كل فرد على نحو يخالف امتزاجها في غيره .

دراسة الشخصية : ـ

ولكي ندرس شخصية زيد من الناس يجب أن ندخل في حسابنا كما ذكرنا شكله وحركته وتعبيره ، وسلوكه في الماضي والحاضر ، وخبراته السابقة ، وآماله ومتاعبه ، ورأي الناس فيه ، ورأيه في نفسه ، وما عليه في الواقع .

وهناك اختبارات ومقاييس متنوعة لبعض مكونات الشخصية كالذكاء والقدرات[2] والانفعالية أو المزاج ، وبها نستطيع أن نحدد قوة هذه المكونات ونوعها بالتقريب ، وبالتحليل النفسي نستطيع الوقوف على ما في اللاشعور من عقد[3] ، وبذلك تتكشف لنا جوانب الشخصية وما

---

(١) للمصري طابع الأميركي أو الفرنسي .

(٢) كالقدرة الموسيقية أو الرياضية أو اللغوية . وكالذاكرة والتصور والخيال والتفكير .

(٣) يستعين التحليل بالتداعي المطلق والمقيد ، وبدراسة الأحلام والحركات وفلتات القلم واللسان . ومن التداعي المطلق يجعل الشخص يذكر كل ما يرد على ذهنه حول موضوع خاص يتراءى لنا ان نسأله عنه عند احتكاكنا به على ألا يقاوم المعاني التي ترد قط، وفي التداعي المقيد نضع له قوائم بألفاظ بينها ما يشير إلى موضوعات مقصودة ونطلب منه ذكر أول لفظ يرد على ذهنه بمجرد =

فيها من قوة وضعف ، ويتيسر لنا أن نفهم الجزء الواحد من السلوك في ضوء الكل .»

ويعنى نفر من علماء النفس في العصر الحاضر بدراسة بعض شخصيات التاريخ الفلسفي والأدبي والعلمي والاجتماعي والحزبي والفني على ضوء آثار هذه الشخصيات وتاريخها ، ويلقي بالفعل أضواء كثيرة على الجوانب الغامضة من حياة هذه الشخصيات .

ومن الممتع في الدراسات الأدبية والفنية دراسة التاريخ النفسي للأديب أو الفنان ، والربط بين هذا التاريخ وانتاجه ، بل وتتبع شخصيات أبطال القصص الممتازة بالتحليل ، ورد سلوكها إلى مختلف العوامل المؤثرة في شخصياتها .

تكامل الشخصية :

وتتطور شخصية الطفل من المستوى البيولوجي الذي يسود حياته في الشهور الأولى ، إلى المستوى النفسي الذي تهيمن عليه الدوافع الأولية ، إلى المستوى الاجتماعي الذي يتم فيه الاندماج في الجماعة وقيمها .

وليس تكامل الشخصية بعد هذا إلا نمو مكوناتها ونضوجها على نحو

= وقوع نظره على كل لفظ ودون مقاومة أيضاً. وهناك جهاز يكتشف المقاومة، أما الأحلام فنوعان . أحلام اليقظة وهي ما يتردد في الذهن أحياناً. وأحلام النوع ، وهي كثيراً ما تكون ترجمة صريحة أو مقنعة للاشعور . ودراسة هذين النوعين من الأحلام تكشف عن الآمال والعقد والمتاعب ، وتثير ذلك الجانب الخفي من الشخصية . ومعروف ان الشخص يخجل أو يتأذى من ذكر أشياء كثيرة في أحلامه وتداعياته . ولكن لهذه الأشياء دلالتها الكبيرة عند التحليليين ومتى عرفت العقدة المسببة للإنحراف وطفت على سطح الشعور أمكن تفكيكها بالشرح والإيحاء فلا يلبث الإنحراف أن يتلاشى تدريجياً .

من التوافق والانسجام بين العناصر ، بحيث تلتقي جميعاً في وحدة عامة متناقضة ، شاعرة بذاتها وبقدرتها على الانتاج الحر في مجتمع يعترف لها بالعضوية .

وفي ذلك التكامل إنسجام بين دوافع الفطرة وعوامل البيئة ، وتحرر من الصراع والاضطرابات العقلية والنفسية ، مما يتيح الانتاج والاحساس بالرضاء والسعادة .

ـ والشخصية السوية المتكاملة تحسن التكيف مع نفسها ، ومع أفراد عائلتها ، ومع زملاء المهنة وأفراد المجتمع ، وهي تتفاعل في اتزان واعتدال واثقة بنفسها ، مؤكدة لذاتها في غير تطرف ، موفقة دائماً وبسرعة من غير ضعف ـ بين دافع الفطرة ، وإرادة المجتمع . وبذلك تكون صلاتها طيبة مع الجميع . وقوة احتمالها للشدائد كبيرة ، وانتاجها متصل في حدود طاقتها ، وسعادتها الداخلية عميقة وبعيدة عن التوتر والقلق ، وانفعالها ثابت وخاضع للعقل .

ولا يتسنى هذا التكامل للشخصية إلا بالتربية الشاقة في المنزل والمدرسة والمجتمع ، تلك التربية التي تجعل منها (وحدة) تهيمن على (كثرة) متنوعة[1] .

وإذا لم يتم التكامل للشخصية بقيت نهباً للاضطراب والصراع ، وأكثر تعرضا للانحلال والتفكك والانقسام[1] وغير ذلك من أنواع الانحرافات والأمراض ، لا سيما إذا مر صاحبها بتجارب أليمة وصدمات

---

(١) أن يكون الشخص واحداً بالرغم من كثرة استعداداته المتعارضة .

(٢) يمزق الصراع الطاقة كما قلنا ويعرقل الانتاج ويجعل السلوك متناقضاً أحياناً .
وقد يتعرض الشخص للانقسام فيحيا حياتين مختلفتين غير متعارضتين وقد ينسى ماضيه إطلاق ويحيا حياة جديدة .

عنيفة ، وبذلك يتعرض المجتمع لأساليب متنوعة من مشاكل الشذوذ العقلي والمزاجي والخلقي والاجتماعي ، فضلاً عن ضآلة الانتاج بالنسبة لعدد كبير من أفراده .

كيف يحدث التكامل عند ماكدوجل وفرويد Freud :

ولقد مرت بك عاطفة اعتبار الذات ورأيت كيف تتكون في الناشيء بامتصاص آراء الغير عن شخصيته ، وبادماج هذه الآراء في المثل التي يستقيها من تجاربه وثقافته ويعقدها حول ذاته ومن ثم تسيطر هذه العاطفة على سائر العواطف الأخرى ، وتتوحد الشخصية ، وينحسم الصراع . والحق أن ماكدوجل يعطي لهذه العاطفة كل الأهمية في تكامل الشخصية وتوحيدها . وهي إذا اتزنت نأت بصاحبها عن صلف الغرور والزهو والعناد من ناحية ، وعن استكانة الأمعية والضعف والشعور بالدونية من ناحية أخرى .

وإذا حللنا الجانب الخلقي في شخصية ممتازة السلوك لوجدنا ذلك الجانب يقوم على عواطف قوية تدور حول الواجب وإنكار الذات ، ولا تعبأ بالغرائز أو ببعض العواطف الأخرى (كعواطف الصداقة والحب الجنسي) ، ولوجدنا هذه العواطف القوية مندمجة في عاطفة اعتبار الذات ومنسجمة معها ، وكأننا أمام عصبة قوية متماسكة تدين بالطاعة لزعيمها ، وتتفانى في خدمته وتنفيذ أوامره .

أما إذا لم تكن عاطفة اعتبار الذات من القوة بحيث تهيمن على العواطف الأخرى فإن باب الصراع يظل مفتوحاً ، ويصبح الفرد كالريشة تتقاذفه الغرائز والعواطف جميعاً .

وواضح بعد هذا ان الضمير الخلقي الذي يرضى عن سلوكنا أو يعود علينا باللوم والتأنيب ليس إلا مظهراً لعاطفة اعتبار الذات وما في إطارها من مثل ومبادىء .

على أننا ينبغي أن نلاحظ أن تكامل الشخصية لا يعني دائماً كمالها الأخلاقي . وذلك أن هذا الأخير يتوقف على نوع المبادىء التي تعمل بها عاطفة اعتبار الذات ، وصلتها بالكمال الإنساني من ناحية ، وبالمستوى الخلقي للمجتمع من ناحية أخرى[1] .

ذلك هو التكامل في رأي ماكدوجل . أما التكامل في رأي التحليليين وعلى رأسهم (فرويد) فيأخذ صورة أخرى لعلها لا تختلف في الجوهر عن الصورة الآنفة .

النفس عند ماكدوجل ثلاث طبقات ، طبقة دنيا هي « الهو » وطبقة وسطى هي « الأنا » ، وطبقة عليا هي « الأنا الأعلى » أو الذات العليا .

ويتمثل في « الهو » تراث الجنس البشري كله من حيوانية وأنانية وعدوان . ورائده دائماً اللذة التي تشبع حدة الدوافع الفطرية ، ونزعاته لا تعرف الضمير والأخلاق ، وهو مصدر الطاقة البيولوجية .

أما « الأنا » فقسم انسلخ من الهو نتيجة للاحتكاك بالعالم الخارجي ، ويقوم منه مقام القشرة من الشجرة تحميها وتصونها من الخطر ، وهو يكبح من جماح « الهو » على أساس نفعي ، ويساعده أحياناً على اشباع رغباته في الخفاء إذا كان أشباعها علنا يعرضه للمتاعب والآلام ، ثم هو يسكته عند الضرورة بالكبت أو الإرجاء أو الإعلاء أو الإبدال .

وأما « الأنا الأعلى » فيتكون بامتصاص الأوامر والنواهي ، ويصبح بمرور الأيام سلطة داخلية تحكم وتنفذ وتراقب « الأنا » وتصطرع معه ،

---

(١) دفعت عاطفة اعتبار الذات سقراط وغيره من المصلحين إلى ما اعتبرته الجماهير أجراماً وشراً فكان الموت أو السجن أو النفي والاضطهاد مآل الكثيرن من ذوي الرسالات الإنسانية الرفيعة ، وقد قبلوه ـ أي العقاب ـ راضين لأنه يتفق ومبادىء عاطفة اعتبارهم واحترامهم لذاتهم ، وتقوم السعادة الحقة في العمل داخل نطاق المبادىء السامية لعاطفة اعتبار الذات ، وتحقيق الخير لبني الإنسان .

وتمنعه حتى من مجرد التفكير في الشر . ويشمل هذا الأنا الأعلى تعليمات الأبوين ، إلى جانب آداب الجماعة والدين وما يستطيع أن يحصله المرء في ثقافته من مبادىء ومثل .

وإذا جاز لنا أن نستعير تشبيه أفلاطون الذي يجعل الفرد كالعربة يجرها جوادان ، أحدهما بري نافر ، والآخر مستأنس كريم ، قلنا إن « الهو » يمثل الجواد البري يعرض العربة بجموحه للتلف ، وإن « الأنا » يمثل الجواد المستأنس الذي يستعين به الحوذي في كبح جماح زميله ، وإن تعليمات القيادة في رأس الحوذي تمثل « الذات العليا » لأن العربة لا تتجه إلا وفق هذه التعليمات[1] .

وليست هناك خطوط فاصلة بين هذه المستويات الثلاثة في النفس الإنسانية . ويقوم التكامل في قدرة « الأنا » على التوفيق بين شهوات « الهو » ، ومبادىء « الذات العليا » .

وكلما عجز « الأنا » عن التوفيق كلما اضطربت الشخصية ، وكلما ضعف « الأنا » أو(الذات العليا) أمام جموح « الهو » كلما اندفعت سيارة الحياة بغير قائد أو عجلة قيادة[2] . . . ذلك أن المبادىء السامية لا تكفي إذا كان الفرد لا يثق في قدرة نفسه على تنفيذها ، والثقة بقدرة النفس على التنفيذ لا تغني إذا كانت المبادىء السامية معدومة .

---

(١) وليس الشيطان في الإنسان إلا الهو . وليس الملاك إلا الذات العليا . . والضمير الخلقي هنا مظهر ـ كذلك للذات العليا .

(٢) ولذلك يجب تقوية « الأنا » منذ الصغر بعدم الاسراف في التدليل أو التخويف مع تنمية الثقة بالنفس والاعتماد عليها وعدم تضخيم الذنوب . كما يجب ترفيه « الذات العليا » ببث المبادىء السليمة فيها .

الفصل الثاني عشر

طرق البحث في علم النفس

أولاً : التأمل الباطني :

الظاهرة النفسية حالة يحس بها الشخص ويستطيع أن يعلمها على وجه التحقيق ، ولكن غيره لا يستطيع إدراكها إلا إذا سجلها صاحبها . فإذا كنت حزيناً ، فلا أستطيع أن أدرك حزنك وما يحتمل في نفسك . حقاً قد أحكم من سلوكك أنك حزين ، ولكن ما مقدار هذا الحزن ؟ وما أسبابه ؟ ما صلته بموقفك الراهن ؟ كل هذا تعلمه أنت ، ولكني لا أعلمه . فلكي تدرس هذه الظاهرة لا يمكن لأحد دراستها غيرك ، وذلك بأن تتأمل نفسك وتلاحظها ، لتراقب ما يجري فيها من الحالات والظواهر ، هذه الملاحظة يطلق عليها التأمل الباطني أو الاستبطان أو الملاحظة الداخلية .

وقد وجه إلى هذه الطريقة عدة اعتراضات منها :

١ ـ لا يستطيع الإنسان أن يدرس بها نفسية الحيوان أو الطفل أو الإنسان الشاذ .

٢ ـ دراسة الإنسان لنفسه ليست دراسة دقيقة ، بل هي دراسة متأثرة بميوله وعواطفه ومعلوماته السابقة واتجاهاته الفكرية .

٣ ـ الإنسان في حالة التأمل الباطني يقوم بعمليتين عقليتين في وقت واحد فإذا كنت تقوم بحل تمرين هندسي وتريد أن تتبع الطريقة التي

يتبعها عقلك في الحل فلا بد أن تحل التمرين وأن تتأمل العملية العقلية التي يقوم بها العقل أثناء التمرين في وقت واحد . وقد يبدو هذا صعباً .

ثانياً : طريقة الملاحظة الظاهرة :

إذا أبصرت طفلاً يجري في الطريق، مضطربة أنفاسه، وجهه أصفر، ينضح عرقاً ، فإنك تدرك أن الطفل خائف . فإذا رأيت كلباً ينبح في نفس الطريق ، عرفت أن الطفل رأى الكلب فشعر بالخوف، فحاول الهرب، فأطلق لساقيه العنان.

فسلوك هذا الطفل وتصرفاته تدلنا على حالته النفسية . ومن ثم يمكنك دراسة هذه الظاهرة النفسية من واقع سلوك الطفل وتصرفاته الظاهرة لك .

ويطلق على هذه الطريقة اسم الملاحظة الظاهرة .

ثالثاً : طرق المقارنة :

أ ـ التحليل النفسي : كثير من الناس تصدمهم انفعالات لا يقوون على احتمالها أو يريدون رغبات لا يستطيعون تحقيقها ، فيضطرون إلى كبتها ، فتظهر في أحلامهم في « صورة رمزية » وفي أقوالهم غير المقصودة « فلتات اللسان » .

ودراسة هذه الأحوال تساعدنا على الكشف عن كثير من النواحي التي لا تتضح لنا في الحالات المعتادة . وقد ابتدع فرويد طريقة التحليل النفسي لعلاج المصابين باضطرابات عصبية وأمراض نفسية .

ب ـ دراسة نفسية الحيوان : إن الإنسان يشبه الحيوان في كثير من الأمور ، فهو حيوان ناطق ؛ ومن ثم فدراسة نفسية الحيوان تفيدنا إلى حد كبير في دراسة نفسية الإنسان . ومن أهم الطرق في دراسة نفسية

الحيوان الملاحظة الظاهرة وإجراء التجارب . فلمعرفة أثر الخوف على الأعضاء الداخلية لجسم الإنسان ، أدخل أحد العلماء فجأة كلباً كبيراً على قطة قد انتهت من تناول طعامها . فشاهد بواسطة أشعة إكس أن معدة القطة قد أصابها الشلل مدة من الزمن ، وإن الأوعية الدموية انقبضت عند المعدة واتسعت في أطراف الجسم ، وهذا يبين لنا أثر الخوف على الأعضاء الداخلية في الجسم .

د ـ المقاييس في علم النفس : حاول فريق من علماء النفس قياس الظواهر النفسية بالأجهزة المسجلة والتعبير عنها بلغة رياضية ، فأمكنهم قياس الظاهرة النفسية كالتعب والانتباه والذكاء ولكن هذه الدراسة لا زالت في طور التكوين .

الفصل الثالث عشر

السلوك الفطري والمكتسب

يعرف بعض الناس كيف يعزف على الكمان ، وكيف يكتب على الآلة الكاتبة ، أو كيف يقود سيارة أو طائرة ، أو كيف يسبح ويصارع الأمواج . وهذا سلوك خاص ببعض الناس دون بعض .

ولكن كل إنسان يخاف لو تعرض له وحش كاسر وينزع إلى الدفاع عن نفسه .

إذا حدث ما يهدد حياته ، يبحث عن الطعام ويحتال للوصول إليه . وهذا سلوك عام شائع بين الناس جميعاً .

فالسلوك الخاص بفرد دون فرد يسمى سلوكاً مكتسباً ، ذلك لأن الإنسان يتعلم العزف على الكمان ، ويتدرب على الكتابة على الآلة الكاتبة وهكذا ـ فهذا السلوك قائم على التعلم والكسب .

أما السلوك العام الذي اشترك فيه أفراد النوع الإنساني جميعاً يسمى سلوكاً فطرياً وهو ليس نتيجة التعلم والكسب ، وإنما هو نتيجة لاستعدادات طبيعية تولد مع الفرد ويتوارثها أفراد النوع جميعاً .

والإنسان في ذلك كالحيوان ، كثير من أعماله وسلوكه فطري . وليس من فرق بين سلوك الحيوان والإنسان إلا فرقاً في الدرجة لا في النوع ؛ ذلك لأن الحيوان لا يعدل هذا السلوك الفطري أو الغريزي ، ولا يلائم

بينه وبين تطور الحياة في حين أن الإنسان يستطيع أن يغير ويعدل من غرائزه .

والسلوك الفطري أو الاستعداد الفطري يتمثل في الغرائز والنزعات العامة . أما السلوك المكتسب فيتمثل في العادات . وسندرس كلا من هذه الموضوعات في الفصول التالية .

الفصل الرابع عشر
الاستعدادات الفطرية

عودة إلى الغرائز

حين يبصر الإنسان خطراً يهدد حياته يفر هارباً لأن هناك قوة فطرية في النفس تدفعه إلى الجري والهرب أو الحيلة للخلاص مما هو فيه من الخطر .

والإنسان مدفوع إلى محادثة غيره ، وتعرف أخباره وأسراره ، وهو يجد نفسه مدفوعاً بقوة فطرية إلى تعرف الأسباب التي جمعت الناس في مكان ما . والإنسان إذا بلغ سناً معينة يشعر بدافع فطري يدفعه نحو الجنس الآخر ويعبر عن ذلك بالزواج .

هذه القوى الكامنة في النفس ، أو هذه الاستعدادات الفطرية ، أو هذه الدوافع النفسية هي ما نسميها بالغرائز . ففي المثال الأول كانت غريزة المحافظة على الحياة ، وفي الثاني كانت غريزة حب الاستطلاع ، وفي الثالث كانت الغريزة الجنسية .

ولقد زود الإنسان والحيوان بهذه القوى ليحافظ على حياته ويدرأ عنها الخطر ولكن الإنسان كلما تقدمت به السن أخذ يتعلم كيف يتصرف في حياته ، كيف يأكل وكيف يلبس ؛ وكيف يقرأ ، وكيف يكتب ، وكيف يزرع ، وكيف يحصد . ويأخذ الإنسان في اكتساب كثير من

الصفات ومزاولة كثير من الأعمال ، إذا ما أتقنها أخذ يزاولها دون تفكير حتى ليصبح في كل ما يفعله كالآلة ، لا يفكر فيما يفعل .

ولكن إذا كانت أغلب أعمال الإنسان مكتسبة بالتعلم والخبرة والمران ، فإن القوى الفطرية التي تولد مع الإنسان تظل كامنة تؤدي وظيفتها سواء كان ذلك واضحاً ظاهراً أو خفياً غير مشعور به .

مميزات الغريزة :

١ ـ الغريزة نوعية : بمعنى انها تشمل جميع أفراد النوع بلا استثناء فمثلاً جميع أفراد النحل تستطيع أن تميز بين الزهور التي فيها رحيق من غيرها، وجميع أفراد الطيور تبني أعشاشها في أمكنة حصينة، وجميع أفراد البط والإوز تعوم في الماء ، وجميع الأطفال تستطيع الرضاعة وتبكي إذا ما أحست بالألم والجوع .

هذا السلوك العام الذي لا يخص فرداً دون فرد ، بل يشمل أفراد النوع جميعاً هو سلوك غريزي .

٢ ـ الغريزة فطرية : ليس الطائر في حاجة إلى التعلم لكي يبني عشه ، ولا الإوزة في حاجة إلى من يعلمها العوم ، وليس الطفل في حاجة إلى من يعلمه مص ثدي أمه ، ولكن الفرد في حاجة إلى التعلم لكي يقرأ ويكتب ، في حاجة إلى التعلم لكي يقود سيارته ، أو يركب دراجته ، أو يلبس ثيابه ، أو يسبح في الماء .

فالغريزة تنتقل إلى الإنسان والحيوان عن طريق الوراثة ، ومن ثم فليس الحيوان ولا الإنسان في حاجة إلى التعلم أو التدرب لتأدية العمل الغريزي . ولكن الإنسان في حاجة إلى التعلم والتدرب واكتساب المهارة والخبرة لتأدية العمل المكتسب .

والغريزة فطرية لا بمعنى أنها تظهر مع الكائن الحي بظهوره إلى الوجود ، بل بمعنى أنها غير مكتسبة ، ولا دخل للإنسان في تكوينها .

والغريزة تظهر في الوقت الملائم فغريزة الخوف لا تظهر إلا عند الخطر ، والغريزة الجنسية لا تظهر إلا عند البلوغ ، وليس معنى أن الغريزة تظهر في الوقت الملائم ، إنها تكتسب في ذلك الوقت ، بل هي موجودة منذ الميلاد[1] ، ولكنها في حالة كمون ، ولا تظهر واضحة إلا في الوقت المناسب لظهورها .

والغريزة الخالصة لا تظهر واضحة إلا عند الحيوان والطفل الرضيع ، وكلما تقدمت السن بالطفل ، تحكم في غرائزه ، ووجهها وجهة خاصة وهذا هو الفرق بين الحيوان والإنسان ؛ فالحيوان يخضع لغرائزه خضوعاً أعمى ، أما الإنسان فإنه يستطيع بذكائه وإرادته وتعلمه وخبرته أن يتصرف في غرائزه ويعدلها وفقاً لظروف حياته في المجتمع الذي يعيش فيه فغريزة الدفاع عن النفس تظهر خالصة عند الأطفال في شكل ضرب ولكم وعض بالأسنان وكل جزء في الجسم يؤدي عملاً ما تلبية لنداء هذه الغريزة ، بينما نجد الرجل المهذب والمثقف يدافع عن نفسه ، ولكن بطريقة يظهر فيها أثر التحكم في الغريزة فقد يكتفي بالكلام دفاعاً عن نفسه كما يحدث في ساحة القضاء .

٣ ـ الغريزة عمياء :

الحيوان لا يشعر شعوراً واضحاً بالغرض الذي تحققه الغريزة ، فالنحلة تظل تملأ خليتها بالعسل حتى ولو كانت بها ثقوب ، فهي تؤدي هذا العمل بغريزتها ، ولكن بعض الحيوان بعد التمرين لا يخضع لغرائزه خضوعاً أعمى . أما الإنسان فهو يلائم بين غرائزه وبين الظروف المحيطة به .

---

(١) يرى العلامة فرويد أن الغريزة الجنسية توجد في الطفل منذ الولادة وهو يشتق لذة من الامتصاص بالفم ، ومن التبول والتبرز ، كما يشتق لذة من أجزاء جسمه المختلفة .

٤ ـ الغريزة ثابتة :

أي إن الاستعداد الغريزي لا يمكن استئصاله ، فالخوف مثلاً لا يمكن القضاء عليه . ولا يمكن أن تتصور إنساناً لا يخاف ، وإن تعددت وتنوعت بواعث الخوف .

٥ ـ كل غريزة يصاحبها انفعال معين فغريزة حب الاستطلاع يصاحبها انفعال التعجب ، وغريزة البحث عن الطعام يصاحبها انفعال الجوع ، وغريزة الوالدية يصاحبها انفعال الحنو وهكذا .

التقسيم الثلاثي للغريزة :

لو وجه إليك أحد معارفك لفظاً نابياً أمام زملائك ، لأدركت في الحال أن هناك إهانة لحقت بك ، ولشعرت بالألم ، واستولى عليك الغضب . ثم تحاول أن ترد هذه الإهانة . . مثل هذا السلوك سلوك غريزي ، وكما هو واضح من المثال له مظاهر ثلاثة .

أ ـ إدراك : (أدركت أن اللفظ قبيح وفيه إهانة لك) .

ب ـ وجدان : (الغضب الذي استولى عليك) .

جـ ـ نزوع : (محاولة الدفاع عن النفس برد الإهانة) .

والجانب النزوعي في الغريزة واضح بدرجة كبيرة ، مما جعل علماء النفس يسمون الغريزة بمظهرها النزوعي ، فيقولون غريزة الهرب بدلاً من الخوف ، وغريزة المقاتلة بدلاً من الغضب ، ذلك لأن الهرب هو الجانب النزوعي لغريزة الخلاص (الهرب) والمقاتلة هي الجانب النزوعي لغريزة المقاتلة .

وللجانب الوجداني في الغريزة أثر كبير في سلوك الإنسان ، فإذا رأيت منظراً جميلاً أقبلت نحوه ، وإن كان قبيحاً نفرت منه ؛ فإقبالك أو نفورك نتيجة لما شعرت به من سرور أو ألم .

أما الجانب الإدراكي للغريزة فقد يكون شيئاً مادياً محسوساً وقد يكون ما تتذكره أو تتخيله وقد سبق بيان ذلك عند الكلام على الظاهرة النفسية .

الفعل المنعكس :

هناك سلوك فطري لا يدخل في باب السلوك الغريزي كضيق حدقة العين عند تعرضها لضوء شديد أو إفراز اللعاب عند شم رائحة طعام شهي سيما وقت الجوع ، أو تراجع اليد بسرعة إذا ما وخزت بدبوس أو لامست جسماً ساخناً . ومثل هذا السلوك يسمى بالفعل المنعكس .

والفعل المنعكس ، فعل غير إرادي ، أي لا دخل لإرادة الإنسان فيه . فلا يستطيع الإنسان أن يتحكم فيه ، ويحدث بطريقة ثابتة غير متغيرة، فهو غير قابل للتعديل، وهو أخيراً لا يصدر عن تفكير، إذ لا يصل أثره إلى المخ ، وإنما يقف عند الحبل الشوكي ، وهناك يصدر تيار عصبي يسري في أعصاب الحركة حتى يرد على المؤثر .

الغريزة والفعل المنعكس :

١ ـ الفعل المنعكس بسيط محدود ببعض عضلات الجسم . فتراجع اليد عند ملامستها للجسم الساخن ، هو فعل قامت به اليد فقط ، بينما الغريزة معقدة وتشمل الجسم كله . فالإنسان في حالة الهرب يشترك جميع جسمه في حركة الهرب .

٢ ـ الفعل المنعكس فعل آلي لا يحقق غرضاً معيناً ، أما الغريزة فترمي إلى المحافظة على بقاء الفرد أو النوع أو المجتمع .

٣ ـ الفعل المنعكس لا يتم إلا بمؤثر خارجي ، فلولا الجسم الساخن ما تراجعت اليد ؛ أما الغريزة فلا يكفي فيها المؤثر الخارجي وإنما يجب أن تكون هناك حالة نفسية أو ميل داخلي يسعى الحيوان أو الإنسان إلى

تحقيقه : فالإنسان يتناول الطعام إذا كان جائعاً ، فالطعام مؤثر خارجي بجانبه ميل داخلي يتمثل في الجوع .

٤ ـ وأخيراً الغريزة يتمثل فيها مظاهر الشعور الثلاثة : الإدراك ـ الوجدان ـ النزوع ، أما الفعل المنعكس فليس فيه هذه المظاهر الشعورية الثلاثة .

تعديل الغريزة :

عرفنا ان الإنسان يولد وعنده قوة تدفعه إلى القيام بأنواع من السلوك يخدم كل منها غاية حيوية معينة ، وهذه القوى هي الغرائز ولا يمكن القضاء عليها أو التخلص منها ولكنها مرنة قابلة للتعديل ويمكن توجيهها وجهة تلائم بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه .

فالجانب الإدراكي للغريزة قابل للتعديل . فما يثير الخوف يتعدل مع تطور نمو الإنسان . فما يخاف منه الصغير لا يخاف منه الكبير ، فالأول يخاف الظلام والأصوات المزعجة والحيوانات المنزلية ، والشخص الغريب ، أما الثاني فيخاف العقاب ، والرسوب في الامتحان والعدوى كما يخاف السقوط الاجتماعي والفقر .

ــ والجانب النزوعي له شطران : الشطر الأول هو القوة الدافعة ذاتها ، وهذه لا يمكن تعديلها .

والشطر الثاني هو طريقة تنفيذ الغريزة وهذا هو ما يمكن تعديله . فغريزة المقاتلة يتعدل فيها جانبها النزوعي ؛ فالملاكمة والمصارعة والمبارزة واستعمال المسدسات والسب والهجاء وتدبير المؤامرات والإيقاع وترويج الإشاعات وحرب الأعصاب ، هذه كلها طرق مختلفة لتنفيذ غريزة المقاتلة وأهم العوامل التي تجعل الإنسان يغير ويعدل من طريقة تنفيذ الغريزة ما يصيب سلوكه من نجاح أو فشل فالسلوك الذي

ينجح في تحقيق الغاية يثبت ، أما غيره فيضعف ويتلاشى . فالإنسان مثلاً في مجتمع متحضر لا ينجح بأساليب المقاتلة البدائية من ضرب وعض ونهش فيتعدل سلوكه بما يتفق واتجاهات المجتمع الراقي .

ـ أما الجانب الوجداني فلا يقبل التعديل . فقد يخاف الإنسان الظلام أو الأصوات المزعجة أو الرسوب في الامتحان أو الموت ، ولكن الخوف ثابت في كل حالة لا يتغير في طبيعته وإن تغير في شدته . وقد يغضب الإنسان إذا أوذي أو أهين في كرامته ، أو رأى ظلماً يقع على ضعيف ، ويكون سلوكه إما بالضرب أو النقد أو الشكاية للبوليس أو غير ذلك ، ومهما كانت الناحية الإدراكية أو النزوعية فإن انفعال الغضب موجود ثابت لا يتغير من حيث النوع ، وإن تغير في درجته .

إعلاء الغريزة :

التلميذ الذي يكثر من الاعتداء على زملائه ، ويكثر من التشاجر والمشاكسة، يمكن أن نوجهه وجهة رياضية فيصرف طاقة النشاط الغريزي المتولدة عن غريزة المقاتلة في سائر الألعاب الرياضية من مصارعة وملاكمة وغيرهما . والتلميذ الذي يكثر من التجسس على غيره ويتقصى أخبار إخوانه يمكن أن نوجهه إلى البحث العلمي وأعمال الكشف ، وبهذا نستطيع أن نعدل مجرى الغريزة ونتسامى بها ونوجهها وجهة صالحة ، ونتعالى بها عن مجراها الطبيعي إلى ما فيه خير الإنسان ومنفعته وما يتفق والمدنية الحديثة وهذا ما نعبر عنه بإعلاء الغريزة .

الإبدال :

هو صرف الطاقة الغريزية المتولدة عن غريزة في نشاط مادي . فمثلاً : الغريزة الجنسية قد لا يتيسر إعلاؤها بالزواج . فنوجه صاحبها إلى الألعاب الرياضية أو الموسيقا أو البحث العلمي والكشف أو إلى أي هواية من الهوايات النافعة .

الغرائز الإنسانية :

إن الإنسان بما له من عقل وإرادة وذكاء، يتدخل في أعماله الغريزية ، ويغيرها ويعدلها حتى تتلاءم والوسط الذي يعيش فيه . أما الحيوان فغرائزه ثابتة لا تتغير . وغرائز الإنسان الخالصة من كل أثر للتعديل ، أو التغير تظهر بعد الولادة مباشرة كالرضاعة . ثم يكتسب الطفل بعد ذلك الكثير من المعلومات عن طريق المحاكاة أو التقليد ، وهذا هو الفارق بين الإنسان والحيوان . فالنحلة تقوم بجمع العسل من يوم أن خلقت بطريقة واحدة لا تعديل فيها ولا تغيير ، أما الإنسان فسلوكه يتغير ويتطور كلما اكتسب خبرة جديدة .

ويمكن تقسيم الغرائز إلى أقسام ثلاثة من حيث الغاية ، ذلك لأن الغريزة إما أن تكون غايتها المحافظة على الفرد كالبحث عن الطعام والهرب والسيطرة ، أو تكون غايتها المحافظة على النوع كالغريزة الجنسية ، أو تكون غايتها المحافظة على المجتمع كغريزة الاجتماع والمقاتلة .

أهم الغرائز الإنسانية :

١ ـ غريزة البحث عن الطعام : أنظر إلى قطة جائعة وقد أبصرت في فم قطة أخرى قطعة لحم ـ ألا تشاهد أنها تحاول أن تنتزع قطعة اللحم منها فتجري وراءها محاولة الهجوم عليها؟ ثم انظر إلى طفل رضيع جائع إنه يبكي ويصرخ . ثم انظر إليه بعد الرضاعة ، تجد الابتسامة قد علت شفتيه وأخذ يناغي من حوله .

فالطعام ضرورة من ضروريات الحياة ، بل هو أكثر الأشياء ضرورة للحياة ورغبة الإنسان في الحصول على الطعام هي التي تدفعه إلى العمل والنشاط .

ولما كان الطفل الصغير يضع كل شيء تصل إليه يده في فمه ، فقد بقي لهذا السلوك رواسب كثيرة نستطيع أن نلاحظها فيمن يضع القلم في فمه أو فيمن يلتذ من التدخين كما يقول فرويد ، أو فيمن يضع أصبعه في فمه . ولما كان الإنسان الأول قد اعتمد على الصيد كوسيلة للحصول على طعامه فقد بقيت آثار غريزة الصيد في الإنسان كما نشاهد ذلك عند الطفل حين ينصب الفخاخ للعصافير ، وعند الكبير في صيد الطيور والأسماك والحيوان .

٢ ـ غريزة النفور والتقزز :

ماذا تفعل لو سقطت ذبابة في طعامك ؟ إنك تتقزز منه ولا تتناوله فكيف تكونت هذه الغريزة لديك؟ لقد كنت في صغرك تضع كل ما يصادفك في فمك ، وتبعد عنه كل ما لا تستسيغه أو يؤذيك . ولكن هذه الصورة الأولية للغريزة قد تطورت ، فأصبحت تشعر بالتقزز والنفور عند رؤية الأشياء المؤذية أو التي لا تقبلها من غير ضرورة إلى وضعها في الفم . ثم ارتقى هذا الاستعداد الفطري فأصبحت تنفر وتتقزز من ألوان معينة من الطعام ، وأنواع خاصة من الأشياء . وقد تظهر نفورك من شيء بالبصق لأنك كنت تقذف من فمك كل ما لا تحبه ولا تقبله .

وإعلاء هذه الغريزة يكون بالنفور من الرذائل والعيوب الاجتماعية .

٣ ـ غريزة الخوف والهرب :

إنك تجري وتهرب إذا شعرت بالخوف أو إذا رأيت خطراً يهدد حياتك . فلماذا تهرب من الخطر ؟ إن الهرب قوة زود بها الكائن الحي ليدافع بها عن نفسه ضد الخطر ولكن ليس من الضروري لمن يشعر بالخوف أن يهرب فقد يصرخ أو يبكي أو يقف مبهوتاً .

والخوف فطري لدى الإنسان ، فالطفل الصغير يخاف الضوضاء والظلام ويخاف من الحيوانات المنزلية ومن اللعب الآلية المتحركة .

ولكن إذا كان الخوف فطرياً ، فما يثيره لدى الإنسان قد اكتسبه بالتعود ، فقديماً كان الإنسان يخاف الرعد والبرق والظلام ، أما اليوم فالإنسان يخاف الفشل في الحياة أو العدوى من الأمراض أو السقوط الأدبي والاجتماعي .

ونستطيع أن نعدل هذه الغريزة فنجعل الطفل يخاف من القذارة فينشأ نظيفاً ومن الرسوب في الامتحان فيجد ويجتهد وهكذا .

٤ ـ غريزة الكفاح والغضب :

إذا اعتديت على قطة زمجرت غضباً وأخذت تموء وتحاول أن تهجم عليك . وإذا تعدى شخص على آخر فقد تنشب بينهما معركة حامية وربما تنتهي بجريمة قتل . وإذا خطف زميلك شيئاً كان في يدك ، شعرت بالغضب يستولي عليك ، وقد تهجم عليه تريد انتزاعه منه ، وقد تضربه ، وقد تسرها في نفسك وتوطد العزم على الانتقام منه .

فالإنسان إذا ألم به خطر قد لا يفر ولا يهرب ولكنه يكافح ويناضل والكفاح قوة فطرية تدفع الإنسان إلى المقاتلة . والغضب يمد الإنسان بطاقة عصبية قوية تساعده على عمل لم يكن ليستطيعه في ظروف أخرى ، فالغضبان قد يصرع عدوه فيقتله ، ولسرعة الدورة الدموية وتهيج الأجهزة الجسمية وتوتر العضلات والأعصاب ، لا يكون الغضبان قادراً على ضبط نفسه ، وتحكيم إرادته وعقله ، ولذا قيل : الغضب جنون يدوم ساعة ويزول .

ويستطيع الإنسان أن يعلي هذه الغريزة بصرف طاقة نشاطها فيما يعود عليه بالنفع ، كالألعاب الرياضية ، وحل مشاكل الحياة وصروف الأيام وهذه تحتاج إلى كثير من الكفاح والصراع .

والكفاح والهرب وسيلتان للمحافظة على حياة الكائن الحي ، فهو

يكافح وقت الكفاح ويهرب وقت الهرب وفقاً للظروف الخارجية ـ ولكن قد تتغلب غريزة على غريزة ، فإذا ما تغلبت في الإنسان غريزة الكفاح كان شجاعاً ، وإذا تغلبت غريزة الهرب كان جباناً .

٥ ـ غريزة حب الاستطلاع :

إذا أبصرت جمعا من الناس حول سيارة أخذت تسأل : لم اجتمع الناس ؟ وماذا حدث ؟ وماذا أصاب الرجل الراقد على الأرض ؟ تسأل هذه الأسئلة كلها وتحاول أن تتبين الحادث بنفسك . إن الباعث لك على هذا هو قوة تدفعك إلى ما حدث وتدفعك إلى السؤال والتساؤل . تلك هي غريزة حب الاستطلاع .

هذه الغريزة هي التي تدفع الإنسان إلى تعرف المجهول ، أو إدراك ما يحيط به من ظواهر الكون . هذه القوة الفطرية هي التي تدفع الطفل إلى كثرة السؤال وإلى تحطيم لعبة لمعرفة ما فيها . وهي التي دفعت الإنسان إلى الكشف عن المجهول في العالم . فهي إذن أساس المعرفة والعلم ، وعليها تقوم الحضارة والمدنية .

وقد تسير هذه الغريزة في مجرى لا يرضى عنه المجتمع ولا الأخلاق ، فيحاول بعض الناس التجسس والاطلاع على أسرار غيرهم والكشف عن عيوب الغير ، وهي بهذا الوضع يمكن إعلاؤها فتقام المحاضرات والمناظرات ، ويهتم بالرحلات وأعمال الكشف والاطلاع على الكتب وغير ذلك .

٦ ـ غريزة الاجتماع :

قد تشعر بالانقباض إذا ما جلست وحيداً ، فتهرع إلى الطريق أو تذهب إلى ناديك وتجلس وسط زملائك فتزول عنك الحالة النفسية التي شعرت بها والتي دفعتك للخروج . وقد تحادث جارك في القطار أو السيارة وتقطع مسافة السفر في الحديث . فالقوة التي دفعتك إلى

الجلوس وسط الناس ودفعتك إلى التحدث إلى جارك ، هي غريزة الاجتماع .

فالإنسان لا يستطيع أن يعيش وحيداً ، وهو كما يقول أرسطو : « مدني بالطبع » والعزلة قاسية قد تؤدي إلى الجنون ، ولهذا كان أشد أنواع الحبس قسوةوإيلاماًللنفس هو الحبس الانفرادي . وإذا كان هناك نساك وزهاد يحبون العزلة فهؤلاء شواذ يهربون من المجتمع ويقاومون الغريزة بعاطفة دينية قوية .

وقد يشعر بعض الناس بالخجل ، وهو ينشأ عادة من عدم الاختلاط ومن التشديد في آداب السلوك منذ الطفولة ، لذلك يجب أن تهيأ للطفل فرصة اللعب مع غيره من الأطفال حتى يعتاد معاشرة الناس ولا يشعر بالخجل إذا كبر . وتعدل هذه الغريزة بالاشتراك في جمعيات النشاط المدرسي والجمعيات الخيرية وما إليها .

٧ ـ غريزة السيطرة والانقياد :

انظر إلى الأطفال وهم يلعبون ، تجد أن أكثر من واحد منهم يحاول أن يترأس اللعبة ، وتجد آخرين تبدو عليهم الاستكانة والخضوع . وفي جمعيات النشاط المدرسي يتسابق بعض أفرادها في طلب رئاستها . بينما يخضع البعض لمن يتولون رئاستهم في هدوء واطمئنان . ذلك لأن الإنسان اجتماعي بطبعه ، وأفراد المجتمع لا يتشابهون بل يتدرجون في سلم القوة والضعف ، والسيطرة والانقياد . ومن ثم يميل بعض الناس بفطرتهم إلى الخضوع والانقياد ويميل آخرون إلى السيطرة وحب الرئاسة . ولكن على الإنسان ألا يبالغ في السيطرة فينقلب مغروراً مستبداً وألا يبالغ في الانقياد والخضوع فيصبح ذليلاً مغلوباً على أمره .

وتعدل غريزة السيطرة بإلقاء نوع من المسؤولية على التلميذ فينشأ

مثلاً الحكم الذاتي في المدرسة وفيه يشترك التلاميذ في إدارة المدرسة مع المختصين . كما يعدل الانقياد باحترام القوانين والعرف والتقاليد وغير ذلك .

الفصل الخامس عشر

ثانياً ـ الميول الفطرية الاجتماعية أو النزعات العامة

يمتاز الإنسان عن الحيوان بأنه اجتماعي وغريزة الاجتماع هي التي تدفعه لأن يعيش في مجتمع ، وميله المنبعث من حاجته إلى التجمع يتطور بحيث لا يقتصر على مجرد وجوده مع أفراد جنسه ، بل إنه يجد نفسه مدفوعاً إلى الإنسجام في أوضاعهم والتمشي مع عاداتهم والإيمان بعقائدهم . فاحتكاك الأفراد بعضهم ببعض نتيجة لغريزة الاجتماع ينشأ عنه ميول اجتماعية فطرية . وهي اجتماعية لأنها لا تنشأ إلا في مجتمع وفطرية لأنها لا تعلم ولا تكتسب وإنما تخرج من مكمنها بمجرد وجود الإنسان في مجتمع . وهذه الميول الفطرية الاجتماعية (النزعات العامة) ثلاثة :

الايحاء ـ المشاركة الوجدانية ـ التقليد

الفرق بين الغرائز والنزعات العامة :

١ ـ ليس للنزعات العامة مثيرات خاصة ، أي ليس لها ما يثيرها كالغرائز فمثلاً الشيء المجهول يثير غريزة حب الاستطلاع .

٢ ـ ليس للنزعات العامة انفعال خاص ، بينما الغرائز لكل منها انفعال معين .

٣ ـ لا تظهر النزعات العامة إلا في مجتمع لأنها نتيجة تأثير وتأثر بين الناس في المجتمعات ، بينما الغرائز تظهر سواء وجد الإنسان في مجتمع أم لم يوجد .

النزعات العامة ومظاهر الشعور الثلاث :

هذه النزعات العامة (الميول الفطرية الاجتماعية) ترتبط بنواحي الشعور الثلاث ، الإدراك والوجدان ، والنزوع . فانتقال الأفكار من شخص إلى شخص (وهذا وجدان) يدخل في باب الإيحاء . وانتقال الأنفعال من فرد إلى فرد (وهذا وجدان) يدخل في باب المشاركة الوجدانية ، وانتقال لون من ألوان السلوك (وهذا نزوع) يدخل في باب التقليد .

أي أن النزعات الثلاث تمثل نواحي الشعور الثلاث . فالإيحاء (إدراك) والمشاركة الوجدانية (وجدان) والتقليد (نزوع) .

١ ـ الإيحاء :

هل تستطيع أن تصف لي شجرة المكرونة ؟ إنك بلا شك قد أكلت منها كثيراً فإن ثمرها مختلف الشكل ، لذيذ الطعم ، خصوصاً إذا أكل مع اللحم المفروم ـ لعلك حين قرأت هذا السؤال كدت تصدق أن المكرونة تزرع وأن لها شجرة ، بل لعلك تخيلت أنها شجرة ضخمة ، تتدلى منها العيدان ، ذلك انه من طبيعة كل إنسان أن يتقبل آراء غيره مصدقاً لها ، ولا يحاول البحث عن مصدرها ، وقليلاً ما يعمل الإنسان عقله فيما يسمع من أخبار ، وفيما ينقل إليه من حديث . هذا الاستعداد الفطري يسمى بالإيحاء .

ويرجع تفاوت الناس في مدى قبولهم للإيحاء إلى ما يأتي :

١ ـ قوة شخصية الموحي : إذا سمعت حديثاً من زعيم ديني أو سياسي ، فإنك تتقبل آراءه دون تفكير ، سيما إذا كنت مشايعاً له .

٢ ـ جهل الإنسان أوقلة معلوماته وخبرته : فتصديق العامة للخرافات وتصديق الطفل لكل ما يقال يبين لنا أثر الجهل في تقبل الإيحاء .

٣ ـ الحالة الوجدانية للشخص : إذا سمعت سوءاً عن شخص تكرهه ، فلا شك أنك مصدق للخبر دون تمحيص أو إنكار .

٤ ـ الحالة الجسمانية للشخص : فالمريض يقبل على دواء يوصف له ، متأثراً بما يسمعه عن فائدته من طبيب أو غير طبيب .

٥ ـ التكرار : الإعلان الذي يتكرر باستمرار في أوقات مختلفة غير متباعدة يترك أثراً قوياً فيمن يراه .

أنواع الإيحاء :

١ ـ إيحاء خارجي : وهو ما سبق الكلام عليه .

٢ ـ إيحاء ذاتي : وهو يصدر من الشخص إلى نفسه ، فإذا أوحيت إلى نفسك بالنجاح فهذا يساعدك على الوصول إليه ولا يترك لليأس سبيلاً للتسرب إلى نفسك .

٣ ـ الإيحاء العكسي . وهو الذي ينتج خلاف المقصود منه . فإذا كنت تشتري قطعة من الصوف وأسرف التاجر في مدح هذا النوع من الصوف وألح عليك في شرائها لجودتها وقيمتها ، وإنه لا يوجد غيرها وأن المصنع الذي صنعها سوف لا ينتج هذا النوع مرة أخرى ، فقد تزهد في شرائها .

أثر الإيحاء في التفكير والتعليم :

١ ـ لولا وجود هذه النزعة الفطرية العامة لدى الإنسان ، لما تعلم شيئاً . فالطفل في البيت والتلميذ في المدرسة يستمع لمن يقومون على تربيته وتعليمه . ويصدق كل ما يسمعه ، وبهذا يتعلم ويكتسب خبرات جديدة . وليس الطفل والتلميذ فحسب بل الإنسان الكبير يقوم جزء كبير

من معرفته على الإيحاء .

٢ ـ لما كان الطفل سريع التصديق لكل ما يسمعه ، وجب ألا نسمعه شيئاً يثير في نفسه الخوف والرعب فلا « تخيفه من العفريت أو من الغول الأسود أو من الشرطي » .

٣ ـ كلما كان الإنسان أكثر قبولاً للإيحاء كلما كان أقل تفكيراً وابتكاراً لأن الإنسان الذي يتقبل دائماً أفكار غيره لا يدع لنفسه فرصة للتفكير ومن ثم يكون ضعيف الابتكار .

أثر الإيحاء في العلاج النفسي :

يستفاد به في علاج كثير من الأمراض النفسية . والحالة الآتية تبين لك أهمية الإيحاء في شفاء بعض الأمراض النفسية .

شكا مريض إلى طبيبه آلاماً كثيرة في جسمه ، وبالكشف عليه وجد أنه خال من الأمراض وأن ما يشكو منه هو مجرد وهم ، ولكن المريض لم يقتنع برأي الطبيب ، وإزدادت حالته سوءاً بسبب ما يعانيه من الأوهام ، وأصبح يتصور شبح الموت أمامه في كل لحظة ، وتردد على كثير من الأطباء ، وكل منهم لا يعرف له مرضاً معيناً إلا أن أحدهم عرف أن الرجل يعاني حالة نفسية وليس مرضاً جسمياً فأخبر الرجل بأنه مريض حقاً ، وإنه سيصف له دواء يبرؤه من علته . فاطمأن الرجل إلى الطبيب الذي وصف له الدواء ، وأشار عليه بصيدلية معينة لشرائه منها ؛ وبينما كان المريض في طريقه إلى الصيدلية ، كان الطبيب يتصل بالصيدلية « تليفونياً » ليخبر الصيدلي المريض بأن الدواء غير موجود ، وسوف يصل في مدى يومين بالطائرة . ولما عرف المريض ذلك ، ازداد شوقه إلى هذا الدواء النادر الذي سوف يحمل له الشفاء . وبعد أن حصل المريض على الدواء واستعمله عاده الطبيب فوجده أكمل ما يكون صحة

وأتم ما يكون عافية .

ولعلك الآن قد عرفت أن الطبيب قد أوحى إلى الرجل بأنه مريض فعلاً ليكتسب ثقته ، وأن الطبيب لم يكتب له سوى بعض الأدوية المقوية ، وإن الطبيب حاول أن يزيد من ثقة المريض فيه بأن جعله يعرف أن الدواء المطلوب نادر الوجود ليتلهف عليه المريض فيزداد ثقة بطبيبه . وبذلك استطاع الطبيب أن يعالجه بالإيحاء لا بالدواء .

٢ ـ المشاركة الوجدانية :

يحدث كثيراً أن تجلس إلى أصدقائك فيروي أحدهم نكتة فتضحكون جميعاً ، ثم تسأل جارك أن يعيد لك النكتة لأنك لم تسمعها جيداً ، مع أنك ضحكت مع الضاحكين . فكيف ولماذا ضحكت مع أنك لم تسمع النكتة ؟

إن ما حدث هو انتقال الانفعال (السرور والضحك) من أصدقائك إليك وانتقال الانفعال أو العاطفة من فرد إلى آخر يسمى بالمشاركة الوجدانية . وهي ميل فطري عند الإنسان يدفعه إلى مشاركة غيره في انفعالاته من فرح وحزن . ويختلف الناس في مدى استعدادهم للمشاركة الوجدانية ؛ فالمرأة أكثر استعداداً لها من الرجل والصغير أكثر من الكبير ، والجاهل أكثر من المتعلم . والمشاركة الوجدانية أساس العزاء في المآتم والتهنئة في الأفراح ، ووحدة الأمة وتماسكها ترجع إلى هذه المشاركة الوجدانية .

٣ ـ التقليد :

إذا ابتكرت إحدى « الموديات » فسرعان ما تنتشر بين الأفراد وهذا يرجع إلى نزعة في الإنسان تدفعه إلى تقليد غيره ومحاكاته . فالطفل يقلد أباه والتلميذ يقلد أستاذه ، وجميع أفراد المجتمع يقلد بعضهم

بعضاً . وعن طريق التقليد نتعلم اللغة والكتابة وكثيراً من ألوان السلوك ، ويرجع التقليد إلى ما في طبيعة الإنسان من غريزة الخضوع والانقياد .

أنواع التقليد :

التقليد نوعان : مقصود وغير مقصود .

التقليد المقصود : وهو ما يرمي إلى غاية معينة يقصد إليها الإنسان كتعلم الموسيقى وسائر المهارات المختلفة ؛ أو تقليد شخص له مركز اجتماعي ممتاز . فانتشار الأزياء مثلاً يبدأ بالطبقات الراقية ، فتقلدها الطبقة الأقل منها مركزاً وثروة . ويلاحظ أن الإنسان لا يقلد إلا من يعتقد أنه أحسن منه ليصل إلى مستواه ، كما إنه يخشى تقليد من يعتقد انه أقل منه خشية النزول إلى مستواه . ولهذا نرى أن الأزياء الحديثة متى انتشرت في الطبقة الدنيا أقلعت عنها الطبقة الراقية .

التقليد غير المقصود : هو الذي يقوم به الإنسان دون أن يشعر به أو يقصد إليه ؛ كتقليد الطفل لآداب من يحيطون به ، أو لغة أبويه ، أو لهجة قومه ..

أهمية التقليد : التقليد أساس السلوك في الحياة فعن طريقه يكتسب الإنسان بداية الأعمال الجديدة ويتعلم اللغة والآداب الاجتماعية ومعظم سلوك الإنسان يرجع إلى ما فيه من ميل للتقليد .

الفصل السادس عشر

الاستعدادات المكتسبة

العادة :

إنك تتناول طعامك بطريقة مهذبة تتفق والوسط الذي تعيش فيه « بالشوكة والسكين مثلاً » وترتدي الملابس وتربط رباط العنق ، وتقرأ وتكتب كل ذلك تؤديه سهلاً هيناً دون مجهود أو تفكير بل تؤديه بطريقة آلية ـ فكيف تكون هذا السلوك ؟

إن مثل هذا السلوك ليس فطرياً في النفس ، لأنه ليس عاماً فأنت لم تكن تستطيع أن تتناول طعامك بنفسك بطريقة مهذبة وأنت صغير . فلا بد أنك تعلمت هذا السلوك ولا بد أنك تدربت عليه مدة طويلة ، ولا بد أنك أخطأت كثيراً قبل أن تصل إلى درجة الإتقان ، فتستطيع اليوم أن تتناول طعامك بطريقة مهذبة دون حاجة إلى جهد أو تفكير فيما تعمل .

هذا السلوك المكتسب الذي تعلمته وتدربت عليه ، وأخطأت فيه مرة وأصبت أخرى في تعليمه ، يسمى « عادة » ، فالعادة إذن ميل مكتسب إلى أداء عمل من الأعمال بشكل آلي .

أنواع العادة :

١ ـ عادة حركية : وتتمثل في طريقة المشي أو الجلوس أو العمل أو في الاشارات التي تصاحب الكلام .

٢ ـ عادة عقلية . وتتمثل في الأسلوب ، فلكل إنسان أسلوبه الخاص في حديثه وفي كتابته ، فأنت إذا قرأت مقالاً فيمكنك أن تحكم بأنه للدكتور طه حسين أو لغيره من الكتاب مثلاً . ذلك لأن لكل كاتب أسلوب خاص يميزه عن غيره .

٣ ـ عادة وجدانية : وتتمثل في حب الحق والعدل والخير والجمال .

تكوين العادة :

يقولون إن العادة امتداد للغريزة ، فالأكل غريزة ، ولكن طريقة تناوله عادة والمشي غريزة ، ولكن طريقة المشي عادة . والاستطلاع غريزة ، ولكن حب الإطلاع والبحث عادة . وللإيحاء والتقليد أثر كبير في تكوين العادات .

فائدة العادة :

١ ـ توفر الوقت والمجهود : انظر إلى فتاة مبتدئة في تعلم شغل الصوف « التريكو » وانظر إلى تعثرها في العمل والمجهود الذي تبذله ، وانظر إلى الوقت الطويل الذي تقطعه في جزء قليل من العمل ، ثم انظر إلى أخرى وقد تدربت على هذا العمل ووصلت به إلى درجة الاتقان . تشاهدها تشتغل بمنتهى السرعة وبأقل مجهود ، وتتحدث إليك ولا تكاد تفكر فيما تفعله أصابعها بخيوط الصوف . والفلاح الذي تعود أن يعمل في حقله طول اليوم تحت أشعة الشمس المحرقة ، لو تناول القلم ليكتب به دقائق معدودة لأصابه الإعياء والملل ؛ بينما الطفل الصغير يمسك قلمه ويكتب به مدة طويلة دون أن يصيبه تعب أو إعياء .

٢ ـ اكتساب المهارة والإتقان : انظر إلى الشخص الذي يكتب على الآلة الكاتبة (التايبرايتر)، تراه بعد مدة طويلة من التدريب والتمرين قد وصل إلى درجة عظيمة من المهارة والاتقان في الكتابة ؛ فقد يكتب وهو مغمض العينين وبسرعة وإتقان متناهيين .

٣ ـ العادة تكون الشخصية : تظهر العادات الإنسان على حقيقته . ويمكن الاستدلال على شخصية المرء من عاداته ، وقد استفاد رجال الشرطة من هذه الحقيقة لأن كل لص قد اعتاد نوعاً معيناً من السرقة لا يتعداه ، فأصبح من السهل على رجل الشرطة أن يتعقبه .

ضرر العادة :

إذا ثبتت العادة في الإنسان أصبح من الصعب تغييرها ؛ لأنها حينئذ تتأصل في النفس . ولذا يقال « العادة طبيعة ثانية » ولكن الإنسان قد يضطر لتغيير بعض عاداته ليلائم بين نفسه والوسط الذي يعيش فيه . فأنت إذا سافرت إلى بلد أجنبي لتعيش فيه مدة طويلة ، فقد تضطر إلى تغيير الكثير من عاداتك التي ألفتها في بيئتك لكي تتلاءم مع الحياة الجديدة ، وقد تجد صعوبة في هذا التغيير . وغني الحرب مضطر إلى تغيير الكثير من عاداته التي ألفها وهو فقير ، فيجد صعوبة في هذا التغيير . وقد يستطيع أن يغير بعض عاداته ولا يستطيع تغيير البعض الآخر ، فتظهر حياته الجديدة في لون عجيب من التناقض . وهذا ما يجعله مثار تهكم المجتمع ومثار تندر الناس ومثار ضحكهم وسخريتهم ومعين لا ينضب للرسوم الهزلية (الكاريكاتير) .

تكوين العادات الجديدة :

ويمكنك أن تكون عادة جديدة إذا اتبعت القواعد الآتية :

١ ـ فكر فيما تريده وابحثه بحثاً دقيقاً ، فإذا ما أدركت فائدته ، كان هذا باعثاً قوياً يدفعك إلى التنفيذ السريع .

٢ ـ ابدأ بعزيمة قوية صادقة .

٣ ـ إذا اقتنعت بالفكرة التي تريدها فنفذها في الحال .

٤ ـ احذر الشذوذ ولو مرة واحدة حتى لا تهدم ما بنيته .

والآن من السهل جداً أن تعود نفسك أن تذاكر دروسك أولاً بأول ، ومنذ بدء العام الدراسي ، إذا ما أحسنت تطبيق القواعد السابقة ، وأنت إذا فعلت ، فستكون في مقدمة الناجحين ويمكنك أن تستغل هذه القواعد في اكتساب عادات جديدة تسمو بك وترفع من شأنك .

الاقلاع عن العادات السيئة :

إذا أراد شارب الخمر أن يقلع عن هذه العادة فعليه أن :

١ ـ يستبدل بالعادة القديمة عادة جديدة نافعة ، فيعود نفسه شرب عصير الفواكه مثلاً .

٢ ـ يتجنب كل ما يذكره بالعادة القديمة ، فيترك الحانة التي تعود الشرب فيها ، ولا يمر بالشارع الذي تقع فيه ، ويبتعد عن أصدقائه الذين كان يشاركهم مجالس الخمر .

٣ ـ يوحي إلى نفسه بأن عادته القديمة سببت له آلاماً : فالخمرة قد أنهكت قواه وبددت ثروته وأفسدت أخلاقه وجعلته سخرية الناس ، فهو بذلك يربط بين شرب الخمرة وبين آثارها السيئة ، فيبتعد عنها .

ويمكن للإنسان أن يتخلص من عادة التدخين وغيرها من العادات السيئة إذا كان صادق العزم قوي الإرادة .

الفصل السابع عشر

الحياة الوجدانية

١ ـ الانفعالات :

ما هو الانفعال ؟

إذا كنت مرتدياً حلة بيضاء وزلت قدمك فوقعت على الأرض ، وعلق الوحل بثيابك فانك تشعر بالغضب والخجل . وإذا كنت تتصفح جريدة لتقف على الأخبار ففوجئت بنتيجتك معلنة في نفس الجريدة ووجدت رقم جلوسك بين الناجحين . فإنك تشعر بفرح وسرور عظيمين . وإذا كنت تمرح وتلعب وإذا بك تفاجأ بخبر وفاة عزيز لديك فإنك تشعر بحزن عميق .

لقد اصطدمت بشيء غير متوقع في كل حالة من هذه الحالات . فبينما تيار تفكيرك يسير في اتجاه معين إذ به ينقطع فجأة ويتحول إلى مجرى جديد . هذا التحول الفجائي في التفكير أو هذا الاصطدام الفكري بشيء غير متوقع هو صدمة نفسية يعبر عنها بالانفعال . والانفعال دليل على أن التوافق الذي كان محققاً بين الكائن الحي وبيئته قد هدد واضطرب .

والانفعال نوع من السلوك لا يخطئه المشاهد لما يصحبه من تغير في أسارير الوجه ومن حركات جسمية وتعبيرات لغوية . فهو حالة بارزة لأنه يعقب حالة سكون واطمئنان .

أنواع الانفعالات :

١ ـ الانفعالات الأولية :

لكل غريزة انفعال خاص ، فغريزة الهرب انفعالها الخوف ، وغريزة المقاتلة انفعالها الغضب ، وغريزة حب الاستطلاع انفعالها التعجب هذه الانفعالات تعرف بالانفعالات الأولية وهي العناصر الأساسية في الغرائز .

٢ ـ الانفعالات الثانوية :

هي مزيج من انفعالين أوليين أو أكثر فانفعال الغيرة مزيج من الغضب والحنو .

٣ ـ الانفعالات المشتقة :

وهذه لا تكون مرتبطة عادة بالغريزة ، ولكنها تظهر عادة أثناء الفعل الغريزي ؛ ذلك أن الإنسان أثناء شعوره بالخوف فعلاً ، قد يشعر باليأس من الهرب أو الأمل فيه . فكل من اليأس والأمل انفعال مشتق .

أثر الانفعال في العقل :

يؤثر الانفعال على العقل بتنشيطه أو بتثبيطه ، فقد تتدفق المعاني ، ويخصب الخيال ، ويبزغ نور الإلهام فجأة ، وتبرز الأفكار الجديدة التي تمهد السبيل إلى الاختراع والابتكار . وعلى العكس ، قد يؤدي الانفعال إلى اضطراب التفكير ، فيخلو الذهن من المعاني الدقيقة الواضحة ، ويصبح الشخص عاجزاً عن مواصلة التفكير وعن القول والعمل المنظم ، عاجزاً عن فهم الموقف الذي يحيط به . وكذلك يعجز المنفعل بعد زوال أثر الانفعال عن أن يتذكر دائماً الحوادث التي أثارت انفعاله . وسواء كان الانفعال منشطاً أو مثبطاً فإن النشاط الذهني أثناء الانفعال يكون أقل تماسكاً من مستوى الشخص الهادىء الضابط

لنفسه ، لأن الانفعال يؤدي إلى تضاؤل مقدرة الشخص على التفكير الصحيح ، وتضعف إرادته . وعند ذلك يصبح خاضعاً لغرائزه خضوعاً أعمى فينكشف قناع العادات والآداب الاجتماعية المكتسبة فتبرز حقيقة الإنسان خالصة فيرجع إلى الحالة البدائية ، أو يتصرف تصرف الأطفال . فالإنسان في حالة الغضب الشديد كالمجنون ، تصدر عنه كثير من الألفاظ النابية والتصرفات الغريبة التي لا تتفق مع مركزه الثقافي والاجتماعي ولذا قيل « الغضب جنون يدوم ساعة ويزول » .

أثر الانفعال في الجسم :

يترتب على الانفعال تغيرات جسمية واضحة ، فشعور الإنسان بالقلق النفسي ينتج عنه حالة إمساك ، وحالة الامساك بدورها تزيد من حدة الشعور بالقلق . وكذلك ينتج عن الغضب والخوف حالة مزمنة من سوء الهضم ، وارتفاع ضغط الدم . وكثير من التلاميذ تنتابهم الأمراض في الأسبوع السابق للامتحان ولا ترجع معظم هذه الأمراض لسبب جسماني كالتعب أو الإرهاق في العمل ، بل يرجع معظمها إلى الخوف اللاشعوري من مجابهة اختبار لا مفر منه .

أجرى أحد علماء النفس « كانون » تجربة لملاحظة ما يصحب الانفعالات من تغيرات جسمية ، ففحص بواسطة أشعة رونتجين قطة بعد أن تناولت غذاءها ، فرأى أن المعدة تقوم بحركتها المنتظمة بعملية الهضم . ثم أحضر أمامها كلباً كبير الحجم ، فلاحظ أن عملية الهضم وقفت دفعة واحدة ، وأن الأوعية الدموية انقبضت في المعدة واتسعت في الأطراف ، وزاد ضغط الدم زيادة كبيرة في الأطراف ، وفوق هذا لاحظ تغيرات مختلفة كزيادة العرق ونقص اللعاب واتساع حدقة العين وزيادة إفراز الأدرنالين والسكر .

هذه التغيرات توجد عادة في كل موقف غريزي ، إلا أن بعض

المواقف تتطلب سرعة في العمل والتنفيذ ونشاطاً جسمياً زائداً ، ولذلك فالأعضاء الداخلية تتكيف لتساعد على تحقيق هذه الغاية ، فيسرع القلب في عمله ليوزع الدم بسرعة على أجزاء الجسم ، وتسرع الرئتان في عملهما لأخذ الهواء النقي وطرد الهواء الفاسد ، وبذلك تتم عملية الاحتراق لتعطي الجسم الطاقة الضرورية له بسرعة . ويتوزع الدم على أنحاء الجسم التي تساعد في حل الموقف الخارجي ، فيقل الدم عند المعدة والأمعاء وسطح الجسم ويزداد عند المخ وفي العضلات ، وتتسع حدقة العين لتستقبل أكبر قدر من الضوء تستعين به على إدراك الأشياء وتميزها بعضها عن بعض . وازدياد السكر في الجسم يعطي العضلات الحرارة اللازمة للقيام بعملها . فالتغيرات الجسمية الناتجة عن الانفعال تساعد الجسم على مواجهة الموقف الخارجي وتزوده بالقوة اللازمة للتغلب على ما يصادفه من عقبات .

أثر الانفعال في حياة الإنسان :

الحياة بدون انفعال تمر جافة مملة ، لأنها تسير حينئذ على وتيرة واحدة ، فتولد السأم والملل . أما تلك الحياة التي تتخللها الانفعالات من وقت لآخر ، تكون أقرب إلى الحركة والتغير ، وهما جوهر الحياة . وإذن فلا غنى لنا عن أن نشعر بالخوف والغضب إذا هددت مصالحنا ، أو أن نشعر بالفرح إذا أصابنا الخير .

أثر الانفعالات في السلوك :

يتصل الانفعال بالغرائز ، فالغريزة لا تتحقق كاملة إلا عند ظهور الانفعال ، فأنت إذا لم تشعر بالخوف فسوف لا تهرب وهذا الانفعال يتفق وطبيعة الموقف الخارجي ، فإذا هددت مصالحك شعرت بالغضب الذي يُزَوِدك بطاقة من النشاط تساعدك على مواجهة الموقف والتغلب عليه .

أثر الانفعال الاجتماعي :

كل إنفعال يصحبه تغيرات خاصة ، ولذا يمكنك لأول وهلة أن تتعرف على الحالة الانفعالية التي تسود الشخص ، فقد يكون حزيناً أو فرحاناً أو غضباناً ، أو خائفاً وهذا يجعلك تسلك سلوكاً خاصاً . فمثلاً إذا أردت أن تطلب من والدك شيئاً ووجدته غضباناً ، أحجمت عن طلبك وهكذا تصبح الانفعالات لغة اجتماعية يتفاهم بها الناس فيما بينهم .

ويستطيع الإنسان أن يخرج الإنفعالات عن طبيعتها ، فيتصنع الحزن أو الفرح أو الغضب أو الخوف ، وذلك لكي يلائم بين نفسه وبين المجتمع الذي يعيش فيه فبعض الناس يتصنع الحزن لمجرد إرضاء بعض الأهل والأصدقاء إذا أصابهم مكروه . وبعضهم يتصنع الفرح والسرور وهو حزين . والممثل على خشبة المسرح . يتصنع جميع الانفعالات ، فهو يبكي ويضحك ، ويتأمل ويتعجب ، ويخاف ويغضب وكثيراً ما يتأثر الممثل بهذه الانفعالات المصطنعة فيستمر أثرها بعد قيامه بدوره لمدة قد تطول وقد تقصر حسب طبيعة الممثل .

ـ العواطف :

قد تقابل في طريقك رجلاً بائساً مسكيناً فتصدق عليه ، فيقال إنك فعلت هذا بدافع عاطفة الشفقة . وكثيراً ما نتكلم عن عاطفة الصداقة وعاطفة الأمومة ، والعاطفة الوطنية فما هي العاطفة ؟ وكيف تنشأ ؟

رأيت في مجرى حياتك الكثير من المساكين ، فتألمت ، وقد يكون بؤسهم شديداً ، فيثير في نفسك الخوف والغضب ، ثم تحسن إليهم فتلهج ألسنتهم بالدعاء لك فتشعر بالارتياح والسرور فالألم والخوف والغضب والسرور كلها انفعالات تدور حول موضوع واحد هو

« المساكين » هذه الانفعالات المختلفة تتجمع في حزمة واحدة وينشأ عنها ما نسميه بالعاطفة .

تعريف العاطفة : تتكون العاطفة من تجمع عدة انفعالات وانتظامها وتركزها حول موضوع معين ، أو هي نوع من الاستعداد العقلي المكتسب يرتبط بموضوع خاص ، ويدفع الإنسان إلى القيام بأنواع من السلوك ترتبط بهذا الموضوع .

أنواع العواطف :

العواطف نوعان أساسيان : عاطفة الحب وعاطفة البغض . وفي حياة الشخص عاطفة غالبة تهيمن على سلوكه كما نجد عند بعض الهواة . وهذه العاطفة الغالبة وجهت زعيماً مثل مصطفى كامل نحو خدمة وطنه . وعندما تتبلور شخصية الفرد وتنضج وتشعر باستقلالها تكون قد تكونت فيها عاطفة اعتبار الذات ، وهي العاطفة التي تحملنا على احترام النفس والتمسك بالكرامة وعمل الواجب لأنه يرضي ضميرنا ، وفي إهماله احتقار لذاتنا . وكثيراً ما تندمج عاطفة اعتبار الذات في العاطفة الغالبة فيصبح سلوكنا موجهاً كله في خدمة ما نحبه أكثر من أي شيء آخر وما نرى فيه قوام احترامنا لذاتنا ـ والمصلح الاجتماعي المتفاني في واجبه وإداء رسالته صورة فذة لهذه الناحية .

منطق العواطف :

يقولون « الحب أعمى » لأن المحب لا ينظر إلى من أحب نظرة فاحصة مدققة مبعثها العقل والتفكير . فعاطفة الحب تطغى عقله فيخضع العقل لحكم العاطفة ، وهنا يضل الإنسان عن الحقيقية لأن العاطفة قد عطلت الحكم الصحيح ، فهي لا تأخذ من الحقائق إلا ما يوافق هواها . وهذا ما يعبر عنه بمنطق العاطفة . فالإنسان بعواطفه يبرر

كل تصرفاته وسلوكه .

العاطفة والسلوك :

للعاطفة أثر كبير في سلوك الإنسان ، فعاطفة الشفقة هي التي تدفعه إلى مساعدة الفقراء ، وعاطفة الوطنية هي التي تدفعه إلى الدفاع عن وطنه بكل وسيلة ممكنة ، وعاطفة الصداقة تدفعه إلى التعاون مع زملائه وأصدقائه . واختلاف الناس في سلوكهم هو نتيجة لتباين عواطفهم .

العواطف والعقد النفسية :

يرى فرويد أن كثيراً من العواطف والرغبات والميول التي لم يستطع الإنسان إشباعها ، لأنها غير ملائمة لآداب المجتمع ولا متفقة مع تقاليده وقواعده ونظمه ، يحاول كبتها فتغوص في مجال اللاشعور وتستقر في ظلام فلا يشعر الإنسان بها ومع ذلك فهي التي تهيمن على تصرفاته وتتحكم في توجيه سلوكه . وكلما اشتد الضغط عليها حاولت أن تجد لها مخرجاً . وهي تظهر في أحلام النوم ، وأحلام اليقظة ، كما تظهر كذلك في حالة الاصابات العقلية ، وحالات السكر الشديد الذي يفقد فيه الإنسان وعيه ، كما تظهر في الأقوال غير المقصودة التي يعبر عنها بفلتات اللسان .

واكتشاف ظاهرة الكبت لم يكن بالأمر السهل ، لأن الرغبات المكبوتة تظهر في صور رمزية . وقد ابتدع فرويد طريقة للكشف عن العقد النفسية ومعالجة المصابين باضطرابات نفسية . وتلك هي طريقة التحليل النفسي ، وتتلخص في إلقاء أسئلة خاصة على المريض . وتحليل رغباته وإشاراته وحركاته غير المقصودة ، وتحليل أحلامه . وفرويد لا يذهب إلى أن هذه الرغبات المكبوتة هي أساس السلوك عند الإنسان فحسب ، بل يذهب إلى أكثر من ذلك ، يذهب إلى أن هذه

الرغبات مصبوغة بصبغة جنسية ، ومعنى ذلك أن الغريزة الجنسية هي مصدر النشاط الإنساني .

ونسوق إليك الحالة الآتية لتتبين كيف تتكون العقد النفسية وكيف تسيطر على سلوك صاحبها .

شاب يخاف المجتمعات فلا يغشى الأندية ولا يدخل السينما ، ولا يخالط الناس ، ويخيل إليه أن هناك من يترصد خطاه ليلحق به الأذى دون أن يدري لذلك سبباً . فكان دائماً قلقاً مضطرباً لا يكاد يستقر على حال . وفي يوم سافر إلى بلدته والتقى هناك بصديق قديم من أصدقاء الطفولة . وبينما هما يتحدثان عن الماضي البعيد الذي قضياه سوياً في ربوع القرية ، إذ بصديقه يضحك قائلاً « ألا زلت لصاً » فبهت الشاب وأجاب بأنه لم يكن لصاً في يوم من الأيام ولكن صديقه أخذ يقص عليه قصة يؤخذ منها أنه بينما كان فوق شجرة توت يجمع بعض ثمرها ، إذ بصاحبها يفاجئه فيسقط على الأرض مغمى عليه . ولم يفق إلا وهو طريح الفراش هنا تذكر الشاب هذا الحادث وعرف مصدر خوفه . إنه لم يكن يدري أن هذه الحادثة القديمة لا زالت حية في اللاشعور ولا زالت توجه سلوكه وتهيمن على تصرفاته ، فهي خوف شديد كبت في اللاشعور وأصبح مصدر قلقه واضطرابه ، ولا يدري عنه شيئاً . وهو حينما تذكر هذا الحادث زالت عنه مخاوفه وعاد إلى حالته الطبيعية . وقضى قضاء أخيراً على العقدة النفسية التي عاشت تلاحقه زمناً طويلاً . فمجرد خروج هذا الحادث القديم من اللاشعور إلى الشعور هو العلاج للعقدة النفسية والقضاء على آثارها والرجوع بصاحبها إلى الحالة الطبيعية .

الفصل الثامن عشر

الإرادة

أمثلة :

١ ـ لمست يدك سلكاً كهربائياً مكشوفاً فارتدت بسرعة خاطفة دون تفكير أو تدبير .

٢ ـ كنت سائراً في الطريق فلفت نظرك « كرافات » جميلة معروضة في أحد المحلات فدخلت واشتريتها .

٣ ـ حضر إليك صديق وأنت تستذكر دروسك ، وأخبرك بأنه يعرض على الشاشة فيلم طالما تمنيت رؤيته ، ففكرت في الخروج معه ، ولكنك تذكرت أن الامتحان قريب وإنه من الأفضل البقاء للاستذكار ، فرفضت الخروج واستأنفت عملك.

إن ارتداد يدك في المثال الأول ، فعل غير إرادي ، لا تفكير فيه ولا تدبير وشراؤك « للكرافات » في المثال الثاني ، فعل إرادي ، فيه تفكير وتدبير .

وتفضيلك للاستذكار في المثال الثالث ، فعل إرادي أيضاً إلا إنه يمتاز عن سابقه بوجود رغبات وميول متعارضة انتصر في النهاية أقواها . وهذا الفعل الإرادي هو ما يهمنا دراسته في علم النفس .

تعريف الإرادة :

الرغبة والاختبار المسبوق بالتروي . ويشترط فيها أن تكون نتيجة رغبات وميول متضاربة كما رأيت في المثال الثالث .

خطوات الإرادة :

يسير الفعل الإرادي الكامل في الخطوات الآتية :

١ ـ الشعور بالغرض : فأنت قد شعرت بالغرض حين رفضت الخروج مع صديقك وفضلت الاستمرار في عملك لتنجح في الامتحان .

٢ ـ الروية والأناة : فأنت قد فكرت في الخروج مع صديقك ، وفكرت في الاستمرار في عملك ، ولم تندفع معه دون تفكير .

٣ ـ العزم : لما تبين لك انه من الأفضل أن تجلس إلى مكتبك لتستذكر دروسك ، عزمت على ذلك .

٤ ـ التنفيذ : لقد عزمت على ألا تخرج فجلست إلى مكتبك تتابع استذكارك من هذا يتبين لك أن الإرادة تعارض بين عدة رغبات ، رغبة في الخروج ورغبة في الاستذكار ، ولكن يعلو الإنسان بأحدهما ويبذل في ذلك مجهوداً عنيفاً . والإنسان في حياته لا يخضع لغرائزه كالحيوان ، بل إن إرادته تتحكم في هذه الغرائز وتوجهها وجهة تتفق ومصالحه .

أمراض الإرادة :

بعض الناس لا إرادة لهم فهم ينقادون إلى غيرهم دون روية أو تفكير . وبعض الناس يبالغون في العناد ، إما حباً في الظهور أو رغبة في المخالفة كما يتردد بعضهم حتى في أبسط الأشياء كشراء قلم أو منديل ، وهؤلاء قد فقدوا الاستقلال في الرأي فهم في حاجة إلى مرشد ومعين .

علاج الإرادة الضعيفة :

يمكن أن تعالج الإرادة الضعيفة بإزالة أسباب الضعف وغرس العادات الجديدة الراقية ، وبالقدوة الحسنة ، مع تكليف الشخص القيام بأعمال ذات مسؤولية ، وتنمية الثقة بالنفس وروح الاستقلال ، ومقاومة رغبات الشخص التي لا تتفق وتقاليد المجتمع ، وتعويده السرعة والإقدام والحزم في الأمور .

الفصل التاسع عشر

الحياة العقلية

الإحساس والإدراك الحسي

أولاً ـ الإحساس :

الطفل الصغير يستطيع أن يسمع بوق السيارة ، ويرى الألوان ، ويشعر بحرارة الطعام الساخن فهو يسمع ويرى ويشعر لوجود حواسه ، واستعداده الحسي الفطري . ولكنه لقلة تجاربه وخبرته بالحياة ، لا يستطيع أن يدرك مصادرها في حين أنك تستطيع ذلك . فحين تسمع صوتاً تستطيع أن تميزه وتدرك مصدره فإدراك الطفل يكون في مبدئه مجرد إحساس ، أما أنت فلا تحس فحسب ، بل تدرك إدراكاً حسياً ، أي تدرك معاني المحسوسات ومصادرها .

تعريف الإحساس :

هو مجرد تأثر الحواس بالعالم الخارجي ، أو هو الظاهرة الأولية في الحياة العقلية .

مراحل الإحساس :

يمر الاحساس في مراحل ثلاث هي :

١ ـ وجود مؤثر خارجي يؤثر في عضو الحس كالضوء والصوت والحرارة .

٢ ـ انفعال عضو الحس وتأثر عصب الحس ، ونقل الأثر إلى المراكز العصبية في المخ .

٣ ـ الإحساس : أي شعور الإنسان بالأثر الذي أحدثه المؤثر . وهنا تتم مرحلة الاحساس الخالص .

ثانياً ـ الإدراك الحسي :

مرحلة تعقب الإحساس وفيها تتم المعرفة .

تحليل عملية الإدراك الحسي :

أمامك برتقالة فكيف عرفت أنها كذلك ؟ إن معرفتك هذه قد مرت بالخطوات الآتية : ـ

١ ـ مؤثر خارجي من أعضاء الحس (لون البرتقالة ـ طعمها ـ ملمسها) .

٢ ـ تأثر الحواس التي هي الواسطة بين المؤثر والمخ .

٣ ـ انفعال أعصاب الحس ونقل الأثر إلى مراكز الاحساس في المخ .
ويهذه الخطوات الثلاث تتم عملية الإحساس كما قدمنا .

٤ ـ يستقبل العقل الإحساس ثم يؤوله بأن يخلع عليه معنى مفهوماً وهنا تتم عملية الإدراك الحسي .

تعريف الإدراك الحسي :

هو شعور الشخص بالإحساس ، أو مجموعة الإحساسات التي تصل إليه عن طريق حاسة أو مجوعة من الحواس ، ثم تأويل ما يشعر به فينتج عن ذلك معرفة الأشياء الخارجية .

ملاحظة : لا يوجد إحساس خالص إلا عند الطفل الحديث الولادة أو في اللحظات الأولى عند استيقاظ الإنسان ، ويبدأ الإدراك الحسي عند الطفل بالتدريج تبعاً لنموه العقلي وخبراته في الحياة .

الخطأ في التأويل :

كثيراً ما يخطىء الإنسان في تأويل ما يدركه ، فقد يرى الخطين المتوازيين متلاقيين ، ويرى السماء متلاقية مع الأرض عند الأفق . وقد يخطىء في تأويل ما يسمعه لضعف في سمعه . وقد يُسمع صوت من الأصوات فيدركه شخص على انه صوت انفجار مِرْجل ، ويدركه آخر على انه صوت انفجار قنبلة ، ويدركه ثالث على إنه صوت فرقعة عجلة سيارة . وقد يكون كل منهم مخطىء حين يكون الصوت صوت طلقة مدفع .

وهكذا يقع الإنسان في ألوان كثيرة من الخطأ في الإدراك . وإذا أردنا أن نبحث في سبب الخطأ فعلينا أن نرجع إلى مراحل الإدراك السابقة .

فقد عرفنا أن الإدراك يتوقف على عوامل ثلاثة : ـ وجود شيء خارجي (المؤثر) . الحواس التي تنقل أثر المحسوسات إلى العقل ـ العقل الذي يؤول الاحساس ويخلع عليه معنى من المعاني .

والخطأ في إحدى هذه المراحل يؤدي إلى عدم مطابقة الإدراك للحقيقة . وينشأ الخطأ نتيجة للأسباب الآتية :

١ ـ طبيعة الشيء الخارجي : فظاهرة السراب التي يلاحظها الإنسان في الصحراء ، ويظنها ماء ترجع إلى الطبيعة الصحراوية ذاتها . وإذا وضعت عصا في ماء ، فإنها تظهر منكسرة ، ذلك لأن طبيعة الأشعة تجعلها تبدو على هذا الوضع . ومن هذا النوع الخداع الذي ينشأ عند رؤية الأشكال الهندسية التي تخدع في إدراكها مثل الخطين المتوازيين اللذين يظهران خلاف ذلك عن بعد .

٢ ـ طبيعة الحواس : قد تكون الحواس بطبيعتها ضعيفة ، ومن ثم فلا تدرك المحسوسات إدراكاً دقيقاً . فبعض الناس مصاب بعمى الألوان فيدرك اللون الأحمر أسود ، وبعضهم لضعف في سمعه لا يدرك حقيقة

الأصوات فيؤولها تأويلاً خاطئاً .

ملاحظة : الخطأ الناشيء في هاتين المرحلتين من مراحل الإدراك لا دخل للإنسان فيه ، والبحث فيهما يخرج عن نطاق علم النفس . أما المرحلة الأخيرة من مراحل الإدراك فهي التي يهتم بها علم النفس ، إذ الخطأ فيها ينشأ عن تأويل العقل للإحساس .

٣ ـ طبيعة العقل : يخطىء العقل في تأويل الإحساس لأسباب كثيرة منها :

أ ـ التوقع والاتجاه العقلي : إذا كنت تنتظر أحد أصدقائك وسمعت صوتاً فقد تدرك انه صوت صديقك وإذا رأيت شبحاً من بعيد فقد تدرك انه هو ، ذلك لأن العقل متجه وجهة خاصة هي انتظار قدوم الصديق .

ب ـ قلة المعلومات وعدم الخبرة: فالشخص القليل الخبرة بالسيارات أو الزهور أو الطيور لا يرى فروقاً واضحة بين أنواعها المختلفة .

جـ ـ الإيحاء : إذا قابلت أحد أصدقائك ، وأوحيت إليه بأنه مريض ، وأن أعراض المرض بادية على وجهه فقد يرجع هذا المرض لأسباب هي في الواقع لا أصل لها ، لأنه ليس مريضاً حقاً ، وإنما هو مجرد إيحاء أثر فيه فظن انه مريض .

د ـ التسرع في الحكم : قد يعتمد الإنسان على خبرته السابقة فيرى فيما أمامه صفات ليست موجودة فيه ، كمن يرى ثمرة النارنج فيدركها على انها برتقالة .

هـ ـ الحالة النفسية : الإنسان الحزين يرى الحياة قاتمة وإن كل ما فيها يسبب الضيق والألم ، ويشعره باليأس والملل ، وبالعكس إذا كان مبتهجاً مسروراً ، رأى الحياة كالزهرة الباسمة ، كل ما فيها جميل .

و ـ الإدراك الجزئي : من طبيعة الإنسان الا يدرك جميع أجزاء الشيء ، وإنما يدرك بعض الأجزاء التي يركز فيها انتباهه ، ثم يبني

إدراكه على هذا الجزء . فإذا عرضت بقعة حبر ليس لها شكل معين ، ثم طلبت من عدة أشخاص أن يدركوا هذا الشكل ، فإنهم يختلفون في إدراكه ، كل شخص حسب الأجزاء التي يركز فيها انتباهه وحسب خبرته السابقة واتجاهه العقلي . وأنت حين تقرأ لا تدرك حروف الكلمة كلها وإنما تدرك جزءاً منها ، وقد يقع الخطأ لأنك لم تدرك أجزاء الكلمة كلها . وإذا طلب منك أن تقرأ البيت الآتي :

وما نيل المطالب لتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

فأغلب الظن إنك لن تفطن إلى أن هناك نقص في الشطر الأول وهو كلمة « با » .

هذا هو الخداع الذي يقع في تأويل العقل للأشياء ، ويجب العمل على تصحيح هذا الخداع بإزالة أسبابه ، فينبغي أن يتحقق الإنسان من الأشياء التي يدركها إدراكاً حسياً ، بألا يسرع في الإدراك ، وألا يدع نفسه فريسة الحالات النفسية التي توجهه وتجعله مخطئاً فيما يدرك .

الفصل العشرين

التصور والتخيل

أولاً : التصور :

شاهدت حديقة الحيوان ، فجلت في أنحائها ورأيت صنوف الحيوان البرية والبحرية ، الأليفة والمفترسة . رأيتها جميعاً في أماكنها الخاصة بها ، كما شاهدت مناظر الحديقة الطبيعية بأشجارها وزهورها وما بها من « جبلايات » وما يشمل هـذا كله من جمال التنسيق ودقـة النظام . ثم رجعت إلى بيتك ، وغابت عن حواسك الحديقة بما فيها إلا انها حاضرة في عقلك تستطيع أن تراها وأن تسمع أصوات حيوانها وطيورها ، وأن تلمس أشجارها وزهـورها . هـذه العملية العقلية التي استطعت أن تسترجع بها ما شاهدته وسمعته في الحديقة تسمى « تصوراً » .

فالتصور عملية عقلية يسترجع فيها الإنسان صور المدركات الحسية . وكل صورة عقلية تقوم مقـام الشيء المادي عنـد غيبته ، فيصبح من الميسور ، أن نستعيد الماضي ونعيش في تجاربنا وخبراتنا السابقـة ؛ ولولا ذلك لانقطعت صلتنا بالماضي ولأصبح كل منا مخلوقاً جديداً في كل لحظة تمر عليه ، ولا علاقة له بمخلوق اللحظة السابقة .

وبالتصور نسترجع تجاربنا الحسية مما رأيناه أو سمعناه أو ذقناه أو لمسناه أو شممناه وبذلك نجد ماضينـا تحت تصرفنا إلى حد كبير .

المدرك الحسي وصورته :

١ ـ الصورة أقل وضوحاً من المدرك الحسي .

٢ ـ الصورة باهتة في صيغتها غامضة في دقائقها .

٣ ـ الصورة ميالة للانحلال والنسيان .

٤ ـ كثيراً ما يتعذر الحصول على صورة المدرك الحسي ، فقد تهرب الصورة من العقل ولا تبقى فيه إلا الفكرة المجردة .

أنواع التصور واختلاف الناس في القدرة عليه :

١ ـ التصور البصري ـ ويكون فيه التصور عن طريق البصر ، كتصور الشكل واللون وأكثر الناس بصريون .

٢ ـ التصور السمعي : يكون فيه التصور عن طريق السمع ، كما تتصور قطعة موسيقية .

٣ ـ التصور اللمسي والذوقي والشمي : كتصور النعومة والخشونة ، والحلو والمر ، والرائحة الجميلة والكريهة . وهناك اختلاف كبير بين الأفراد في قدرتهم على التصور ، وفضلاً عن ذلك نجد أن الفرد أقدر على نوع من التصور منه على الأنواع الأخرى ، ومع هذا فأغلب الناس يستعينون بخليط من أنواع التصور ، وإن كان النوع الأول أكثر شيوعاً بين الناس لوضوحه ويسره .

أهمية التصور :

١ ـ الصور الذهنية مورد لتخيلاتنا وذكرياتنا ، فما نبتكره ونتخيله يعتمد في عناصره على الصور الذهنية المستقاة من التجارب الماضية .

٢ ـ إننا لا نستطيع أن نستمتع بالأدب وخصوصاً الوصفي منه ، إلا إذا استطعنا تصور ما يصفه الكاتب أو الشاعر ، فهو قد يصف رائحة الزهر ، أو نعومة الحرير ، أو خرير الماء أو تغريد الطيور . والشخص الذي لا يملك القدرة على تصور كل ذلك يفقد المتعة من القراءة .

ثانياً ـ التخيل :

إنك لم تر العرب وهم يفتحون مصر ، ولم تر فرسانهم وهم يقتحمون حصن بابليون ، ولم تر كيف استولى الرعب والفزع على الرومان وهم في حصنهم لا يستطيعون فراراً . ولم تر عمرو بن العاص ممتطياً جواده بين جنوده ولكنك تستطيع أن تتخيل هذه المعركة . فكيف إذن تتخيلها ؟ لا شك انك رأيت ووقعت في خبرتك عناصر المعركة (الفارس حصن بابليون أو صورته ، الزي العربي القديم ، الأسلحة التي استعملها العرب والرومان قديماً . . إلخ) هذه العناصر هي صورة ذهنية يمكن لعقلك أن يرتبها وينظمها بحيث ينشأ عنها صورة ذهنية جديدة لم تألفها من قبل . فها هنا نجد نوعاً من الابتكار والتجديد ، لأن عقلك لم يجمع عناصر سابقة فحسب ، بل رتبها على نحو خاص جديد . هذا العملية العقلية تعرف بالتخيل .

تعريف التخيل : جملة تصورات مرتبطة بعضها ببعض على نحو خاص ومتتابعة كشريط السينما .

أنواع التخيل :

١ ـ التخيل الاسترجاعي : وفيه يسترجع الإنسان صوراً ذهنية لا جديد فيها ، ولما كان استرجاع هذه الصور غير مطابق للصور الأصلية ، فإن الخيال قد يتدخل لاستكمال هذا النقص . وليس في هذا النوع من التخيل جدة أو إبداع ، بل هو محاولة استعادة الصور على نحو ما عرفه الإنسان . مثل هذا النوع من التخيل يحدث كثيراً خصوصاً في القصص التاريخية ودروس الجغرافيا والحوادث اليومية . فإذا سمعت أن بلدة أصيبت بزلزال عنيف قوض دعائمها، وشتت سكانها وجعلها أثراً بعد عين ، يمكنك أن تتخيل هذا كله بالرغم من انه لم يقع في

خبرتك ، وإنما قرأت أو سمعت عنه فقط . وهذا النوع من التخيل قليل الأهمية .

٢ ـ التخيل الابتكاري والاختراع : وهو التخيل الحقيقي ، لأننا نستعيد فيه صوراً قديمة مرتبة ترتيباً خاصاً ، ومرتبطة ارتباطاً ما على نحو غير موجود في العالم الخارجي . فلو قيل لك ان « جنية البحر » حيوان له رأس الإنسان وجسم السمكة ، فسرعان ما تتخيل هذا التركيب بأن تنتزع من الإنسان رأسه ومن السمكة جسمها وتركيبهما عقلياً معاً لتصل إلى المخلوق الجديد الذي لم يسبق لك أن رأيته أو خبرته هذا التخيل الابتكاري أو المبتدع هو الذي يؤلف صاحبه شيئاً لم يكن موجوداً من قبل . وهو ما سنعنى بدراسته .

التخيل الابتكاري والاختراع

التخيل الابتكاري هو الذي يستطيع بواسطته الإنسان أن يؤلف ويربط الأفكار والصور بطريقة جديدة مبتكرة بحيث يخلق الإنسان شيئاً جديداً لم يكن معهوداً من قبل . وهذا النوع من التخيل يحتل عند الأطفال جزءاً كبيراً جداً من حياتهم العقلية . فالعصا عند الطفل حصان كبير يركبه ويجري به ويضربه ويصدر له الأمر بالوقوف والجري . ودمية الطفلة بنت صغيرة تأكل وتشرب وتسمع وتتكلم . أما الرجل فقدرته على التخيل أقل من قدرة الطفل ، ذلك لأن العقل أصبح يدرك حقائق الأمور فلا يترك له مجالاً ليسبح في الخيال ويسترسل فيه ، وإنما يحده الواقع ويقيده .

مادة التخيل : عملية التخيل تعتمد على الصور التي تكونت من خبراتنا مدى الحياة ، فكلما تعددت هذه الصور وتلونت ، كلما زادت الثروة التي تستغل في التخيل . لذلك تجد الوصف والتشبيه في الشعر والنثر مستمداً من البيئة التي يعيش فيها الشاعر أو الكاتب . فالتخيل لا يخلق المادة التي يتكون فيها الخيال ، إذ أن هذه المادة موجودة فعلاً

ولكنها تظل تتركب وتتعقد حتى تأخذ شكلاً جديداً يختلف عن الأجزاء القديمة التي تكون منها .

فالتخيل هو تأليف العناصر المألوفة بشكل جديد . ومن العوامل التي تساعد على التخيل الذاكرة القوية ، لأن كل شيء جديد يقوم على الذكريات الماضية والمعلومات السابقة والخبرات التي حصلها الإنسان .

أهمية التخيل :

١ ـ إن قدرتك على التخيل هي التي تحدد مدى فهمك للأدب بكل أنواعه ؛ إذ أن فهمه ليس إلا تركيباً جديداً للصور ومعانيها في الحدود التي وضعها الكاتب مع ما أراد أن يبثه فيها من مشاعر مختلفة . وليس الأمر قاصراً على الأدب فحسب ، بل إن دروس التاريخ والجغرافيا والعلوم ليس التخيل فيها بأقل من الأدب فالطالب الذي لا يستطيع تخيل المواقع الحربية وما فيها من دوي المدافع وتدافع الجنود ، وصيحاتهم ، وأزيز الطائرات ، لا يستطيع أن يدرك الواقعة على حقيقتها .

٢ ـ إن الحياة العادية اليومية لا غنى لها عن التخيل . فعند اختيار ثيابك لتلائمك ألوانها وأشكالها ، تتخيل نفسك مرتدياً لها ، وقد لا ترضيك النتيجة بعد صنعها ، ذلك لأن الصورة النهائية لم تكن واضحة في ذهنك تماماً فلم تؤد الغرض الذي كنت تهدف إليه . وكم من شخص وضع مشروعاً تجارياً وتخيل ما يكون عليه عند نضوجه ثم باء بالفشل في النهاية ، لأنه لم تكن لديه القدرة على تركيب الصور والأفكار بطريقة واضحة . وقد يستطيع الإنسان أن يؤلف من العناصر القديمة شكلاً جديداً واضحاً متكاملاً ؛ فالمخترع الذي اخترع القاطرة ، قد استطاع أن يؤلف من معلوماته السابقة وذكرياته القديمة موضوعاً جديداً ذا فكرة جديدة وقد نجح في اختراعه لأنه استطاع أن ينظم هذه

المعلومات وهذه الذكريات تنظيماً وإن كان غير مألوف له ، إلا أنه تنظيم سليم صحيح ويحتاج الإبداع والاختراع إلى عوامل كثيرة منها :

١ ـ الذاكرة القوية التي تمد الإنسان بالمعلومات السابقة .

٢ ـ النزعات الغريزية التي تدفع الإنسان إلى الكشف عن المجهول .

٣ ـ الوسط الاجتماعي ، فالمحاكاة وهي سبب ذيوع الاختراعات « والمودات » لا توجد إلا في المجتمع .

كيف يخترع الإنسان :

١ ـ يحلل الإنسان كل ظاهرة إلى عناصرها .

٢ ـ يؤلف الإنسان من هذه العناصر تأليفاً جديداً غير موجود في الحقيقة . فالموسيقي البارع هو الذي يستطيع أن يؤلف من الأصوات السبعة المعروفة نغمة جديدة ولحناً بديعاً . والمصور الذي لم يشهد الملائكة ، يؤلف لهم صورة عناصرها معروفة ولكنه يبتدع لها نظاماً خاصاً .

٣ ـ هذا التأليف الجديد لا يدري الإنسان عنه شيئاً ، فهو نوع من الإلهام .

سل فناناً أو مخترعاً كيف توصل إلى هذا الإبداع ، يجبك انه هبط عليه فجأة . وأنت نفسك لا تدري كيف استطعت أن تحل تمرين هندسة أو حساب مثلثات مثلاً ، وإنما هو الإلهام الذي يهبط على الإنسان فينير له سبيل الحقيقة فيصل إليها فجأة .

الاختراع النافع :

١ ـ تستطيع أن تعرف لماذا تسقط كثير من الروايات وتفشل ذلك لأن مؤلفها لم يكن له غرض يهدف إلى تحقيقه . فالغرض الواضح هو الذي يساعدنا على الاختراع النافع الناجح .

٢ ـ التاجر الناجح هو الذي يستطيع أن ينظم واجهة محله تنظيماً جديداً لم يسبق إليه . وكذلك الصحفي الناجح هو الذي يعرض مقالاته بطريقة جديدة مبتكرة .

٣ ـ العالم المخترع هو الذي يستطيع أن يصل إلى فروض صحيحة لتفسير الظواهر وهو يصل عن طريق التخيل والإبداع .

التخيل والأحلام :

الأحلام ظاهرة عامة بين جميع الناس وتحدث في النوم كما تحدث في اليقظة وفيها يلعب الخيال دوراً كبيراً . إلا انه لا يهدف لغرض معين ولا يخضع لنظام خاص وفي الأحلام يسبح الإنسان في بحر عميق من ذكرياته القديمة ، ورغباته المكبوته ، وعواطفه المتناقضة ، ويعيش في خبراته السابقة وتجاربه الماضية ويؤلف من هذا كله صوراً جديدة غير منظمة ولا مرتبة .

ففي أحلام النوم تنقطع صلة الإنسان بالعالم الخارجي فتجد الدوافع اللاشعورية فرصة للظهور على مسرح الشعور في صورة خيالات ورموز مقنعة . ويعتقد معظم الناس أن الأحلام تعبر عن حياتهم المستقبلة ويتنبأون بما سيحدث لهم على ضوئها . ولكن فرويد لا يرى في الأحلام إلا رغبات مكبوتة تظهر في رموز مقنعة . فقد يحلم الطالب انه سقط في هوة سحيقة لا قرار لها ثم يصحو فجأة وهو في حالة ذعر شديد . أو قد يحلم بأنه أراد السفر إلى بلده ، فلما وصل إلى المحطة وجد أن القطار قد تحرك متخذاً صورة طائرة تحلق في الفضاء البعيد . وقد تكون أمثال هذه الأحلام رمزاً لخوف الطالب اللاشعوري من الرسوب في الامتحان .

وتعتمد مدرسة التحليل النفسي في علاج الأمراض النفسية على

الأحلام ، لأنها تعبير عن رغبات الإنسان المكبوتة أو ذكرياته المؤلمة ، وإن كانت تعبيراً رمزياً ، إلا انه يمكن تفسيرها ومعرفة أسباب المرض النفسي على ضوئها .

وأحلام اليقظة تشبه أحلام النوم في كثير من الوجوه ، أهمها انها مجال للتعبير عن النزعات التي لا يمكن تحقيقها في حياة الواقع . فالشخص الذي يسعى إلى الطموح ويجد السبيل أمامه غير ميسرة ، يشرد ذهنه « ونصفه في هذه الحالة بأنه سرحان » ، ويرى نفسه كاتباً أو فناناً أو مخترعاً عظيماً ذائع الصيت ، ويرى اسمه في الصحف والكتب والمجلات . والطفل الذي حرم من اللعب يحلم بأن السماء قد أمطرته كل ما يتمناه من لعب . وفي أحلام اليقظة يتحرر العقل من القيود التي تهيمن عليه في الحياة الواقعية ، ويسبح في عالم الخيال .

وأحلام اليقظة ليست ضارة فقد تحفز المرء إلى تحقيق ما تدور حوله أحلامه ، ولكنها تضره إن زحمت حياته النفسية والتبست لديه الحقيقة بالخيال وقطعت صلته بالواقع ، لأنها حينئذ تستنفد وقته ونشاطه النفسي مما يعطل التفكير ويحول بين الإنسان وبين مواجهة الحياة الواقعية . فحالة « السرحان » التي تقع لمعظم الناس حالة طبيعية ولكن المغالاة فيها ضار بالصحة النفسية .

الفصل الحادي والعشرين

تداعي الخواطر وترابطها
أو تداعي المعاني

ترى صورة صديق لك فتتابع الخواطر وتتوارد. فتدرك إلى أي حد بلغ إخلاص هذا الصديق ، ثم تدرك انك قضيت معه مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي ثم تدرك الأيام التي قضيتها معه في قريته في صيف أحد الأعوام . وهكذا كانت رؤية الصورة مبعثاً لخواطر كثيرة وردت في الذهن . وورود الأفكار على هذا الوضع يسمى تداعي المعاني .

هذه الأفكار لا تتداعى دون نظام أو ترتيب ، بل هناك نظام يربط بينها وأهم القوانين التي تحكم التداعي هي : ـ

١ ـ التلازم : لو ذكرت لك كلمة « أهرام » فقد يمر بذهنك كلمة « الجيزة » ولو ذكرت كلمة « امتحان » لفكرت في النجاح أو الرسوب .

ذلك لأننا قد تصورنا سماع كلمات يلازمها كلمات أخرى ، فظهور أحداهما يستدعي ظهور الأخرى .

٢ ـ التشابه : ويكون في الشكل أو اللون أو المعنى أو الصوت . فمثلاً إذا رأيت شخصاً يشبه زميلاً لك لفكرت بسرعة في ذلك الزميل الغائب ، وإذا سمعت صوت نجاة الصغيرة « فتاة تجيد تقليد صوت أم كلثوم » ، لفكرت في أم كلثوم نفسها .

٣ ـ التضاد : يدعو الخاطر في الذهن إلى ضده فلو ركبت سيارة فخمة لفكرت في المشقة التي تلاقيها حين تركب الترام .

٤ ـ الترابط بين العلة والمعلول : فالطبيب حين يرى أعراضاً خاصة على مريض يخطر بباله نوع معين من المرض .

وهناك قوانين أخرى تعرف بالقوانين الثانوية وأهمها :

١ ـ الشيوع : فالانقلاب العسكري في ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ وما تبعه من تنازل الملك فاروق عن العرش وغير ذلك من الأحداث الجسام ، وجه تفكير الشعب وجهة خاصة وشاعت فيه أفكار معينة أساسها الحرية والعدل والمساواة .

٢ ـ الجدة : عندما يقابلك صديق ، تقطع تيار تفكيرك وتبدأ في التفكير في مجال جديد .

٣ ـ الحالة العقلية الملازمة للشخص : فإذا ذكرت كلمة « ساعة » فالمذيع قد يرد إلى ذهنه برنامج « ساعة لقلبك » والمسافر يرد إلى ذهنه موعد السفر ، وتاجر الساعات يرد إلى ذهنه بيع الساعات وشرائها .

٤ ـ الحالة الوجدانية : الفكرة تدعو من بين الأفكار المتعارضة أقربها إلى حالة الشخص الوجدانية ، فالحزين تتداعى أفكاره الحزينة والمسرور تتداعى أفكاره السارة .

قيمة التداعي :

١ ـ يعتمد فرويد على التداعي كعلاج للمصابين بأمراض عصبية وذلك بأن يعرض على المريض قائمة فيها بعض الكلمات ويطلب من المريض أن يذكر أي كلمة تخطر بباله عند سماع كل لفظ من هذه المجموعة ويحسب الزمن الذي يمضي بين سماع الكلمة والرد عليها ، ويلاحظ الانفعالات التي تصحب بعض الإجابات . وبعض الكلمات التي تطول فيها مدة الرد أو تمتنع فيها الإجابة على المريض يكون لها

صلة بماض مؤلم للشخص يحاول الطبيب أن يكشف بواسطتها عن علة المرض .

٢ ـ يستفيد منه الطبيب في معالجة المرض ، فهو حين يرى أعراضاً خاصة على المريض يخطر بباله نوع معين من المرض .

٣ ـ يستفيد منه المدرس والطالب في ربط الدروس بعضها ببعض وربط القديم بالجديد .

٤ ـ يستفيد منه التاجر بكثرة الإعلان الذي يجعل اسمه شائعاً . فالتاجر الذي يكتب اسمه على نوع معين من البضاعة يستفيد بقانون التلازم ، فلا يذكر اسم صاحب البضاعة إلا ويبرز بجانبه نوع البضاعة المعروف باسمه ، كسجاير البستاني ، أو حرير اللوزي أو كينا روماني .

٥ ـ يستخدم في الكشف عن ميول التلاميذ ورغباتهم ، كما يستخدم أيضاً كوسيلة من وسائل التحقيق الجنائي الحديثة .

الفصل الثاني والعشرين

التذكر والذاكرة

التذكر هو استرجاع ما حدث في الماضي إلى الحاضر ؛ أي هو قدرة العقل على استعادة الخبرة السابقة ، واستحضارها بالشكل الذي حدثت عليه ، وربطها بزمانها ومكانها . والفرق بين التصور والتذكر والتخيل هو ما يأتي :

التصور والتذكر ، كلاهما استعادة للخبرة السابقة ، ولكن يمتاز التذكر بأنه أدق وأصعب من التصور ، إذ من الضروري في التذكر أن نربط الخبرة السابقة بزمانها ومكانها .

فإذا عدت من رحلة إلى الأقصر ، وتصورت تمثالي ممنون وارتفاعهما ، وكيف أن أحدهما قد تصدع قليلاً ، كان هذا تصوراً . أما التذكر فهو أن تسترجع مشاهداتك من ساعة قيامك بالرحلة حتى رجوعك إلى بلدك ، رابطاً بين مشاهداتك وزمانها ومكانها . أما إذا رسمت لنفسك لوحة استرجعت فيها موكباً دينياً من مواكب قدماء المصريين ، يتقدمه الملك وحاشيته ورجال الدين ، واسترجعت معبد الأقصر وهو في أوج عظمته ، إذا سجلت كل هذا في لوحتك فهذا تخيل . ذلك لأنك اتخذت من صور سابقة ، مرتبطة ارتباطاً خاصاً ، عناصر لصورة جديدة .

مراحل التذكر الخمس

للتذكر خمس مراحل هي : الحفظ ، الوعي ، الاسترجاع ، التعرف ، التحديد .

أولاً ـ الحفظ : قد يكون متعمداً أي مقصوداً ، كالطالب الذي يجلس إلى مكتبة لحفظ قصيدة شعر ، أو كالممثل الذي يحفظ دوره . وقد يكون غير مقصود كمن يقرأ قصة ثم يروي لك ما قرأه .

أحسن طرق الحفظ :

حقاً إن الإنسان يحفظ عن طريق التكرار ، ولكن يجب أن يتبع الإنسان طرقاً خاصة تؤدي إلى الاقتصاد في الوقت والمجهود ، وتلك هي : ـ

أ ـ أن يسمع الإنسان لنفسه ما حفظه .

ب ـ أن يوزع حفظه على فترات ، لأن الحفظ الموزع يثبت المعلومات .

جـ ـ أن يحفظ كل ما يريد حفظه مرة واحدة ، فلا يجزئه إلى أقسام وهذه هي الطريقة الكلية في الحفظ .

د ـ أن يحصر انتباهه فيما يريد حفظه ، فإن تركيز الانتباه في موضوع الحفظ يسهل كثيراً في حفظه .

ثانياً ـ الوعي : المقصود به الاحتفاظ بالمعلومات في الذهن لحين استرجاعها ويلاحظ أن النسيان ظاهرة طبيعية ، والمعلومات التي يحفظها الإنسان تزول بإهمالها وتركها ، ولكنها لا تزول نهائياً ، بل تصبح كالصورة الباهتة حتى ليصعب استرجاعها فالمعلومات بعد وصولها إلى الذهن مباشرة تكون أسرع نسياناً من تلك التي تترك برهة لتستقر في الذهن .

والناس يتفاوتون في سرعة نسيانهم ، وذلك راجع إلى اختلاف في الطبائع والسن .

أحسن الطرق للاحتفاظ بالمعلومات :

أ ـ يجب على الإنسان أن يحسن استعمال حواسه لأن ضعف الحواس يوصل المعلومات مشوهة إلى العقل .

ب ـ فهم المعنى لأن المعلومات غير المفهومة تصعب الاحتفاظ بها .

جـ ـ ربط المعلومات بعضها ببعض لتكون سلسلة متصلة الحلقات يصعب تفككها . فإذا ربطت درس التذكر والتصور والتخيل ، سهل عليك حفظها وسرعة تذكرها .

د ـ أن يسمع الإنسان لنفسه .

هـ ـ تكرار ما يحفظ .

و ـ استعمال الطريقة الكلية في الحفظ .

ز ـ مراجعة ما حفظ من حين لآخر ، فذلك يساعد على بقاء المعلومات في الذهن وعدم نسيانها .

ثالثاً ـ الاسترجاع : هو استحضار ما حفظه الإنسان في الماضي . وكثيراً ما يجد الإنسان صعوبة في استرجاع معلوماته إما لخوفه وعدم ثقته بنفسه كما يحدث في الامتحانات ، وإما لأنه يريد أن يسترجع فكرتين في آن واحد كالذي يريد أن يتذكر قائد المسلمين في موقعة القادسية وأجنادين في وقت واحد فيختلط عليه الأمر وعليه في هذه الحالة أن يترك الموضوع مدة ثم يعود إليه .

رابعاً ـ التعرف : إذا سألتك عن موقف الدول الأوروبية من الثورة

الفرنسية حتى صلح إميان ، فقد تتردد أو تشك فيما تسترجعه من معلومات ، وذلك لأنك لا تستطيع أن تتعرف على ما حفظته وأن تتأكد منه . والتعرف ركن هام من أركان التذكر .

خامساً ـ التحديد : يعد الشك في التعرف مرضاً من أمراض الذاكرة . أما التحديد وهو القدرة على تحديد ما تعرفه بالزمان والمكان فأمر يصعب على الكثير ومما يجعله سهلاً أن يربط الإنسان ما يستذكره بغيره من المعلومات وبذلك يستطيع أن يحدده تحديداً واضحاً .

أنواع التذكر : للتذكر أنواع أهمها :

١ ـ التذكر الآلي : كتذكر التلميذ أن ٤ × ٧ = ٢٨ وكما لو ذكر أمامه بيت في قصيدة ما ، فإنه يتذكر القصيدة وقائلها ومطلعها وتسلسل أبياتها وموقع البيت المذكور من القصيدة .

٢ ـ التذكر المنطقي : فيه يتذكر عن طريق التسلسل المنطقي المنظم ، كما لو تدرج الإنسان في النهضة القومية المصرية ابتداء من نهضة الشعب المصري ضد الفرنسيين أثناء غزوهم لمصر ، فالثورة العرابية ضد النفوذ الأجنبي في مصر ، فثورة المصريين عام ١٩١٩ م ضد الاحتلال البريطاني ، فثورة الجيش المصري والشعب في يوليه سنة ١٩٥٢ م ضد الاحتلال الانجليزي وفساد النظام الملكي . فهذه الحوادث يتسلسل بعضها إثر بعض ، وينتقل فيها العقل من حدث إلى الذي يليه وهكذا .

الفصل الثالث والعشرين

الإدراك الكلي

يرى الطفل على المائدة أنواعاً متعددة من الأطباق تختلف لوناً وشكلاً وحجماً واستعمالاً . فهـذا طبق من البلاستيـك الأحمر وذاك طبق من الصيني الأبيض ، وهذا مستدير وذاك مستطيل ، وهذا كبير وذاك صغير ، وهذا للحلوى ، وذاك للخضار وهكذا وهكذا ، ألوان مختلفة من الأطباق تقع تحت بصر الطفل . وهو: في أول أمره يرى كل هذه الأنواع من الأطباق أشياء مختلفة ، لا صلة بينها ويعتقد أن لكل منها اسم خاص ، ثم استطاع الطفل أن يدرك أنها جميعاً ليوضع فيها شيء ما للأكل .

وقد يحدث أن يرى الطفل في منزل آخر آنية أخرى يوضع فيها الطعام على المائدة ولكنها تختلف عن تلك التي رآها في منزله ، في لونها أو شكلها أو المادة المصنوعة منها فأمكنه أن يدرك ان هذه الآنية هي أطباق كذلك لأنها أوعية فيها طعام وتوضع على المائدة .

فكلمة « طبق » التي سمعها الطفل تردد أمامه باستمرار وأطلقها على الأنواع المختلفة من الأطباق ، قد وصل إليها بعد عمليات خمس هي :

١ ـ الملاحظة : لاحظ الطفل الأطباق المختلفة .

٢ ـ وازن الطفل بين الأطباق وأدرك أوجه الشبه والاختلاف بينها .

٣ ـ استطاع الطفل أن يدرك أن هذه الأطباق رغم اختلافها في الشكل واللون والاستعمال ، تتفق في أن لها صفة واحدة هي أنها أوعية يوضع فيها الطعام للأكل وتلك هي عملية التجريد .

٤ ـ أطلق الطفل بعد ذلك على كل ما يتصف بهذه الصفة كلمة « طبق » وهذا ما يسمى بالتعميم .

٥ ـ التسمية : وهي إطلاق لفظ واحد على كل هذه الأنواع المختلفة التي تشترك في صفة واحدة .

فالإدراك الكلي إذن هو عملية يقوم بها العقل لتكوين صفة عامة ـ عن نوع ما ـ من الصفات الأساسية المشتركة بين أفراد النوع ويتم ذلك بطريق التجريد والتعميم .

فالتجريد يتم بأن ينتزع الإنسان صفة من صفات المدرك على حدة ولا يصل الإنسان إلى التجريد عن طريق الحواس ، لأن العين مثلاً لا ترى اللون فقط ، بل ترى الشكل والحجم والسطح ـ وليس من طبيعة العين انتزاع اللون فقط منفصلاً عن الشكل . ولكن التجريد يتم عن طريق العقل الذي يدرك أن هذه الصفة مشتركة بين الأشياء . فكأن عملية التجريد لا تتم منفصلة عن التعميم ، لأن العقل حين يدرك صفة مشتركة بين الأفراد ، يدخل هذه الأفراد جميعاً تحت اسم خاص هو النوع أو الجنس فالتجريد لا ينفصل عن التعميم ، لأن المعاني الكلية هي معان مجردة ، وكل معنى مجرد هو معنى عام .

التفرقة بين المدرك الحسي والمدرك الكلي

المدرك الحسي	المدرك الكلي
١ ـ معرفة لشيء جزئي محدود بزمان ومكان.	إدراك كلي عام غير مقيد بزمان أو مكان .
٢ ـ يوجد في الخارج والحواس وسيلة إدراكه .	يوجد في العقل وهو وسيلة إدراكه .

أهمية المدرك الكلي :

١ ـ كان سقراط من الفلاسفة الذين تحدثوا في المعاني الكلية واهتموا بدراستها . فهي عنده موضوع العلم ، والعلم لا يقوم إلا على هذه المعاني . وتناول هذه المشكلة من بعده أفلاطون وأرسطو وغيرهما من الفلاسفة القدامى والمحدثين .

٢ ـ الإدراك الكلي هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان ذلك لأن وسيلة إدراكه ، العقل ، والعقل هو الفاصل بين الإنسان والحيوان .

٣ ـ وسيلة التعبير عن الأفكار هي الألفاظ ، إذ هي بمثابة القالب الذي يصب فيه الفكر . فأي صعوبة كان يجدها الإنسان لو لم توجد هذه القوالب الفكرية ؟ وأي صعوبة كان يجدها الإنسان لو سمي كل فرد من أفراد الكلي باسم خاص وأصبح للكلي أسماء بقدر ما له من أفراد ؛ هنا كانت تبطل الحقيقة ويبطل العلم وتعلو فلسفة السوفسطائيين تلك التي حطمها سقراط لأنها أهملت العقل الذي ميز الإنسان عن الحيوان .

الفصل الرابع والعشرين

التفكير

إن ما يدفعك إلى الهرب حين تشعر بالخوف ليس هو التفكير في البعد عن الخطر ؛ وإنما الذي يدفعك إلى الهرب هو غريزة المحافظة على البقاء . إذ التفكير لا يوجد إلا إذا كان الإنسان بصدد مشكلة تتطلب حلاً . فإذا دخلت منزلك ووجدت باب مسكنك مفتوحاً ، ومتاعك قد سرق ، فأنت هنا تحاول أن تعرف من هو الفاعل . فقد تتهم بواب المنزل أو أحداً ممن يتردد على منزلك من الباعة ، أو تنسب السرقة لعصابة من اللصوص وهكذا .

فالتفكير بمعناه الصحيح هو أن يشعر الإنسان بوجود مشكلة تقف في طريقه ويصبح حل هذه المشكلة هو الغرض الذي يسعى الإنسان إلى تحقيقه .

عرض مشكلة : إذا ذهبت إلى طبيب تشكو هزالاً وضعفا فالطبيب يشعر بمشكلة . ويحاول أن يجد لها حلاً . ثم يفرض لها الفروض . فقد يكون سبب الهزال ضعفاً في الجهاز الهضمي أو سوء تغذية ، أو اجهاداً مستمراً ويبحث في هذه الفروض كلها ، فيفحص الجهاز الهضمي ليعرف العلة الحقيقية للمرض. ثم يصف الدواء بناء على فرض اتخذه سبباً للمرض ، ويلاحظ المريض أثناء العلاج ، فإذا تحسن المريض ، كان فرض الطبيب صحيحاً ، وإذا لم يتحسن كان الفرض خاطئاً فيبدأ في فرض جديد ويعالج على أساسه وهكذا .

خطوات التفكير :

إذا حاولنا أن نتبين المراحل التي يمر فيها التفكير كما في المثال السابق وجدناها : -

المرحلة الأولى : وجود المشكلة إذ أن التفكير لا يبدأ إلا إذا اعترضت الإنسان مشكلة . وهي في المثال السابق المرض نفسه (الهزال والضعف) .

المرحلة الثانية : تحديد المشكلة ، أي دراسة المشكلة لمعرفتها وتحديدها حتى لا يقع الإنسان في الخطأ نتيجة لغموض المشكلة وهي في المثال السابق دراسة المرض وتعرف أعراضه وأثره في أجهزة الجسم المختلفة .

المرحلة الثالثة : وهي فرض الفروض ، أي استعراض الحلول المختلفة ليصل الإنسان إلى حل يسميه فرضاً . وهي في المثال السابق ضعف الجهاز الهضمي أو سوء التغذية أو الإجهاد المستمر .

المرحلة الرابعة : الكشف عن قيمة الغرض . وذلك بالكشف على المريض مرة أخرى ليغلب فرضاً على فرض .

المرحلة الخامسة : تطبيق هذه الفروض ، فإذا أيدته التجربة والواقع كان صحيحاً ومعنى ذلك فحص حالة المريض في هذا المثال ، بعد تناول الدواء ، فإن تحسنت صحته كان الفرض صحيحاً ، أما إذا ساءت صحته كان الفرض خاطئاً ووجب على الطبيب أن يعيد الفحص ليحقق فرضاً آخر .

الفصل الخامس والعشرين

أثر مناقشة طلاب الجامعة لبعض المشكلات الاجتماعية على مسؤوليتهم الاجتماعية

يرتبط الفرد بالمجتمع ارتباطاً تفاعلياً وثيقاً ، يتبادلان التأثير والتأثر ، ويستحيل تصور أحدهما بدون الآخر ، فمن المستحيل أن تتصور إنساناً يحيا بعيداً عن المجتمع ـ لأن الإنسان كائن اجتماعي في أخص خصائصه ـ كما يستحيل أن تتصور مجتمعاً بدون أفراد يشكلون عناصره الفاعلة .

ويرى محمد الجوهري وآخرون (١٩٨٦ م : ١١) أن الأفراد الذين يشكلون المجتمع بصورة ما ، في مسيرة تاريخية تشهد أشكالاً متنوعة من العلاقات والتفاعلات التي تجري بينهم في تعاون وتنافس وصراع وغير ذلك . هذه التفاعلات الإنسانية التاريخية هي التي تشكل في نهاية الأمر المجتمع والنظم الإجتماعية ، بل الحضارة الإنسانية بشكل عام . لكن الإنسان الفرد من ناحية أخرى ليس فاعلاً حراً تماماً ، يوجه حركة المجتمع على هواه ، فهو محكوم في نفس الوقت نفسه بالظروف الموضوعية ، كما يتأثر هو أيضاً بهذا المجتمع وتلك الظروف .

والمجتمع متحرك دائماً غير ثابت ، يؤثر ماضيه في حاضره ، كما يؤثر هذا وذاك في مستقبله ، ومن ثم فإن تصور الإنسان عن حياته في مرحلة

ما ـ من مراحل تطور المجتمع ـ لا بد أن يختلف عن تصوره عن حياته في وقت آخر . والإختلاف بين هذه التصورات ، الذي يتضمن إختلافاً في الواقع الموضوعي ، يعني وجود ما يسمى بالمشكلات الاجتماعية (محمد الهادي عفيفي وآخرون ١٩٧٣ م : ٤٠) والمشكلات الاجتماعية ، في أفضل وصف لها هي أسئلة محيرة عن المجتمعات الإنسانية مطروحة للحل (أدوين لمرت Lemert ١٩٧٢ م : ٣) .

ويرتبط تحديد المشكلة والشعور بها ، والتعرف عليها ، بوعي الأفراد بها . فقد يعيش جماعة من الأفراد وسط ظروف سيئة ، ولكنها لا تشعر بكثير من المشكلات ولا تتعرف عليها . وهذا ما يؤكده بول هورثون ، وجيرالدليزلي Horthom & G. Lesile(١٩٨١ م : ٤) في تعريفهما للمشكلة الاجتماعية بأنها : حالة أو ظروف تؤثر على عدد كبير من الأفراد بطرق غير مرغوب فيها . ويشعر هؤلاء الأفراد انه من الممكن أن يتخذ إجراء معين تجاهها من خلال العمل الاجتماعي الجمعي .

كما يرى محمد الهادي عفيفي وآخرون (١٩٧٣ م : ٤٣) أن المشكلة الاجتماعية تعني موقفاً اجتماعياً يجذب إنتباه أكبر عدد من الأفراد ، يحفزهم على مراجعة مواقفهم ، وإعادة التكيف عن طريق البحث عن حلول جديدة ، أو تعديل اتجاهاتهم وأفكارهم .

وقد لاحظ الباحث من خلال تفاعله مع طلاب الفرقة الرابعة بكلية التربية بالعريش ، جامعة قناة السويس ـ أثناء تدريبه لهؤلاء الطلاب مادة : مبادىء علم النفس في العام الدراسي ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ م ، وعلم نفس النمو في العام الدراسي ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨ م ، والصحة النفسية في العام الدراسي ، ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ م ، نقصاً واضحاً في الإحساس والوعي بكثير من المشكلات التي يعاني منها مجتمعنا المصري مثل المشكلة الاقتصادية ، والمشكلة السكانية . . . إلخ ـ مما قد يؤثر على

مسؤوليتهم الاجتماعية . إذ أن المسؤولية الاجتماعية هي مسؤولية الفرد الذاتية عن الجماعة التي ينتهي إليها (سيد عثمان ١٩٧٣ م : ١٣) .

وإزاء تلك الملاحظة قام الباحث بإجراء هذه الدراسة التي تحاول الإجابة عن السؤال التالي :

هل تؤثر مناقشة طلاب الجامعة لبعض المشكلات الاجتماعية على مسؤوليتهم الاجتماعية ؟

يتنبأ الباحث بأن مناقشة المشكلات الاجتماعية تزيد المسؤولية الاجتماعية لما يلي :

أولاً : من الناحية النظرية :

يرى سيد عثمان (١٩٧٩ م : ٤٣ ـ ٤٥) ان المسؤولية الاجتماعية تتكون من ثلاثة عناصر مترابطة متكاملة هي :

أ ـ الاهتمام : رابطة عاطفية بين الفرد وجماعته ، وحرص الفرد على الجماعة ، وإستيعابه لها وتفكره فيها .

ب ـ الفهم : فهم الفرد للجماعة ، وللقيمة الاجتماعية لأي فعل يصدر عنه .

جـ ـ المشاركة : تقبل الفرد أدواره الاجتماعية ، وتنفيذ ما على الفرد أداؤه من عمل ، والمشاركة الموجهة الناقدة .

وفيما يلي يحاول الباحث إيضاح كيف تؤثر مناقشة المشكلات الاجتماعية على عناصر المسؤولية الاجتماعية :

أ ـ ان مناقشة المشكلات الاجتماعية تعني الاهتمام بمشكلات الجماعة والتفكر في الحلول المختلفة لهذه المشكلات ، وهذا أعلى مستويات الاهتمام بالجماعة .

ب ـ إن المشكلات الاجتماعية تتناول غالباً نشأة هذه المشكلات ، والقوى والعوامل التي تؤثر فيها ، وما يترتب عليها من آثار مما ينطوي

على زيادة فهم الفرد للجماعة . كما ان مناقشة الحلول المختلفة للمشكلات الاجتماعية ، قد يتناول معايير السلوك الصحيح اجتماعياً مما قد يؤثر في فهم الفرد للمغزى الاجتماعي لأي فعل يصدر عنه .

جـ- إن مناقشة المشكلات الاجتماعية بالإشتراك مع آخرين في الأعداد والتنفيذ والتقويم قد يؤثر في عنصر المشاركة .

ثانياً - الدراسات السابقة :

في حدود جهد الباحث لم يجد دراسات مباشرة تناولت أثر مناقشة المشكلات الاجتماعية على المسؤولية الاجتماعية ، وإنما يوجد عدد من الدراسات تناولت العلاقات بين متغيرات متشابهة (بدرجة ما) مع متغيرات الدراسة الحالية ، منها هذه الدراسات :

قام دانيل موللر Mueller (١٩٧٠ م) بدارسة هدفت إلى التعرف على الفروق في المسؤولية الاجتماعية لدى طلبة الجامعة ، على عينة قوامها ٨٠١ طالبة وطالب ، وبعد تطبيق مقاييس المسؤولية الاجتماعية . إشارت الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائياً بين درجات الطلاب الذين يدرسون العلوم الاجتماعية والإنسانية ودرجات الطلاب الذين يدرسون العلوم الطبية والهندسية . أما الطلاب الذين يدرسون السياسة والعقائد والاقتصاد فقد حصلوا على أعلى الدرجات في المسؤولية الاجتماعية من بين الطلاب الذين يدرسون العلوم الأخرى .

كما قام جون نيبتون Nepton (١٩٧٢ م) بدراسة تتبعية تتعلق بالحاجة إلى مقررات دراسية في الإرشاد التربوي ، على عينة قوامها ٥٢ فرداً ممن لم يمض على تخرجهم من الجامعة أكثر من ٣ سنوات . وبتحليل استجابات الأفراد على الإستبيان الذي طبق عليهم لهذا الغرض ، اتضح إن دراسة المشكلات الاجتماعية في الجامعة كان لها أثر فعال في المشاركة الاجتماعية بعد التخرج كما ذكر ٨٢٪ من أفراد

العينة ضرورة أن تشمل المناهج الدراسية في الجامعة دراسة المشكلات الاجتماعية .

وقام آرثر ميللر وآخرون . . Miller et al (١٩٨١ م) بدراسة موضوعها : الوعي بالجماعة والمشاركة السياسية على ٢٢٤٨ فرداً يمثلون عينات مختلفة من حيث العمر الزمني والجنس والمستوى الاقتصادي والاجتماعي ، وبعد الإستجابة على مقياس للوعي بالجماعة ، أشارت الدراسة إلى أن الوعي بالجماعة له تأثير إيجابي على المشاركة السياسية .

كما قام جوزيف بيرني وآخرون . Barney Et al (١٩٨٥ م) بدراسة موضوعها : الوعي الاجتماعي عند طلاب كلية الأعمال ، على عينة قوامها ٣٠ طالباً من الفرقة الثانية بكلية الأعمال ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٠ ـ ٢٣ عاماً . وبعد تطبيق إستبيان للإهتمامات الاجتماعية والإتجاهات نحو المجتمع . أشارت نتائج الدراسة إلى أن الوعي الاجتماعي يؤثر في نمو القيم والاتجاهات نحو المسؤولية الاجتماعية .

وقام وليم دفيدسون ، وباترك كوثر Davidson gcotter (١٩٨٩ م) بدراسة عنوانها الإحساس المجتمعي والمشاركة السياسية، على عينة قوامها ٥٤٦٠ فرداً متوسط أعمارهم ٤٤ عاماً ، من الطبقة المتوسطة ، ممن يعيشون في ولاية ألاب Al abama الأميركية وإستخدمت الدراسة مقياساً للإحساس المجتمعي ، وإستفتاء للمشاركة السياسية يتضمن الجوانب الآتية :

١ ـ التصويت في الإنتخابات . ٢ ـ الإشتراك في الحملات الدعائية . ٣ ـ الإهتمام بالشؤون السياسية . ٤ ـ العمل على حل لمشكلات العامة . ٥ ـ التحدث في السياسة .

وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود إرتباطات موجبة بين الإحساس

المجتمعي وكل من : التصويت في الإنتخابات ، والإشتراك في الحملات الدعائية ، والإهتمام بالشؤون السياسية والعمل على حل المشكلات العامة .

فرض الدراسة :

مما سبق يمكن صياغة الفرض التالي :

توجد فروق جوهرية بين المجموعة التجريبية (التي ناقشت المشكلات الاجتماعية) والمجموعة الضابطة ، بعد التجربة ، في متوسط درجات المسؤولية الاجتماعية لصالح المجموعة التجريبية .

الطريقة والإجراءات ـ العينة :

أخذ ٥٠ فرداً من الجنسين ، من طلبة الفرقة الرابعة بكلية التربية بالعريش ، كمجموعة تجريبية في العام الدراسي ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ م وأخذ مقابلاً لهم ٥٠ فرداً من طلبة الفرقة الرابعة ، من نفس الكلية ، كمجموعة ضابطة .

المقياس المستخدم في الدراسة :

لقياس المسؤولية الاجتماعية لدى أفراد العينة ، استخدم الباحث مقياساً للمسؤولية الاجتماعية من إعداده (١٩٨٤ م) وهو تعديل لمقياس سيد أحمد عثمان للمسؤولية الاجتماعية . والمقياس يتكون من ١٠٦ بنود تكون الإجابة عليها ـ في ورقة إجابة منفصلة ـ بطريقة الإختبار من متعدد : دائماً ، في كثير من الأحيان ، قليلاً ، لا .

صدق المقياس : يعتمد صدق المقياس على الصدق المنطقي حيث عرضت عبارته على مجموعة من المتخصصين ، واستبعدت العبارات التي كان الإتفاق عليها أقل من ٨٥٪ كما تم إيجاد معامل الإرتباط بين درجات المقياس ودرجات مقياس آخر للمسؤولية الاجتماعية كما يقدرها

الأقران من أعداد الباحث (١٩٨٤ م) ، ووجد أن معامل الإرتباط ٠,٥٢ لعينة قوامها ٧٥ من طلبة كلية التربية الذكور ، وهو دال عند مستوى ٠,٠١ كما تمّ التأكد من صدق المقياس من خلال تحليل عدد من المواقف الحقيقية التي تعكس سلوك المسؤولية الاجتماعية لعدد من طلبة كلية التربية . كما يتطلب المقياس عدم كتابة اسم المفحوص على ورقة الإجابة .

ثبات المقياس : تم حساب ثبات المقياس عند إعداده بطريقة إعادة الإجراء بعد مرور ٣ أسابيع على ١٠٠ من طلبة كلية التربية ، ووجد أن معامل الإرتباط بين الدرجات في كل من الإجرائين ٠,٨٢ وهو دال عند مستوى ٠,٠١ كما بلغ معامل كرونباخ (∝) ٠,٧٦ معاً .

التجربة :

تمثلت التجربة في عقد عشر جلسات في العام الدراسي ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ م واتبعت طريقة المناقشة الجماعية بالإضافة للقراءة .
وفيما يلي موجز لما حدث في الجلسات للمجموعة التجريبية .

الجلسة الأولى :

تتحدد أحداث هذه الجلسة فيما يلي :

١ ـ بدأت الجلسة بأن تعرف الباحث على أفراد المجموعة التجريبية ، وأوضح لهم أن الهدف من الجلسات هو مزيد من الفهم لبعض المشكلات التي يعاني منها المجتمع المصري .

٢ ـ استعراض الباحث مع أفراد المجموعة بعض مشكلات المجتمع وتم الإتفاق على مناقشة تسع مشكلات هي :

المشكلة السكانية ـ مشكلة الأمية ـ المشكلة الإقتصادية ـ مشكلة الغذاء ـ مشكلة تلوث البيئة ـ مشكلة الإدمان والتعاطي ـ مشكلة البطالة ـ

مشكلة نقص الوعي السياسي ـ مشكلة نقص المشاركة التطوعية .

٤ ـ طلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية تشكيل تسع مجموعات صغيرة ، وان تختار كل مجموعة صغيرة إحدى المشكلات الاجتماعية التي تم الإتفاق على مناقشتها لإعداد مقال عنها ، وقد تراوح عدد كل مجموعة صغيرة ما بين ٤ ـ ٦ أفراد . وترك لكل مجموعة صغيرة حرية تقسيم العمل بين أفرادها ، وحرية الرجوع إلى المصادر المختلفة كما تم الإتفاق على أن يعرض المقال في صورته الأولية على رائد المجموعات (الباحث) وبعد تنفيذ الملاحظات التي قد يبديها رائد المجموعات ، يكتب في صورته النهائية ويوزع على كل مجموعة نسخة منه ، حتى يتمكن كل أفراد المجموعة التجريبية من الإستيعاب الجيد للمشكلة ، وان يتم ذلك قبل مناقشة المشكلة بأسبوعين على الأقل .

٤ ـ يتم إعداد جدول زمني لمناقشة المشكلات التي تم اختيارها كما تم إعداد جدول زمني لكل جلسة كما يلي :

٥ دقائق مراجعة لأحداث الجلسة السابقة .

٥ دقائق تمهيد من الباحث للمشكلة موضوع الجلسة وتقديم أفراد المجموعة التي أعدت مقالاً عن المشكلة .

٤٥ دقيقة عرض للمقال موضوع المشكلة .

٤٥ دقيقة مناقشات حول المشكلة .

٥ دقائق تعليق من الباحث وتنويه عن الجلسة القادمة وموضوعها .

الجلسة الثانية :

موضوع المناقشة : المشكلة السكانية : أهم عناصر المقال :

تعداد السكان ـ عناصر النمو السكاني ـ هجرة السكان (داخلية وخارجية) كثافة السكان . التوزيع الجغرافي للسكان ـ تصنيف السكان

حسب العمر ـ توزيع قوة العمل في مصر ـ حجم الأسرة ـ المستقبل العددي ـ السكان حسب العمر ـ عدد السكان ذوي النشاط الإقتصادي ـ علاج المشكلة السكانية .

الجلسة الثالثة ـ مشكلة الأمية ـ أهم العناصر :

ما هي الأمية ؟ خطر الأمية ـ حجم مشكلة الأمية في العالم والبلاد العربية ـ حجم مشكلة الأمية في مصر ـ الجهود المبذولة لمحو الأمية ـ أساليب مواجهة مشكلة الأمية ـ : أسلوب الجهود المبعثرة ـ أسلوب الحملات الشاملة ـ أسلوب الجهود الإنتقائية .

الجلسة الرابعة ـ المشكلة الاقتصادية ـ أهم عناصر المقال :

تعريف المشكلة الاقتصادية ـ ارتباط المشكلة الاقتصادية بأوضاع العالم الخارجي ـ أساس المشكلة الاقتصادية زيادة الإنفاق على العائد من الموارد والإنتاج ـ أسباب قلة الإنتاج ـ أسباب زيادة الإنفاق .

مشكلة الديون الخارجية : (الداء : عجز الميزانية العامة ـ الأعراض : زيادة الديون ـ ارتفاع الأسعار ـ انخفاض قيمة الجنيه المصري ـ الدواء : ـ توازن الميزانية العامة بخفض الإنفاق العام وأن نعيش في حدود إمكانياتنا) .

علاج المشكلة الاقتصادية : ترشيد الإستيراد ـ زيادة الصادرات ـ خفض معدل الزيادة في الإصدار النقدي ، توجيه الإستثمارات في النشاطات الإنتاجية والزراعية والصناعية ، الحلول الذاتية ، التجريد من الرغبة في تحقيق النفع الذاتي على حساب المجموع ، علاج مشكلة الديون الخارجية .

الجلسة الخامسة ـ مشكلة الغذاء ـ أهم عناصر المقال :

تعريف مشكلة الغذاء ـ أهمية مشكلة الغذاء ـ تاريخ إنتاج الغذاء ـ

الثورة الخضراء خصوبة التربة ـ الأسمدة ـ الأراضي الصالحة للزراعة ـ غذاء البحر ـ الطاقة الغذائية ـ مشكلة الغذاء في مصر ـ الإحتياجات الغذائية ـ سوء التغذية ـ توقعات المستقبل ـ توفير الغذاء مشكلة عالمية .

الجلسة السادسة ـ مشكلة تلوث البيئة ـ أهم عناصر المقال :

أهمية مشكلة تلوث البيئة ـ بداية تفاقم مشكلة تلوث البيئة ـ تلوث الماء ـ تلوث الهواء ـ تلوث الغذاء ـ التلوث الضوضائي ـ التلوث الإشعاعي ـ توصيات للحد من تلوث البيئة .

الجلسة السابعة ـ مشكلة الإدمان والتعاطي ـ أهم عناصر المقال :

التعريف بمشكلة الإدمان والتعاطي ـ الأسباب ـ النتائج . وباء يغيب العقول ـ يدمر الأخلاق ـ يبدد الأموال ـ يخرب الاقتصاد القومي ـ يدفع للعدوان على الغير . علاج المشلكة : دور الأسرة ـ دور المدرسة ـ دور كل من : وسائل الإعلام ، دور العبادة ـ المجتمع .

الجلسة الثامنة ـ مشكلة البطالة ـ أهم عناصر المقال :

التعريف بالمشكلة ـ أهميتها ـ الأسباب التي أدت إليها ـ العلاج : العمل على سرعة تقديم التدريب المطلوب في القطاعات التي تحتاج إلى زيادة الأيدي العاملة أو الصناعات الجديدة ـ الهجرة إلى الخارج للدول التي تحتاج العمالة .

الجلسة التاسعة ـ مشكلة نقص الوعي السياسي ـ أهم عناصر المقال :

أهمية الوعي السياسي ـ الدستور ـ نظام الحكم : رئيس الدولة السلطة التشريعية ، السلطة القضائية ـ السلطة التنفيذية ـ المحكمة الدستورية العليا ـ المدعي العام الإشتراكي ـ القوات المسلحة ـ الشرطة . أهمية المشاركة في الإنتخابات واختيار الأنسب .

الجلسة العاشرة ـ مشكلة نقص المشاركة التطوعية ـ أهم العناصر :

التعريف بالمشاركة التطوعية ـ أهميتها ـ مجالاتها ـ العوامل المرتبطة بالعمل التطوعي ـ أسباب العزوف عن المشاركة التطوعية .

قياس المسؤولية الاجتماعية : تم تطبيق مقياس المسؤولية الاجتماعية قبل وبعد التجربة في جلسات مشتركة لأفراد المجموعتين التجريبية والضابطة ، وطلب عدم كتابة الإسم على ورقة الإجابة حسب تعليمات المقياس .

النتائج ومناقشتها :

أولاً : النتائج :

للتحقق من صحة فرص الدراسة ، استخدم الباحث « ت » للكشف عن الفروق بين المتوسطات بين مجموعتي الدراسة وكانت النتائج كالآتي :

جدول رقم (١)

يوضح المتوسط الحسابي والإنحراف المعياري «ع» للمجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة قبل وبعد التجربة ، كما يبين قيمة «ت» ودلالتها للفروق في متوسطات درجات المسؤولية الاجتماعية بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة وذلك قبل التجربة وبعدها .

المتغير	المجموعة التجريبية			المجموعة الضابطة			قيمة ت(*)	الدلالة الاحصائية
	ن	م	ع	ت	م	ع		
قبل التجربة	٥٠	٢٢٨	١٨,٣	٥٠	٢٢٦,٦	١٥,٠٥	٠,٤١٤	غير دال
بعد التجربة	٥٠	٢٨٠,٨	١٥,١١	٥٠	٢٢٥,٦	١٥,١٢	١٨,١	دالة عند مستوى ٠,٠٠١

(*) وجدير بالذكر أن الباحث لم يتمكن من المزاوجة بين الدرجات قبل وبعد التجربة للمجموعة الواحدة ، لأنه من شروط تطبيق مقياس المسؤولية الاجتماعية المستخدم في الدراسة عدم كتابة الاسم على ورقة الإجابة وبذلك لم يمكن حساب «ت» باستخدام معادلة المجموعة الواحدة .

من الجدول (١) يتضح :

١ ـ إن الفروق بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة قبل التجربة في متوسط درجات المسؤولية الاجتماعية ليس له دلالة احصائية . أي أن المجموعتين متكافئتان في متغير المسؤولية الاجتماعية قبل التجربة .

٢ ـ إن الفروق بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة بعد التجربة في متوسط درجات المسؤولية الاجتماعية له دلالة إحصائية عند مستوى ١ ٠٠, وهذا الفرق لصالح المجموعة التجريبية . أي إنها أعلى في المسؤولية الاجتماعية وذلك من أثر التجربة .

من ٢٢١ نستنتج تحقق صحة فرض الدراسة ، وهو :

توجد فروق جوهرية بين المجموعة التجريبية (التي ناقشت المشكلات الاجتماعية) والمجموعة الضابطة في متوسط درجات المسؤولية الاجتماعية ، بعد التجربة لصالح المجموعة التجريبية .

ثانياً مناقشة النتائج :

ويمكن القول ان مناقشة المشكلات الاجتماعية لها أثر في زيادة مستوى المسؤولية الاجتماعية . . ويمكن تعليل ذلك بأن مناقشة المشكلات الاجتماعية تزيد من عناصر المسؤولية الاجتماعية الثلاثة : الاهتمام ، الفهم ، المشاركة كما سبق إيضاحه من الإطار النظري .

كما تلقى نتيجة هذه الدراسة تعزيزاً من نتائج دراسات كل من : دانيل موللر Mueller (١٩٧٠ م :) ، جون نيبتون Nepton (١٩٧٢ م) وأرثر ميللر وآخرون . Miller et al (١٩٨١ م) ، جوزيف بيرني وآخرون. Barney et al (١٩٨٥ م)، وليم ديفيد سون وباتركوتر David Son & Cotter (١٩٨٩ م) .

ويرى محمد الهادي عفيفي (١٩٧٠ م : ٣١٥) في هذا الصدد إن معالجة أي مشكلة اجتماعية لا بد أن يعالج الشعور بالواجب الاجتماعي والمسؤولية ، والدوافع والحاجات الإنسانية ، وهذا يؤدي إلى تعميق الفهم وتأكيد المسؤولية الفردية والاجتماعية وتغيير الاتجاهات العقلية ، والنظر إلى المشكلات وطريقة حلها ومواجهتها .

توصية الدراسة :

إن الجامعات قد درجت على التركيز على التخصص ، لأنها ترى أن وظيفتها إعداد الفنيين والمتخصصين والخبراء . إلا أن هذه الوظيفة ـ وإن كانت تعتبر جوهر رسالتها ـ كثيراً ما تدور في إطار ضيق يقيد الشباب بنظرات ومهارات محدودة ، لا يرون من خلالها ما هو خارج تخصصاتهم . وبذلك تضحى الجامعات بالنظرة الإنسانية الشاملة التي تعني تنمية قسط وافر من الفهم الاجتماعي (محمد الهادي عفيفي ت ١٩٧٠ م ؛ ٣٣٤ - ٣٣٩) .

إذا كان لهذه الدراسة توصية فإنها إستناداً إلى الفرض الذي تحققت من صحته توحي بما يلي :

أن يدرس الطالب الجامعي ـ أياً كان تخصصه ـ المشكلات التي يعاني منها مجتمعه .

الفصل السادس والعشرين

مقارنة علاقة بعض العوامل الدافعية بالانتاج العقلي لتلاميذ وتلميذات الحلقة الثانية من التعليم الأساسي

المقدمة :

إن هناك أسباباً تدفع الباحثين إلى الإهتمام بدراسة شخصية المتفوقين عقلياً . ولعل من أوائل هذه الأسباب ، وإدراك المهتمين بهذه الظاهرة أن الإنتاج العقلي المعرفي أمر لا يتوقف فقط على عملية التفكير ، فنحن بصدد ظاهرة متعددة الجوانب ينتج عنها تقديم ناتج يختلف عما هو معروف لدى الناس .

ولقد اثبت اريكسون Eriksson (١٩٨٥ م) في المؤتمر العالمي السادس للابتكار - الذي عقد في هامبورج - قدرة بعض المتغيرات الدافعية على تنمية القدرات العقلية الإبتكارية (٢٢) .

ولقد اتفق كل من بلوم Bloom (١٩٥٦ م) ، وماي May (١٩٥٩ م) على أهمية الدافعية كعنصر فعال للأداء العقلي الإبتكاري ، فغالباً ما نجد الطريق الابتكاري هو طريق الألم والوحدة ، ولكن دافعية المبتكرين لا بد وأن تكون قوية للتغلب على الخوف (٣٢,٩) . وهذا هو ما جعل كولمان Coleman (١٩٦٠ م) ومادي Maddi (١٩٨٩ م) يقرران أن العوامل الدافعية هي المفتاح للوصول

إلى الإنتاج العقلي الابتكاري لما لها من أهمية خاصة (١٦ ، ٣٣) .

وتوصل عبد الوهاب كامل (١٩٨٠ م) إلى إن دراسة النشاط العقلي وصيغ الأداء المختلفة لا بد وأن يتم وصفها من خلال الخصائص الدافعية والمزاجية للشخصية (ع) ومن هنا فإن للجوانب الدافعية ثقلها الواضح في التأثير في الأداء العقلي المعرفي . بل إعتبرها جيفرث Gefferth (١٩٨٥ م) القوة أو الدفة التي توجه انشطتنا أو حياتنا عامة والقدرة الإبتكارية خاصة مما جعله يؤكد على إنه يمكن إعتبار القدرة على حل المشكلات انعكاساً للمتغيرات الشخصية ، والمحددات الاجتماعية والدافعية (٢٤) .

ولا شك ان الانتاج العقلي المعرفي يتضمن كلاً من التفكير التقاربي ، والتفكير التباعدي . وإذا كان التحصيل الدراسي ناتجاً ينتمي إلى التفكير التقاربي ، فإن الأنشطة الإبتكارية هي نتاج التفكير التباعدي . ولقد أوضح دوود Dowd (١٩٦٧ م) إن مقاييس التفكير التقاربي تفوق التباعدي كمنبئات بالتحصيل الأكاديمي ، وان مقاييس التفكير التباعدي تفوق التقاربي كمنبئات بالإبتكارية واستنتج في النهاية أن مقاييس التفكير التباعدي والتفكير التقاربي تقيس جوانب مختلفة ومتكاملة من الإستعداد المعرفي وهي نفس النتيجة التي انتهى إليها جيلفورد Guilford (١٩٧٦ م) (١٧ ، ٢٦) .

ولقد أمكن لحمدي محروس (١٩٨٠ م) التنبؤ بالتحصيل الدراسي لطالبات الصف الثالث الجامعي من خلال درجاتهن في التفكير الابتكاري (٢) . ولقد حاول سانديفر Sandifer (١٩٧٣ م) الكشف عن العلاقة بين الإبتكار والتحصيل الأكاديمي بعد عزل التباين الذي يرجع إلى نسبة الذكاء ، الجنس ، المستوى الاقتصادي . وانتهت الدراسة إلى ان العلاقة بين الابتكار والتحصيل ضعيفة على الرغم من وجود

ارتباط دال وهو ما يتفق مع ما توصلت إليه دراسات سيسيرلي Cicirelli (١٩٦٥ م) ياماموتو Yamamoto (١٩٦٦ م) حيث تراوحت معاملات الإرتباط بين الإبتكار والتحصيل بين ٣٠٢,٢٦ (١٥ ، ٣٩ ، ٥٦) .

ولقد استنتج ورد Ward (١٩٦٧ م) ان عامل التحصيل الدراسي يسهم بنسبة ٢٨,٧٪ من التباين ، أما عامل الابتكارية فيسهم بنسبة ٢٣,٨٪ من التباين الخاص بالمصفوفة العقلية المعرفية (٤٩) وقد وجد ادواردز Edwards (١٩٦٩ م) تماثل التحصيل في مجموعتين مرتفعتي الذكاء ومرتفعتي الابتكار مما جعله يستنتج انه لا أثر للإبتكارية على التحصيل الدراسي . بل كان متوسط تقديرات النجاح للطلبة مرتفعي الذكاء مرتفعي الإبتكارية منخفضاً عن متوسط تقديرات النجاح للطلبة مرتفعي الذكاء منخفضي الابتكارية (١٩) .

ولقد توصل فيدلر Vidler (١٩٧٤ م) في دراسته عن العلاقات بين التفكير التقاربي والتباعدي بكل من حب الإستطلاع وقلق الإختيار لدى طلبة كلية التربية إلى وجود ارتباطات موجبة للتفكير التقاربي والتباعدي مع حب الاستطلاع (٥٠) . ولقد اثبت ديودك Dudeck (١٩٨٤ م) من خلال التحليل الكيفي لمحتوى الرور شاخ ـ ان مستوى الدافع يرتبط بالنبوغ العقلي الإبتكار (١٨). وهذا هو ما جعل شتاين Stein (١٩٦٨ م) يقرر أن أحد العوامل الأساسية التي ربما تكون قد أسهمت في انخفاض معاملات الإرتباط بين اختبارات جيلفورد الإبتكارية وبعض المحكات الإبتكارية ، هو عدم استخدام بعض مقاييس الدافعية . كمتغيرات وسيطة . فقيمة هذه الإختبارات ربما تزداد إذا صاحبتها بعض المقاييس الدافعية (٤٢) .

أهمية الدراسة :

لا شك إن البناء المعرفي يلعب دوراً أساسياً في حل المشكلات عامة

والأداء الإبتكاري خاصة وهو ما أثبته نسكـا Necka (١٩٨٥ م) - في المؤتمر العالمي السادس للإبتكار الذي عقد بهامبورج - حين أوضح أن البناء المعرفي . Cognitive sub – Structure الخاص بالقدرات العقلية - يلعب أو يؤدي دور القيادة في العملية الابتكارية (٣٦) .

ولقد أوصت دراسة سميلانسكي Smilansky (١٩٨٤ م) ضرورة القاء الضوء على الجـوانب اللامعرفية التي تمكن الفرد ذا الكفاءة الجيدة في حل المشكلات من التغيير التدريجي للوصـول إلى مرتبـة هؤلاء ذوي القـدرة على الإختراع والإبتكـار (٤١) . أمـا تـانينبـوم Tannenbaum (١٩٨٣ م) فقـد أوضح إنـه بدون التـأكيد على الـدور الـذي تلعبـه المتغيرات الدافعية بجانب المتغيرات المزاجيـة ، فإنـه من المستحيل الوصول إلى مستوى مرتفع من الإبتكار (٤٤) .

ولقد انتهى فينر Weiner (١٩٧٠ م) إلى أن متغيرات الشخصية لها دور هام في التأثيـر على أداء الطلبة الجامعيين المـوهوبين وبخـاصة العوامل الدافعية (٥٣) وقد قرر كاري Carey (١٩٥٨ م) ان الإختلاف في أداء حل المشكلات لا يمكن إرجاعه إلى الإستعدادات المعرفيـة وإنما إلى العوامل اللامعرفية (١٣) .

ولقد حاولت دراسات عديدة أن تكشف عن الدور الـذي تسهم به متغيرات حب الإستطلاع ، الدافعية الدراسية ، المثابرة ، الثقة بالنفس في التأثير على الإنتاج العقلي المعرفي . وقد أثبتت هذه الدراسات ان هذه المتغيرات تعتبر من أهم الدوافع التي تحرك سلوك الطلاب النابغين وتوجهه الوجهة التي تحقق حاجاته وتشبع رغباته ، كما أنها تسهم في تشكيل سلوكياته والمناخ الملائم للإنجاز العقلي .

ويذكر بياجية Paiget (١٩٧١ م) إن ديناميكية الجوانب الدافعية تؤثر على الوظائف العقلية المعرفية ، حيث انها تتحكم في معدل سرعة النمو

المعرفي (٣٨) . ويشرح شتاين Stein (١٩٧٤ م) طبيعة العلاقة بين الجوانب الدافعية والعقلية مؤكداً على ان الأداء المعرفي يتطلب مستويات معتدلة من الدافعية . وكذلك فإن العمليات المعرفية تتحكم في مستوى الدافع حيث أن الازدياد والنقصان في الدافعية ليس ثابتاً (٤٣) .

ولقد توصل هورن Horn (١٩٧٠ م) إلى انه إذا كانت الجوانب المعرفية تحدد مستوى الكفاءة التي يصدر بها الفرد استجابات معينة ، وكان للسمات المزاجية أن تحدد خاصية هذه الإستجابة ، فإن العوامل الدافعية تنهض بتقديم تفسير لكيفية تأثر كائن بأن يصدر هذه الإستجابة دون غيرها (٣٠) . وعموماً يقرر اندروز Andrews (١٩٧٥ م) إن للجوانب اللامعرفية تأثيراً كبيراً في ترجمة القدرة المعرفية إلى انتاج عقلي خاصة عند الدخول في أنشطة جديدة ، والقدرة على اتخاذ قرار ، والشعور بالأمان والراحة ، والإرتفاع النسبي لمستوى الدافع (٩) .

ولقد وجد هولان Holland (١٩٦١ م) ان مرتفعي الأداء الأكاديمي الإبتكاري من المراهقين يتصفون بالمثابرة ، وحب الاستطلاع ، القدرة المعرفية العقلية . الإستقلالية ، القدرة على التعبير ، الطموح ، التحصيل المستقبلي ، الإنجاز (٢٩) . وقد توصل ويت Wyatt (١٩٧٣ م)ان للثقة بالنفس قدرة على التنبؤ الدال بالذكاء اللفظي لكل من الذكور والإناث من تلاميذ الصف السابع ، ولقد تفوقت البنات على البنين في التحصيل وكان البنون أكثر ثقة بالنفس وأكثر جرأة ومغايرة (٥٥) .

الهدف من الدراسة :

يمكن تقسيم أهداف الدراسة وتحديدها في فئتين :

أولاً : الأهداف النظرية وتتضمن :

١ ـ التعــرف على مـدى تـأثيـر الجنس ، الصف الـدارسي على المتغيرات الدافعية .

٢ ـ التعرف على مدى تأثير الجنس، الصف الدراسي على الإنتاج العقلي .

٣ ـ الكشف عن طبيعة الإنتاج العقلي من خلال تبين العلاقة بين التحصيل الأكاديمي والنشاط الإبتكاري .

٤ ـ الكشف عن العلاقة الوظيفية بين العوامل الدافعية والإنتاج العقلي .

ثانياً : الأهداف التطبيقية وتتضمن : ـ

١ ـ توجيه المربين إلى المناخ الدافعي ـ العقلي المناسب لتشجيع الطلاب حتى يمكن استغلال ما يتوافر لدى الأبناء والطلاب من الإستعدادات وقدرات عقلية مختلفة .

٢ ـ توجيه نظر المربين والمعلمين ليتعرفوا على أفضل عوامل دافعية تدفع بأقصى طاقة عقلية وتؤدي إلى الوصول إلى أعلى إنتاج إبتكاري .

٣ ـ توجيه نظر الطلاب إلى الحد الأمثل من العوامل الدافعية بحيث يؤدي بهم إلى أعلى إنتاج عقلي .

الدراسات السابقة :

توصل تايلور Taylor (١٩٧٥ م) إلى أن المبتكرين وغير المبتكرين من طلبة الفنون لم يختلف آداؤهم على المقاييس المعرفية ، ولكن اختلف آداؤهم على المقاييس الدافعية والقيم (٤٥) .

ولقد أعطى تورانس ، ديو Torrance, Dauw (١٩٦٩ م) أهمية خاصة لعامل الدافع للإنجاز (٤٦) وتوصلت دراسات عديدة إلى ان قوة الدافع للإنجاز لها تأثير إيجابي على الأداء العقلي الابتكاري. إذ أنه

يجعل الفرد يفضل الأنشطة التي تتخللها الصعوبات ويكسب الفرد مثابرة عالية في العمل ، هذا بجانب انه يظهر كفاءة مرتفعة أو مستوى عال من الإنجاز (٢٣ ، ٣٥) .

ولقد قام أهامر شاي Ahamar, Schaie (١٩٧٠ م) بدراسة الفروق العمرية في العلاقة بين متغيرات الشخصية والتحصيل الدراسي لدى أطفال الصفين الثالث والسادس من التعليم الأساسي . وقد كان للذكاء قدرة على التنبؤ بالتحصيل الدراسي . وعند إضافة الثقة بالنفس إلى الذكاء زاد التنبؤ بالتحصيل زيادة دالة وهو ما يتفق مع ما هو اليه توليفسون Tollefson (١٩٦١ م) (٨ ، ٤٦) .

كما وجد باكورود Packwood (١٩٧٣ م) في دراسته عن الدافعية والتحصيل لدى طلبة الجامعة ـ ان درجات الثانوية العامة تتعلق بـ ١٢٪ فقط من تحصيل الطالب في الصف الأول الجامعي ، أما عند إضافة المتغيرات الدافعية فيزيد التباين إلى ٢٣٪ للذكور ، ومن ١٧٪ ـ ٢٠٪ للإناث وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة ويلتس وآخرون Wiltse (١٩٧٩ م) إذ وجد ان إضافة الدافع للإنجاز إلى المقاييس المعرفية يحسن التنبؤ بالتحصيل الدراسي بنسبة ١٠٪ للإناث ، ١٩٪ للذكور ، ١١٪ للمجموعة الكلية (٣٧ ، ٥٤) .

ولقد أمكن لايلتون ، وروز Elton & Rose (١٩٧٤ م) التنبوء بالأنشطة الإبتكارية (اختبار يشتمل على ٩ أنشطة غير أكاديمية) من خلال متغيرات الدافعية ، الإنبساط الإجتماعي ، القدرة على تذوق الجمال (٢١) .

وقد قام جمسون Gumson (١٩٦٤ م) بدراسة مقارنة للمتغيرات المعرفية والدافعية لمرتفعي ومنخفضي الابتكارية وذلك على ٦٨ طالباً وطالبة بكلية التربية واستنتج تفوق مرتفعي الإبتكارية في قوة الدافعية ،

والقدرة اللغوية ، والتحصيل الدراسي (٢٧) .

وقد وجد جيلفورد Guilford (١٩٥٩ م) ان جميع الإرتباطات بين المتغيرات المعرفية وكل من العوامل الدافعية والمزاجية أقل من ٣٠, ، وان المرتفعين على الطلاقة الفكرية والأصالة يكونون أكثر دافعية ، وتقديراً للذات ، وثقة بالنفس . واستنتج جليفورد في النهائية أن للعوامل الدافعية تأثيراً أكبر عن المتغيرات المزاجية (٢٥) .

وقام تشامبرز Chambers (١٩٦٤ م) بدراسة عوامل الشخصية المرتبطة بالإبتكارية العلمية وذلك على ٧٤٠ عالماً منهم ٤٠٠ كيمائي ، ٣٤٠ سيكولوجياً (اختيروا على أساس الإنتاج العلمي ـ الترشيح وانتهت الدراسة إلى أن المبتكرين أعلى مستوى في الدافعية نحو النجاح في العمل (١٤) .

ولقد وجد براسل وآخرون Brassel (١٩٨٠ م) أن هناك فروقاً دالة بين مرتفعي ومنخفضي القدرة من تلاميذ الصف السابع الأساسي وذلك على الدافعية الدراسية ، مفهوم الذات (١٢) أما هل Hall (١٩٧٢ م) فتوصل إلى وجود فروق دالة بين مرتفعي ومنخفضي التحصيل في بعض المتغيرات الدافعية مثل الدافع للإنجاز ، ومستوى الطموح (٢٨) . كما أثبت كهان Khan (١٩٦٩ م) ان متغيرات الدافع للإنجاز ، وعادات الدراسة ، الإتجاهات ، قلق التحصيل تزيد بدلالة الإرتباط المتعدد بالتحصيل الأكاديمي لدى تلاميذ وتلميذات الصف الثامن الأساسي (٣١) .

ولقد استعان ماكينون Mackinnon (١٩٦٢ م) بمجموعة من المحكمين لتقدير درجة ابتكارية عينة من المهندسين بناء على مقياس مكون من تسعة بنود . وأمكن تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات : مرتفعو الإبتكارية ٤٠ ، متوسطو الابتكار ٤٣ ، منخفضو الإبتكار ٤١ ، وأشارت

النتائج إلى إتصاف المبتكرين بالمثابرة ، الثقة بـالنفس ، الطمـوح ، الميل إلى التعقيد ، المرونة ، التحصيل ، الذكاء (٣٢) .

وقد أكدت دراسات عديدة على إتصاف المبتكرين بالثقة بالنفس ، التحصيل ، الأداء ، العقلية السيكولوجية ، الاستقلال ، التكيف ، مثل دراسـات عبد الغفـار Abdel - Gaffar (١٩٧٢ م) يـارنـل Yarnell (١٩٧١ م) . والش ، كوجان Wallach, Cogan (١٩٧٢ م) سكـايفر Schaefer (١٩٦٩ م) ، عبد العـزيز الشخص (١٩٧٨ م) (٧ ، ٢٥ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٥٧) .

وقـام تورانس Torrance (١٩٦٣ م) بتقسيم أربع مجموعـات من تلاميذ التعليم الأساسي حسب مستوى الذكاء (مرتفع ، منخفض) ، الإبتكار (مرتفع ، منخفض) . من ثم قام بدراسة الفروق بين المجموعات الأربع وذلك على بعض الجوانب اللامعرفية (٤٧) .

ووجـد أدواردز Edwards (١٩٧٧ م) في دراسته عن العـلاقـة بين بعض سمـات الشخصية والنجـاح في المدرسـة والعمل ، إن سمـات المثابرة ، الإستقلالية ، التجاوب لها ارتباط دال بجميع عينات الدراسة (١٨) . أما ڤيدلـر Vidler (١٩٧٤ م) فقد قـام بدراسـة العلاقـة بين متغيرات التفكير التقاربي ، التفكير التباعدي ، حب الإستطلاع ، قلق الإختبار وذلك على ٢٠٢ من طلاب وطالبات كليات التربية . وانتهت الدراسة إلى وجود ارتباطات موجبة للتفكير التقاربي والتباعدي مع حب الاستطلاع ، بينما كانت الإرتباطات سالبة مع قلق الإختبار (٥٠) .

وفي دراسـة عاملية قام بها بلـخر Belcher (١٩٧٧ م) على متغيرات الشخصية ، الدافعية ، المقاييس الإبتكارية . أسفر التحليل عن ثلاثة عوامل هي : العامل المزاجي الدافعي ، عامل التفكير التباعدي ، عامل التفكير التباعدي الأصيل (١٠) كمـا حصل حسن عيسى (١٩٦٧ م)

على عامل منفصل للثقة بالنفس وعامل خاص بالعوامل العقلية الإبتكارية (١) .

فروض الدراسة :

١ ـ يتغير مستوى كل من العوامل الدافعية (حب الاستطلاع ، الدافعية الدراسية ، المثابرة ، الثقة بالنفس) ، والإنتاج العقلي (التحصيل الأكاديمي ، النشاط الإبتكاري) بتغير الصف الدراسي .

٢ ـ يتغير مستوى كل من العوامل الدافعية (حب الإستطلاع ، الدافعية الدراسية ، المثابرة ، الثقة بالنفس) ، والإنتاج العقلي (التحصيل الأكاديمي ، النشاط الإبتكاري) بتغيير الجنس .

٣ ـ تختلف العلاقة بين التحصيل الأكاديمي ، النشاط الإبتكاري ، باختلاف الصف الدراسي .

٤ ـ تختلف العلاقة بين التحصيل الأكاديمي ، النشاط الإبتكاري باختلاف الجنس .

٥ ـ توجد علاقات إرتباطية دالة بين العامل الدافعي وكل من التحصيل الأكاديمي والنشاط الإبتكاري لتلاميذ وتلميذات الصف الثامن الأساسي .

٦ ـ توجد فروق دالة بين متوسطات درجات المجموعات الأربع المقسمة حسب مستويات كل من التحصيل الأكاديمي والنشاط الإبتكارى على العوامل الدافعية .

الإجراءات

أولاً : أدوات البحث :

إستخدم الباحث في هذه الدراسة أربع أدوات لقياس المتغيرات الرئيسية :

١ ـ قائمة الأنشطة الإبتكارية (٤٩) :

قام الباحث بترجمة هذه القائمة عن تورانس Torrance :(١٩٦٩ م) وتشتمل هذه القائمة على بعض السلوكيات والأنشطة التي يؤديها التلاميذ في مجالات متعددة والتي تكشف وجود إبتكارية ظاهرة وواضحة وملموسة في فنون اللغة وبعض الجوانب الاجتماعية والعلمية . وتتضمن تعليمات القائمة مجموعة من الأسئلة التي تتعلق بمدى مشاركة الطلبة في الأنشطة المختلفة والإجابة أما أن تكون بنعم أو بلا .

وتشتمل القائمة على ٨٤ نشاطاً في صورتها الأولية ، ولكن تم حذف ثلاثة أنشطة لا تتلائم مع البيئة المصرية ، بذلك أصبحت في صورتها النهائية تشمل ٨١ نشاطاً إبتكارياً .

أمثلة لبعض بنود القائمة :

ـ هل كتبت مرة قصيدة شعرية .

ـ هل خططت لتجربة علمية .

ـ هل اشتركت في مسابقة علمية .

ـ هل قمت بتشريح حيوان .

ـ هل التقطت صورة فوتوجرافية .

ـ هل قرأت مجلة علمية .

ـ هل ساعدت في تنظيم معرض للبيع .

ـ هل قمت بلعبة جديدة وعلمتها للآخرين .

ـ هل شاركت الوالدين في حل مشكلة .

ـ هل قمت بنقش على الخشب .

التقنين على البيئة المصرية :

* معاملات الثبات : تمَّ حساب نوعين من معاملات الثبات :

أولاً : معاملات الثبات عن طريق إعادة إجراء الاختبار :

قام الباحث بالتأكد من ثبات القائمة على خمسين تلميذا وخمسين تلميذة بمرحلة التعليم الأساسي، وكانت معاملات الثبات ٧٩, ، ٨١, على الترتيب بعد فترة زمنية قدرها أسبوعان.

ثانياً : معاملات الثبات عن طريق التجزئة النصفية :

استخدم الباحث معادلة سبيرمان براون . وكانت معاملات الثبات ٧٦, ، ٧٩ لدى عينتي الذكور والإناث على الترتيب.

معاملات الصدق :

إستعان الباحث بلجنة محكمين من بعض أساتذة علم النفس وذلك بهدف التعرف على صدق محتوى القائمة ولا شك أن صدق المفهوم وصدق البناء يتحققان في هذه القائمة وذلك في ضوء الإنتاجات الإبتكارية الواضحة الملموسة .

وقد استخدم الباحث تقدير المعلمين كمحك خارجي لهذه القائمة حيث وضع الباحث تعريفاً للأنشطة الإبتكارية يقدر في ضوئه المعلم درجة إبتكارية ٥٠ تلميذاً بمرحلة التعليم الأساسي وكان معامل الإرتباط بين تقدير المعلم وقائمة الأنشطة الإبتكارية ٥٢, .

ب ـ إستبيان الشخصية لتلاميذ التعليم الأساسي (٥) : وهو من إعداد فوزي إلياس (١٩٨٥ م) .

يتكون الإستبيان من ٥١ سؤالاً يجاب عن كل منها بنعم أو لا ، ويتضمن الإستبيان ثلاثة إختبارات هي :

ـــ إختبار الدافعية الدراسية ويتضمن ٢١ سؤالاً : مأخوذاً عن اختبار

ابردين للدافعية الدراسية . وتتمثل الدافعية الدراسية هنا في الرغبة القوية للنجاح بتفوق لكسب تقبل اجتماعي من الأباء والمدرسين تدفع بإمكانات الفرد العقلية لتحقيق أقصى أداء ممكن .

ـ إختبار الثقة بالنفس ويتضمن ١٢ سؤالاً : وتتمثل في كفاءة الفرد في مواجهة مواقف الحياة ، وحسن توافقه مع الآخرين .

ـ إختبار المثابرة الدراسية ويتضمن ١٨ سؤالاً : وتتمثل في المثابرة في بذل الجهد والاستذكار والإصرار على تحقيق مستويات مرتفعة للتحصيل الدراسي برغم ما يواجه التلميذ من صعوبات وعقبات .

ولقد تم تقنين الإستبيان على تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي . وقد استخدم الصدق بمحك خارجي ، وكذلك الصدق العاملي ، أما عن الثبات فقد استخدمت طريقة إعادة إجراء الإختبار ، كانت المعاملات مرضية بدرجة كبيرة .

(جـ) إختبار حب الاستطلاع (٦) :

أعده محمد أحمد سلامة (١٩٨٥ م) عن ماو ، ماو ، بعد أن عدلت عباراته لتلائم البيئة المصرية . ويتكون المقياس من ٤٠ عبارة ، يجاب عليها بطريقة ليكرت في متدرج من جيد جداً حتى سيء جداً . وهي تعبر عن سلوكيات يطلب إلى التلميذ أن يبدي رأيه فيه .

ويرى واضع الإختبار أن حب الإستطلاع يظهر عندما يستجيب الفرد إيجابياً للعناصر الجديدة ، الغريبة ، المتناقضة أو الغامضة في بيئته ، بالتحرك نحوها ، باستكشافها أو بمعالجتها يدوياً .

وقد تم التأكد من صدق الإختبار بواسطة صدق المقارنة الطرفية حيث بلغت قيمة ب بين مرتفعي ومنخفضي حب الإستطلاع ٣٠,٨٧ وهي دالة عند مستوى (٠,٠١) . كما حسب الصدق بمحك خارجي بمقياس آخر لحب الإستطلاع وبلغ معامل الإرتباط (٠,٣٧) وهو دال

عند مستوى (۰٫۰۱) . وحسب معامل الثبات بإستخدام معادلة كودر - ريتشاردسون فبلغ (۰٫۷۲) .

درجات أفراد عينات البحث ذوي الصفوف من السابع إلى التاسع الأساسي في المجموع الكلي الفعلي التي حصل عليها الطالب في جميع المواد الدراسية في العام السابق مباشرة لتطبيق أدوات البحث .

ثانياً : عينة الدراسة :

تضمنت عينة هذا البحث ٣٦٠ تلميذاً وتلميذة بمرحلة التعليم الأساسي بمدينة طنطا موزعين كالآتي :

ــ ٦٠ تلميذاً بكل من الصف السابع ، الثامن ، التاسع الأساسي من مدرسة النجاح الإعدادية بنين .

ــ ٦٠ تلميذة في كل من الصف السابع ، الثامن ، التاسع الأساسي من مدرسة السيدة عائشة الإعدادية بنات كما يشير جدول (١) .

جدول (١) إعداد عينة البحث الكلية

الجنس	الصف السابع الأساسي	الصف الثامن الأساسي	الصف التاسع الأساسي	المجموع
إناث	٦٠	٦٠	٦٠	١٨٠
ذكور	٦٠	٦٠	٦٠	١٨٠
المجموع	١٢٠	١٢٠	١٢٠	٣٦٠

ولقد طبق الباحث أدوات البحث على العينات المختلفة ، وقام بحساب المتوسط الحسابي ، الإنحرافات المعيارية لدرجات عينات البحث على المقاييس المستخدمة كما يشير جدول (٢) .

جدول (٢)

المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجات عينات البحث على المقاييس المستخدمة

الجنس	العينة	حب الاستطلاع			الدافعية الدراسية	
		ن	م	ع	م	ع
بنين	الصف السابع	٦٠	١٣٨,٣٩	١٥,١٦	١٦,٠٥	٢,٧٣
	الصف الثامن	٦٠	١٣٧,١١	١٣,٩٧	١٦,٦١	٢,٦٧
	الصف التاسع	٦٠	١٣٨,٥٨	١٢,٢٩	١٥,٣٩	٢,٦١
بنات	الصف السابع	٦٠	١٣٧,٩٥	١٢,٤٤	١٦,٤٧	٣,٢٧
	الصف الثامن	٦٠	١٣١,٣٨	١٥,٢٦	١٧,٢٨	٢,٥٦
	الصف التاسع	٦٠	١٣٥,١٩	١١،٥٥	١٧,٣٣	٢,٨٩

جدول (٢)

المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجات عينات البحث على المقاييس المستخدمة

			المثابرة		الثقة بالنفس		التحصيل الاكاديمي		النشاط الإبتكاري	
		ن	م	ع	م	ع	م	ع	م	ع
بنين	الصف السابع	٦٠	١٥,١٤	٢,٤٩	٥,٤٩	٢,٣٧	٢٦١,٢٩	٢٢,٠٩	٢٨,٤٧	٩,٢٥
	الصف الثامن	٦٠	١٥,٦٠	٢,١٦	٥,١٦	٢,٢١	٢٥٠,١١	٢٦,١٧	٣٠,٦٧	١٣,٩٤
	الصف التاسع	٦٠	١٤,٨٦	٢,٢٧	٤,٨١	١,٨٧	٢٣٥,٩٤	٣٤,٣٩	٣٣,٥٨	١٠,٩٣
بنات	الصف السابع	٦٠	١٥,٢١	٢,٦٥	٥,٠٢	١,٧٢	٢٣٦,٤٨	٣٥,٠١	٢٩,٩٥	١٢,١٣
	الصف الثامن	٦٠	١٦,٢٣	١,٨١	٤,٣٨	١,٨٠	٢٤٣,٧٣	٢٢,٣٧	٢٩,٦٦	٩,١١
	الصف التاسع	٦٠	١٥,٨٣	٢,١٣	٣,٦٨	١,٥٧	٢٤٤,٩١	٣١,١٦	٢٥,٢٨	٠,٦٢

ثالثاً : المعالجة الإحصائية :

استخدم الباحث الأساليب الإحصائية الآتية :

١ ـ المتوسط الحسابي والإنحراف المعياري لدرجات العينات المختلفة من العوامل الدافعية والإنتاج العقلي .

٢ ـ تحليل التباين أحادي الإتجاه لدرجات العينات في الصفوف الدراسية المختلفة .

٣ ـ قيم ت للفروق بين متوسطات درجات المجموعات ذوي الصفوف الدراسية المختلفة من الجنسين .

٤ ـ معاملات الإرتباط سواء بين العوامل الدافعية والإنتاج العقلي أو بين النشاط الإبتكاري والتحصيل الدراسي .

٥ ـ اختبار Z لقياس دلالة الفروق بين معاملات الإرتباط المستقلة السابقة على عينات مختلفة .

٦ ـ الإرتباط الجزئي بين العوامل الدافعية والنشاط الإبتكاري عند تثبيت مستوى التحصيل .

النتائج

النتائج الخاصة بالفرضين الأول والثاني :

إفترض الباحث أن مستوى كل من : العوامل الدافعية (حب الاستطلاع ، الدافعية الدراسية ، المثابرة ، الثقة بالنفس) والإنتاج العقلي (التحصيل الدراسي ، النشاط الإبتكاري) يتغير بتغير كل من الصف الدراسي ، الجنس ، وللتحقق من هذين الفرضين طبق الباحث

جدول (٣)

نتائج تحليل التباين احادي الاتجاه لدرجات التلاميذ من الصف السابع الأساسي إلى التاسع الأساسي في كل من : العوامل الدافعية والانتاج العقلي .

متغيرات الدراسة	بين المجموعات				داخل المجموعات		النسبة
	مجموع المربعات	د . ج	متوسط المربعات	مجموع المربعات	د . ج	متوسط المربعات	الفائية
العوامل الدافعية							
حب الاستطلاع	٧٢,٧٥	٢	٣٦,٣٨	٩٦١,١٢	١٧٧	٥,٤٣	,٢٤
الدافعية الدراسية	٤٤,٧٥	٢	٢٢,٣٨	٨٣٩,٨٧	١٧٧	٤,٧٥	٠٣,٠٩
المثابرة	١٦,٧٥	٢	٨,٣٨	١٢٨٣,٦٣	١٧٧	٧,٢٥	١,٤٦
الثقة بالنفس	١٣،٨٨	٢	٦,٩٤	٢٦٩٦٥,٨٤	١٧٧	١٥٢,٣٥	١,٥٤
الانتاج العقلي							
التحصيل الاكاديمي	٦٠٥٢,٢٤	٢	٣٠٢٦,١٢	١٤١٣٣٠,٥٥	١٧٧	٧٩٨,٤٨	٠٣,٧٩
النشاط الابتكاري	٧٨٨,٤١	٢	٣٩٤،٢٠	٢٣٩٦١,٠٦	١٧٧	١٣٥,٣٧	٢,٩١

جدول (٤)

نتائج تحليل التباين أحادي الاتجاه لدرجات التلميذات من الصف السابع الأساسي إلى التاسع الأساسي وذلك في كل من : العوامل الدافعية والانتاج العقلي .

متغيرات الدراسة		بين المجموعات			داخل المجموعات		
		مجموع المربعات	د . ج	متوسط المربعات	مجموع المربعات	د . ج	متوسط المربعات	النسبة الفائية
العوامل الدافعية	حب الاستطلاع	١٣٠٥,٩٧	٢	٦٥٢,٩٩	٣١٢٦١,٤٢	١٧٧	١٧٦,٦٢	٣,٧٠ *
	الدافعية الدراسية	٢٧,٩٧	٢	١٣,٩٨	١٥٣٥,٩٢	١٧٧	٨,٦٨	١,٦١
	المثابرة	٣١,٦٩	٢	١٥,٨٥	٨٩٠,١٣	١٧٧	٥,٠٣	٣,١٥ *
	الثقة بالنفس	٥٣,٩٠	٢	٢٦,٩٥	٥١٩,٨٠	١٧٧	٢,٩٤	٩,١٨ **
الانتاج العقلي	التحصيل الاكاديمي	٢٢٣٣٩,٠٦	٢	١١١٦٩,٥٣	١٦١٨٢٣,٧٦	١٧٧	٩١٤,٢٦	٨,١٨ **
	النشاط الابتكاري	٨٢٦,٥٠	٢	٤١٣,٢٥	١٩٣٦٠,٤٠	١٧٧	١٠٩,٣٨	٣,٧٨ *

إستبيان الشخصية لتلاميذ التعليم الأساسي ، قائمة الأنشطة على عينات التلاميذ من الجنسين بالصفوف من السابع إلى التاسع الإساسي . وقد عولجت إستجابات المجموعات (كل جنس منفرداً) إحصائياً بأستخدام أسلوب تحليل التباين . أحادي الإتجاه ، كما هوموضح في جدولي (٣ ، ٤) .

ويوضح الجدولان السابقان وجود فروق دالة بين متوسطات درجات الإناث من الصف السابع إلى التاسع الأساسي في حب الاستطلاع ، المثابرة ، الثقة بالنفس ، التحصيل الأكاديمي ، النشاط الإبتكاري ، أما عند الذكور فتوجد الفروق في الدافعية الدراسية والتحصيل الأكاديمي فقط . معنى ذلك أن تغير العوامل الدافعية أثناء المرحلة الإعدادية عند الإناث أكبر منه عند الذكور في نفس المرحلة .

وحتى يمكن الكشف عن اتجاه التغير في العوامل الدافعية والإنتاج العقلي لدى الجنسين أثناء المرحلة الأعدادية قام الباحث بحساب قيم (ت) كما يوضح جدولا (٥ ، ٦) .

وبالنظر إلى جداول (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) تتضح النتائج الآتية :

١ ـ يميل حب الإستطلاع عند الإناث للنقصان بدلالة في الصف الثامن الأساسي ثم الإرتفاع بدلالة في الصف التاسع الأساسي .

٢ ـ إن التحصيل الأكاديمي عند الذكور يميل للإنخفاض بدلالة من الصف السابع إلى التاسع الأساسي بعكس النشاط الإبتكاري الذي يميل للإرتفاع بدلالة أثناء نفس المرحلة .

٣ ـ إن التحصيل الأكاديمي عند الإناث يميل إلى الارتفاع بدلالة من

جدول (٥)

قيم ت بين متوسطات درجات طلاب الصفوف الدراسية من السابع إلى التاسع الأساسي لكل من البنين والبنات في العوامل الدافعية والانتاج العقلي .

قيم ت بين الصفوف الدراسية							
الجنس	الصف الدراسي	حب الاستطلاع	الدافعية الدراسية	المثابرة	الثقة بالنفس	التحصيل الأكاديمي	النشاط الابتكاري
ذكور	ت ٨,٧	١,١٨	,٥٦	,٤٦	,٣٣	١١,١٨ **	٢,٢٠ *
	ت ٩,٧	,٢٩	,٦٦	,٢٨	,٦٨	٢٥,٣٥ **	٥,١١ **
	ت ٩,٨	١,٤٧	١,٢٢	,٧٤	,٣٥	١٤,١٧ **	٢,١٩ *
إناث	ت ٨,٧	٦,٥٧ **	,٨١	١,٠٢	,٦٤	٧,٢٥ **	,٢٦
	ت ٩,٧	٣,٨١ **	,٨٦	,٠٦٣	١,٣٤	٨,٤٣ **	٤,٦٧ **
	ت ٩,٨	٢,٧٦ **	,٠٥	,٤٠	,٧٠	١,١٨	٤,٤١ **

جدول (٦)

قيم ت بين متوسطات درجات الجنسين عبر الصفوف الدراسية من السابع إلى التاسع الأساسي من العوامل الدافعية والانتاج العقلي

الصف الدراسي	حب الاستطلاع	الدافعية الدراسية	المثابرة	الثقة بالنفس	التحصيل الاكاديمي	النشاط الابتكاري
	قيم ت بين الجنسين					
ت ٧	,١٣	,٧٨	,١٥	,٣٨	٤,٣٠ **	,٧٥
ت ٨	٢,١٣ *	١,٣٩	١,٧٢	٢,١٠ *	١,٤٢	,٤٥
ت ٩	١,٥٤	٣,٨٢ **	٢,٣٩ **	٣,٥٥ **	١,٤٨	٤,٣٨ **

الصف السابع إلى التاسع الأساسي بعكس النشاط الإبتكاري الذي يميل إلى الإنخفاض بدلالة أثناء نفس المرحلة .

٤ ـ إن الفروق بين الجنسين في الصف السابع الأساسي تظهر في مستوى التحصيل الأكاديمي فقط لصالح عينة البنين .

٥ ـ إن الفروق بين الجنسين في الصف الثامن تظهر في مستوى حب الإستطلاع ، الثقة بالنفس لصالح عينة البنين .

٦ ـ إن الفروق بين الجنسين في الصف التاسع تظهر في مستوى الدافعية الدراسية ، المثابرة ، الثقة بالنفس لصالح عينة الإناث ، وفي الأنشطة الإبتكارية لصالح عينة الذكور .

وعلى ذلك فإن الباحث يكون قد تحقق من صحة الفرضين الأول والثاني . هذا وتتفق نتائج هذا الفرض مع دراسة أهامر ، شاي (١٩٧٠ م) التي توصلت إلى وجود فروق بين الأعمار المختلفة في العلاقة بين متغيرات الشخصية (تتضمن الثقة بالنفس والتحصيل الدراسي) كذلك أيضاً مع دراسة ويت (١٩٧٣ م) التي انتهت إلى وجود فروق بين الجنسين على بعض العوامل العقلية وبعض سمات الشخصية حيث تفوقت البنات على البنين في التحصيل الأكاديمي ، إلا أن البنين كانوا أكثر ثقة بالنفس ، جرأة ومغامرة .

وقد كشف جدول (٦) ان الفروق بين الجنسين في كل من العوامل الدافعية والإنتاج العقلي تظهر وتتمايز بزيادة العمر الزمني حيث كانت أغلب الفروق الدالة في الصف التاسع الأساسي .

والنتائج الخاصة بالفرضين الثالث والرابع :

إفترض الباحث أن العلاقة بين التحصيل الأكاديمي ، النشاط الإبتكاري تختلف باختلاف كل من : الصف الدراسي ، الجنس . وللتحقق من هذين الفرضين قام الباحث بحساب الإرتباط الخطي بين التحصيل الأكاديمي ، النشاط الإبتكاري لدى الجنسين بكل من الصف السابع ، الثامن ، التاسع الأساسي كما يشير جدول (٧) .

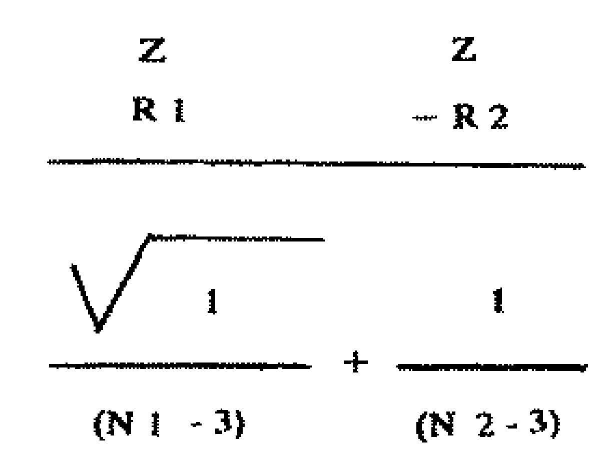
جدول (٧)

الإرتباط الخطي بين التحصيل الأكاديمي ، النشاط الإبتكاري لدى الجنسين والفروق بين معاملات الإرتباط في الصفوف الدراسية من السابع إلى التاسع الأساسي .

الإرتباط بين التحصيل الأكاديمي والنشاط الإبتكاري قيمة Z				
الصف الدراسي	بنين	بنات	الفروق بين معاملات الإرتباط	مستوى الدلالة
الصف السابع	٠٠, ٣٩٧	٠٠, ٤١٧	,١٣٣	غير دال
الصف الثامن	,٠٣٧	,٠١٢	,١٣٤	غير دال
الصف التاسع	,٢١٣	,٢٣٢	,١٠٧	غير دال

ويتضح من الجدول السابق أن الإرتباط بين التحصيل والنشاط الإبتكاري دالة عند مستوى (٠١ ,) لدى ذكور وإناث الصف السابع فقط . وأصغر قيمة لمعاملات الإرتباط كانت لدى الجنسين في الصف الثامن الأساسي .

ولقد إستخدم الباحث معادلة Z لحساب الفروق بين معاملات الإرتباط .



حيث ـ Z R 1 هي القيمة المحولة من معامل الإرتباط في العينة الأولى .

Z R 2 هي القيمة المحولة من معامل الإرتباط في العينة الثالثة .

N 1 عدد أفراد العينة الأولى .

N 2 عدد أفراد العينة الثانية .

جدول (٨)

دلالة الفروق بين معاملات الإرتباط بين كل صفين دارسيين لدى كل جنس منفرداً .

الصف الدراسي	Z	مستوى الدلالة	Z Z	مستوى الدلالة
Z ٧ ، ٨	٢,٠٥	,٠٥	٢,٣١	,٠٥
Z ٧ ، ٩	١,٠٩	غير دال	١,١٢	غير دال
Z ٨ ، ٩	,٩٦	غير دال	١,٢٠	غير دال

وعند حساب الفروق بين معامل الإرتباط للجنسين كانت الفروق جميعاً في الصفوف الدراسية المختلفة غير دالة كما يوضح جدول (٧) . كما قام الباحث بحساب دلالة الفروق بين معاملات الإرتباط بين كل صفين دراسيين لدى كل جنس منفرداً كما يشير جدول (٨) .

ويتضح من الجدولين السابقين ما يأتي :

١ ـ إن أعلى الإرتباطات بين التحصيل الأكاديمي والنشاط الإبتكاري كانت لدى ذكور وإناث الصف السابع الأساسي حيث كانت المعاملات ٣٩٧ ، ٤١٧ وهي دالة عند مستوى (٠,٠١) . يليها مباشرة الإرتباطات لدى ذكور وإناث الصف التاسع الأساسي مما يعطي إحتمالاً ضعيفاً لتأثير العوامل الدافعية على الإنتاج العقلي .

٢ ـ إن أقل الإرتباطات بين التحصيل الأكاديمي والنشاط الإبتكاري كانت لدى ذكور وإناث الصف الثامن الأساسي وهي غير دالة . مما يعطي إحتمالاً بتأثير أكبر للعوامل الدافعية على الإنتاج في الصف الثامن الأساسي .

٣ ـ إن الفروق بين معاملات الإرتباط عند الجنسين كانت غير دالة في جميع الصفوف الدراسية الثلاثة، مما يعني تشابه الإرتباطات لدى الجنسين في جميع الصفوف الدراسية .

٤ ـ إن الفروق بين معاملات الإرتباط عند كل صفين دراسيين لدى كل جنس منفرداً كانت دالة فقط بين ذكور الصفين السابع والثامن الأساسيين ، وأيضاً بين إناث الصفين السابع والثامن الأساسيين .

٥ ـ إن العلاقة بين التحصيل الأكاديمي والنشاط الإبتكاري تختلف من صف إلى آخر ، ولا تختلف بإختلاف الجنس ، وهو ما يثبت صحة الفرض الثالث وعدم صحة الفرض الرابع .

وتتفق نتائج هذين الفرضين مع ما توصلت إليه دراسات حمدي

محروس (١٩٨٠ م) ، سيسرلي (١٩٦٥ م) ، ياما موتو (١٩٦٦ م) ، أدواردز (١٩٦٩ م) ، اشتاين (١٩٦٨ م) من أن الإرتباط بين التحصيل الأكاديمي والإبتكاري ضعيف على الرغم من دلالة بعضها ، وقد ارجعت هذه الدراسات السبب في عدم إستخدام مقاييس الدافعية كمتغيرات وسيطة ، للعلاقة بين التحصيل والإبتكار .

ولا شك أن الطلبة المستجدين بالصف التاسع الأساسي قد تناولوا جرعات كبيرة من الدروس الخصوصية وكذلك طلبة التاسع الأساسي ، مما يقلل من تأثير متغيرات حب الإستطلاع ، الدافعية الدراسية ، المثابرة ، الثقة بالنفس ، وعلى ذلك فإن هذه المتغيرات قد يكون لها التأثير الأكبر على أداء طلبة الصف الثامن الأساسي وهو ما يفسر ضعف الإرتباط بين التحصيل الأكاديمي والنشاط الإبتكاري لدى ذكور وإناث الصف الثامن الأساسي . وهو ما سنحاول إيضاحه في نتائج الفرض الخامس .

النتائج الخاصة بالفرض الخامس :

إفترض الباحث وجود علاقات ارتباطية دالة بين العوامل الدافعية وكل من التحصيل الأكاديمي والنشاط الإبتكاري لتلاميذ وتلميذات الصف الثامن الأساسي .

وللتحقق من صحة هذا الفرض قام الباحث بحساب معاملات الإرتباط بين العوامل الدافعية وكل من : التحصيل الأكاديمي ، النشاط الإبتكاري لدى الجنسين كما يشير جدول (٩) .

جدول (٩)

معاملات الارتباط بين العوامل الدافعية وكل من التحصيل الاكاديمي والنشاط الابتكاري الكلي من بنين وبنات الصف الثامن الأساسي

	الارتباط بالتحصيل الاكاديمي			الارتباط بالنشاط الابتكاري		
التغير الدافعي	بنين	بنات	قيمة Z	بنين	بنات	قيمة Z
حب الاستطلاع	ـ ٠٩٩ ،	ـ ١١٢ ،	، ٠٦٩	، ٢٧٩ *	، ٢٤٦ **	، ٣٩٥
الدافعية الدراسية	، ٠٧٥	، ٢٨٤ *	١ ، ١٥٨	، ٠٤٣	، ١٨٥	، ٧٦٩
المثابرة	، ٠٣٣	، ١٢١	، ٤٧٥	، ٠٢٠	، ٢٣٦	١ ، ١٧٠
الثقة بالنفس	، ١٥٥	، ١٤٠	، ٠٨٠	، ٠٩١	، ١٧٧	، ٤٧٠

وبالنظر إلى الجدول السابق يتضح ما يأتي :

١ ـ إن المثابرة هي العامل الدافعي الوحيد الذي ارتبط بالتحصيل الأكاديمي لدى إناث الصف الثامن الأساسي حيث كان المعامل (٢٨٤,) وهو دال عند مستوى (٠٥,) .

٢ ـ إن حب الإستطلاع هو العامل الدافعي الوحيد الذي ارتبط بالنشاط الإبتكاري وذلك لدى الجنسين ، حيث كان الإرتباط عند ذكور الصف الثامن الأساسي (٢٧٩,) وهو معامل دال عند مستوى (٠٥,) ، وعند الإناث (٣٤٦,) وهو معامل دال عند مستوى (٠١,) .

٣ ـ إن الإرتباط بين العوامل الدافعية وكل من التحصيل الإكاديمي ، النشاط الإبتكاري تتشابه عند الجنسين ، حيث كانت قيم Z جميعها غير دالة وإن كان معامل Z يقترب من الدلالة في حالة الدافعية الدراسية ، إذ أن مستوى الدافعية الدراسية أعلى عند الإناث منه عند الذكور .

٤ ـ إن الإرتباطات السالبة الموجودة في جدول (٩) كانت بين حب الإستطلاع والتحصيل الأكاديمي عند الجنسين ، وكانت غير دالة . كما كان الإرتباط بين الثقة بالنفس والنشاط الإبتكاري موجباً وغير دال .

وتتفق نتائج هذا الفرض مع ما انتهت إليه دراسات هولاند (١٩٦١ م) ، تورانس (١٩٦٥ م) ، ماكينون (١٩٦٢ م) من ارتباط الأداء العقلي المعرفي بالمثابرة ، ودراسات فيدلر (١٩٧٤ م) ، هولاند (١٩٦١ م) التي أكدت على أهمية تأثير عامل حب الإستطلاع على درجة إبتكارية الأفراد من الجنسين .

وإذا كان الإرتباط بين حب الإستطلاع والتحصيل الأكاديمي في الدراسة الحالية سالباً ـ رغم دلالته ـ موجباً دالاً مع النشاط الإبتكاري فهو

ما يعكس فعالية حب الإستطلاع مع قدرات التفكير التباعدي التي ينتمي إليها النشاط الإبتكاري وعدم فعاليتها مع قدرات التفكير التقاربي التي ينتمي إليها التحصيل الأكاديمي .

وقد حاول الباحث التعرف على شكل العلاقة بين العوامل الدافعية والنشاط الإبتكاري عند تثبيت أثر التحصيل ، فإستخدم الباحث الإرتباط الجزئي كما يوضح جدول (١٠) .

جدول (١٠)

الإرتباط الجزئي بين العوامل الدافعية والنشاط الإبتكاري عند تثبيت تأثير التحصيل الأكاديمي .

دافعي ،	إبتكار ،	تحصيل	
المتغير الدافعي	بنين		بنات
حب الاستطلاع	,٠٩٥		,٣٤٣**
الدافعية الدراسية	,٠٤١		,١٨١
المثابرة	,٠١٩		,٢٣٥
الثقة بالنفس	ـ ,٠٨٤		ـ ,١٧١

ويكشف الجدول السابق عن عدم إنخفاض معاملات الإرتباط كثيراً عما هي في جدول (٩) بإستثناء الإرتباط مع حب الإستطلاع عند البنين فقط . ولقد كان إرتباط حب الإستطلاع بالنشاط الإبتكاري ـ عند تثبيت تأثير التحصيل ـ دالاً ، حيث كان المعامل (٣٤٣,) وهو دال عند مستوى

(٠،٠١) . وهو يؤكد ما انتهت إليه دراسات فيدلر (١٩٧١ م) هولاند (١٩٦١ م) .

النتائج الخاصة بالفرض السادس :

إفترض الباحث وجود فروق دالة بين متوسطات درجات المجموعات الأربع المقسمة حسب مستويات التحصيل الأكاديمي ، والنشاط الإبتكاري على العوامل الدافعية .

للتحقق من هذا الفرض كون الباحث أربع مجموعات من كل جنس كما يأتي :

١ ـ مجموعة مرتفعي التحصيل ، مرتفعي النشاط الإبتكاري .

٢ ـ مجموعة مرتفعي التحصيل ، منخفضي النشاط الإبتكاري .

٣ ـ مجموعة منخفضي التحصيل ، مرتفعي النشاط الإبتكاري .

٤ ـ مجموعة منخفضي التحصيل ، منخفضي النشاط الإبتكاري .

وقام الباحث بحساب متوسط درجات كل المجموعات وكذلك الإنحراف المعياري على العوامل الدافعية ثم حساب قيم (ت) كما هو موضح في جدول (١١) .

جدول (١١)

يبين المتوسطات والانحرافات المعيارية لدرجات المجموعات المقسمة حسب مستويات التحصيل، النشاط الابتكاري على جميع المتغيرات الدافعية ، الجنس ، وقيمة ت فيها

المجموعة	الجنس	ن	حب الاستطلاع		الدافعية الدراسية		المثابرة		الثقة بالنفس	
			م	ع	م	ع	م	ع	م	ع
مرتفعو التحصيل مرتفعو النشاط الابتكاري	ذكور	٦٠	١٤٦,٨٦	١٩,٨٥	١٦,٣٦	٣,٠٥	١٥,٧٨	١,٦٥	٤,٢٢	١,٧٢
	إناث	٦٠	١٣٤,٥٠	١١,١٧	١٨,١٩	٢,١٠	١٦,٩٤	١,١٢	٣,٨٥	١,٣٧
مرتفعو التحصيل منخفضو النشاط والابتكاري	ذكور	٦٠	١٣٢,٦٣	١٣,٨١	١٥,٦٩	٢,٦٠	١٤,٧٥	٢,٥٤	٤,٣١	١,٧٤
	إناث	٦٠	١٣١,٨٠	١٤,٩٨	١٧,٦٥	٢,٦٤	١٦,١٠	١,٤٨	٣,٩٥	١,٧٦
منخفضو التحصيل مرتفعو النشاط الابتكاري	ذكور	٦٠	١٣٩,٤٧	١٦,٧٥	١٥,٤٧	٢,٠٧	١٤,٠٧	٢,٦٦	٤,٦٧	١,٩١
	إناث	٦٠	١٣٢,٩٠	١٣,١٠	١٦,٧٠	٢,٧١	١٥,٨٠	٢,٨٩	٤,١٠	١,٦٦
منخفضو التحصيل منخفضو النشاط الابتكاري	ذكور	٦٠	١٣١,٧٥	١٠,٨٨	١٥,٢١	٢,٢٢	١٤,٧٤	٢,٤١		٢,٢٦
	إناث	٦٠	١٢٩,٥٠	١٠,٤٨	١٧,٢٠	٢,٩٨	١٥,٢٢	٢,٤٤		١,٠٨

ت ١، ٢	ذكور	٤,٥٢ **	١,٢٨	٢,٦١ *	,٢٨
	إناث	١,١١	١,٢٣	٣,٤٨ **	,٣٤
ت ٣، ٤	ذكور	٢,٩٧ **	,٦٦	١,٤٦	٢,٠٨ *
	إناث	١,٥٦	,٩٥	١,١٨	,٩٧
ت ١، ٣	ذكور	٢,١٩ *	١,٨٥	٤,٢٠ **	١,٣٤
	إناث	,٧١	٣,٣٤ **	٢,٨٣ **	,٨٩
ت ٢، ٤	ذكور	,٣٨	١,٠٨	صفر	٣,١٢ **
	إناث	,٩٧	,٨٧	٢,٣٧ *	١,٢٧
ت ١	ذكور وإناث	٤,١٧ **	٣,٨٠ **	٤,٤٧ **	١,٢٩
ت ٢	ذكور وإناث	,٣١	٤,٠٦ **	٣,٥٣ **	١,١٣
ت ٣	ذكور وإناث	٢,٣٧ *	٢,٧٧ **	٣,٣٨ **	١,٣٧
ت ٤	ذكور وإناث	١,١٤	٤,١١ **	١,٠٥	٣,٣٤ **

وتشير النتائج المستخلصة من جدول (١١) إلى ما يأتي :

١ ـ إن ارتفاع مستوى حب الإستطلاع والمثابرة لدى مرتفعي التحصيل من الذكور والإناث يرفع درجة الإبتكارية .

٢ ـ إن ارتفاع مستوى الدافعية الدراسية والمثابرة لدى مرتفعي الإبتكار من الذكور والإناث يرفع مستوى تحصيلهم .

٣ ـ إن ارتفاع مستوى المثابرة ، لدى منخفضات الإبتكار يرفع مستوى تحصيلهن .

وقد قام الباحث برسم التمثيل البياني لرتب المجموعات الأربع لكل جنس على حده على المتغيرات .

الثقة بالنفس المثابرة الدافعية الدراسية حب الاستطلاع

بنين

(١) (١) مرتفعي التحصيل الأكاديمي
مرتفعي النشاط الإبتكاري .

(٢) (٢) مرتفعي التحصيل الأكاديمي
منخفضي النشاط الإبتكاري .

(٣) (٣) منخفضي التحصيل الأكاديمي
مرتفعي النشاط الإبتكاري .

(٤) (٤) منخفضي التحصيل الأكاديمي
منخفضي النشاط الإبتكاري .

شكل (١)

التمثيل البياني لرتب مجموعات البنين الأربعة المقسمة حسب مستويات التحصيل الأكاديمي ، النشاط الإبتكاري .

بنات	الثقة بالنفس	المثابرة	الدافعية الدراسية	حب الإستطلاع
(١)				(١) مرتفعي التحصيل الأكاديمي النشاط الإبتكاري .

(٢) مرتفعي التحصيل الأكاديمي منخفضي النشاط الإبتكاري

(٣) منخفضي التحصيل الأكاديمي مرتفعي النشاط الإبتكاري .

(٤) منخفضي التحصيل الأكاديمي منخفضي النشاط الإبتكاري .

شكل (٢)

التمثيل البياني لرتب مجموعات البنات الأربع المقسمة حسب مستويات التحصيل الأكاديمي ، النشاط الإبتكاري . وتشير النتائج المستخلصة من شكلي (١ ، ٢) إلى النتائج الآتية :

١ ـ إن مجموعات مرتفعي التحصيل مرتفعي النشاط الإبتكاري كانت أعلى المجموعات في جميع المتغيرات الدافعية : حب الإستطلاع ، الدافعية الدراسية ، المثابرة ، الثقة بالنفس .

٢ ـ إن مجموعة منخفضي التحصيل مرتفعي النشاط الإبتكاري كانت أعلى في حب الإستطلاع من مجموعة مرتفعي التحصيل منخفضي النشاط الإبتكاري . أما مجموعة مرتفعي التحصيل منخفضي الإبتكار

كانت أكثر دافعية للدراسة من مجموعة منخفضي التحصيل مرتفعي الإبتكار وتتفق هاتان النتيجتان على الطلاب من الجنسين .

وتتفق نتائج هذا الفرض مع دراسات أريكسون (١٩٨٥ م) ، كولمان ، مادي (١٩٨٢ م) ، ماكينون (١٩٦١ م) ، هولانند (١٩٦١ م) التي أجمعت على أهمية متغيرات الدافعية الدراسية ، حب الإستطلاع والمثابرة سواء في تنمية القدرات العقلية الإبتكارية أو في كونها الدوافع التي تحرك سلوك الطلاب النابغين ، كما تتفق النتائج مع ما توصلت إليه أبحاث تورانس (١٩٦٥ م) ، فرنش (١٩٥٨ م) ، تشامبرز (١٩٦٤ م) ، براسل (١٩٨٠ م) من أهمية عامل الدافعية للإنجاز عن الدخول في أنشطة جديدة أو عند القدرة على إتخاذ قرار .

الفصل السابع والعشرين

الدوافع النفسية

تعتبر الدوافع بمثابة القوة الدافعة أو الطاقة المحركة للكائن الحي . والواقع إن الدوافع النفسية من الموضوعات التي تشغل أذهاننا جميعاً في حياتنا اليومية . فكثيراً ما نسأل أنفسنا عندما نشاهد أحد الناس يصدر عنه تصرف معين عن دوافع هذا الشخص ، والسبب الذي يجعله يتصرف بهذه الطريقة .

وعندما نرى شخصاً يضحي بحياته في سبيل المبدأ أو في سبيل وطنه تشغل أذهاننا الدوافع التي دفعته للقيام بهذا العمل البطولي .

وفي سعينا من أجل النجاح والتفوق ، ومن أجل السعادة والتوافق مع الآخرين نحاول تحقيق دوافع قوية عميقة الجذور ، وعندما يفشل الإنسان في تحقيق دوافعه نجد انه يزداد توتره النفسي وقد يزداد قلقه ، أو قد يقع فريسة للمرض النفسي .

إذن فالدوافع لها أهمية كبيرة في حياتنا . هي التي تدفعنا إلى العمل وبذل الطاقة والنشاط لأجل إرضاء هذه الدوافع . وهي التي توجه مسارنا وتجعلنا نختار طرقاً دون أخرى فنختار أن نسير في المسارات التي تؤدي إلى إشباع الدوافع . وإذا لم يتم إشباع الدوافع يعاني الفرد من التوتر والإحباط النفسي .

ويصنف علماء النفس الدوافع في فئتين رئيسيتين هما : الدوافع العضوية أو الفزيولوجية والدوافع الاجتماعية . والدوافع الفزيولوجية هي تلك الدوافع التي تتصل بحاجات الجسم كالجوع، والعطش، والجنس . . . إلخ أما الدوافع الاجتماعية فهي الدوافع التي لا ترتبط إرتباطاً مباشراً بحاجات الجسم وهي دوافع نتعلمها أو نكتسبها من خلال حياتنا الاجتماعية مثال ذلك الدافع إلى النجاح أو الشعور بالأمن أو الحاجة إلى الإحترام أو الحب . فكل هذه دوافع مكتسبة من خلال حياتنا في المجتمع .

ويولد الفرد مزوداً بعدد محدود من الدوافع الجسمية . ويمكن تفسير الكثير من سلوك الطفل حديث الولادة على أساس الدوافع الفزيولوجية فأهم ما يشغله ويؤثر عليه إرضاء الدوافع الجسمية كالحاجة إلى الطعام والماء والنوم وإخراج الفضلات .

وتقدم الأم ـ عادة ـ للطفل الإرضاء الذي يشبع هذه الحاجات والذي يؤدي إلى إشعار الطفل الوليد بالراحة . ومع تكرار هذه الإرضاءات عن طريق الأم ؛ يحدث إرتباط شرطي بين وجود الأم وإشباع الدوافع . بحيث يصبح وجود الأم مهماً في حد ذاته ؛ وبحيث نجد أن الطفل يبكي إذا غابت الأم عن أنظاره ، ويكف عن البكاء بمجرد وجودها أمامه .

وهذه الرغبة وهي الحاجة إلى وجود الأم حاجة مكتسبة يتعلمها من خلال الخبرات التي يمر بها ، وهي ليست فزيولوجية .

ويحدث تعميم لهذه المشاعر بحيث يشعر الطفل بالإرضاء والسرور عند وجود الآخرين كالأب وغيره من الأشخاص . إلى جانب أن هؤلاء الأشخاص يقدمون للطفل خبرات سارة من المداعبة والإهتمام وإشباع الحاجات الجسمية أيضاً ، وشيئاً فشيئاً يصبح وجود الآخرين أمراً يحقق الإرضاء للطفل ، وبذلك يصبح حاجة اجتماعية هامة لدى الطفل .

وبهذه الطريقة تتكون الحاجات الإجتماعية التي نكتسبها أو نتعلمها من خلال الخبرات التي نمر بها . والتي تصبح ذات أهمية بالغة في توافق الفرد في المجتمع وفي تشكيل شخصيته . فهذه الحاجات الاجتماعية المكتسبة هي التي تدفع الفرد للإرتباط بالآخرين ، وإلى التعاون معهم أو منافستهم أو الرغبة في النجاح والتفوق بينهم .

أولاً : الدوافع الفزيولوجية :

تتعلق الدوافع الفزيولوجية بالحاجات العضوية للجسم . فالكائن الحي يعمل دائماً على أن يكون في حالة توازن داخلي . فعندما ينخفض تركيز المواد في الدم ، أو عندما تتغير درجة الحرارة أو يقل مخزون الماء في الجسم نجد أن الكائن الحي يعمل على إعادة التوازن من جديد . وفي بعض الحالات تتم إعادة التوازن أوتوماتيكياً ، مثال ذلك عندما ترتفع درجة حرارة الجسم ، يفرز الجسم العرق ، الذي يعتبر بمثابة عملية تبريد للجسم .

غير أننا نجد بعض الحاجات الفزيولوجية الأخرى التي تؤدي إلى حدوث حالات فزيولوجية ونفسية تستثير الكائن الحي وتزيد نشاطه العام .

فعند حدوث نقص في تركيز مواد معينة بالجسم يؤدي ذلك إلى حالة توتر لا يتوقف إلا عند تعويض هذا النقص . وهذه الحاجات الفزيولوجية ضرورية لبقاء الفرد والنوع وأهم الدوافع الفزيولوجية :

١ ـ دافع الجوع .
٢ ـ دافع العطش .
٣ ـ دافع الجنس .
٤ ـ الحاجة إلى البعد عن الألم .
٥ ـ الحاجة إلى البعد عن الحرارة الشديدة أو البرودة الشديدة .

٦ ـ الحاجات الجسمية المتعلمة (مثال حاجة المدمن إلى الوصول لمستوى تركيز معين لعقار بالجسم) وسوف نعرض فيما يلي لأهم الحاجات الجسمية ، وسوف نوضح في كل منها كيفية إحساس الكائن الحي أو إدراكه لهذه الحاجات ، ثم السلوك الذي يصدر عند إحساسه بها .

١ ـ دافع الجوع :

يستهلك الكائن الحي باستمرار طاقة حرارية ، وتتطلب عمليات البناء والهدم في الجسم تعويضاً لما يفقده الجسم من الطاقة . ولذلك فإن نقص الطاقة في الجسم يؤدي إلى ظهور الحاجة إلى الطعام لدى الكائن . فالحاجة إلى الطعام حاجة حيوية لازمة لبقاء الكائن الحي .

ونتساءل الآن كيف يحس الكائن الحي بهذه الحاجة ؟

الواقع إن خبرتنا المباشرة بحالة الجوع توحي بأن المنبهات المرتبطة بالجوع تأتي من المعدة . فنقص المواد الغذائية في الدم يؤدي إلى حالة من التوتر العام ينتج عنها تقلصات المعدة التي نحس بها في حالة الجوع .

العلاقة بين تقلصات المعدة وإحساسات الجوع :

أجريت تجربة لمعرفة العلاقة بين تقلصات المعدة وبين الإحساس بألم الجوع . وفي هذه التجربة كان الشخص الذي أجريت عليه التجربة قد مرت عليه ساعات دون تناول طعام . ويقوم الشخص بابتلاع بالونة من المطاط يتم نفخها ذلك بحيث تصبح ملاصقة لجدران المعدة . ويمتد من البالونة أنبوبة صغيرة توصلها بجهاز للتسجيل . ويسجل هذا الجهاز أي ضغط من جدران المعدة على البالونة ، حيث يتحرك مؤشر خاص كلما تقلصت المعدة . ومن ناحية أخرى يوجد مفتاح تلغراف أمام

الشخص يطلب منه أن يضغط عليه كلما أحس بالآم الجوع . ويلاحظ الشخص أنه لا يرى أثناء التجربة الجهاز أو المؤشر الذي يسجل تقلصات المعدة .

وقد تبين من نتائج التجربة أن تقلصات المعدة وإحساسات الجوع تحدثان معاً وفي وقت واحد دائماً . مع ملاحظة ان هذه التقلصات لا تحدث بشكل منتظم E. Hilgard, (ص ١٠٨ - ١٠٩) (١٩٥٧ م) .

وتوحي هذه التجربة بأهمية تقلصات المعدة كمنبهات تتصل بدافع الجوع ، ولكن الواقع ان تفسير الإحساس بالجوع ليس بهذه البساطة .

الجوع بدون التقلصات المعدية :

أظهرت دراسة أجريت على شخص أزيلت معدته لأسباب صحية بواسطة الجراحة ، وتم توصيل المريء بالأثني عشر مباشرة أن هذا الشخص يحس بالحاجة إلى الطعام مثل الشخص العادي .

كذلك أجريت تجارب تم فيها إزالة المعدة لدى مجموعة من الفئران ، وقد ظهر لديها سلوك الجوع نفسه الذي يظهر لدى الفئران العادية ، وبشكل أكثر تكراراً عن المعتاد ، ولعل كثرة حدوث الجوع في هذه الحالة يرجع إلى إنخفاض القدرة على تخزين الطعام بسبب إزالة المعدة .

ولذلك فإن الإحساس بالجوع لا يعتمد فقط على تقلصات المعدة ، بل إن هناك عوامل اخرى تؤدي إلى إحساس الكائن الحي بالجوع .

دور الجهاز العصبي في الإحساس بالجوع :

أشارت التقارير الإكلينيكية منذ وقت طويل إلى وجود علاقات بين أجزاء المخ وبين التعبير عن الدوافع . فلوحظ مثلاً أن وجود ورم خبيث

عند قاع المخ قد يجعل المريض يأكل بشراهة وبطريقة قهرية .

وتستخدم الدراسات الحديثة أداة لوضع إبرة في أي جزء من المخ دون أن يترتب على ذلك إصابة خطيرة لأنسجة المخ . ويمكن بواسطة هذه الإبرة أن يقوم المجرب باتلاف أو تخدير أو استثارة الأبنية تحت اللحائية . وقد أوضحت هذه الدراسات أن المهاد التحتاني هو المسؤول عن إضطرابات دوافع الطعام والشراب في حالة الإصابة بأورام المخ .

وقد وجد أن إتلاف زوج واحد من نـويات المهاد التحتاني تسمى بنويات الفنتـروميد يسال Ventromediol أو (V M) يؤدي إلى حدوث إضطرابات الأكل . حيث أن هذه النويات تجعل الأكل منـظماً حسب إحتياجات الجسم . فيؤدي إتلاف هذه النويات إلى الشراهة الشديدة ، وإلى ظهور سلوك الأكل . بينما يؤدي إتلاف نويات أخرى إلى رفض الكائن الحي للطعام رفضاً تاماً حتى يموت ، ما لم يتم تغذيته إجبارياً . (م . ملتر ، ١٩٧٢ م) .

ويلاحظ أن المهاد التحتاني ليس هو الجزء الوحيد في المخ الذي ينظم الأكل بل هناك ما يشير لوجود نويات أخرى بالغصن الصدغي تتصل بسلوك الأكل . وقد أمكن التـأثير على سلوك الأكـل لدى الحيوانات بواسطة الإستثارة الكهربيـة أو الكيميائيـة للمراكـز التي أشرنـا إليها . ويـلاحظ أن هذه المـراكـز تتلقى تنبيهـات من الحـواس ومن الجهـاز الهضمي ، ومن تركيز الدم .

دافع العطش :

الماء هو أحد العناصر الضرورية للحياة . وعندما تنخفض نسبة الماء في الجسم يحس الكائن الحي بذلـك ويقوم بتعـويض النقص بتناول السوائل . ونحن نحس بـالعطش عنـد جفاف أنسجـة الفم والحلق .

ويمكن التغلب على هذا الإحساس ، إذا قمنا بتنشيط الغدد اللعابية لكي تفرز اللعاب ليرطب أنسجة الفم والحلق . وذلك بمضغ لبان أو وضع حصوة صغيرة أسفل اللسان أو بتخدير جلد الفم والحلق . فكل هذه الوسائل يمكن أن تخفف من حدة شعورنا بالعطش .

ولكن الواقع أن جفاف الفم والحلق يعتبر عنصراً واحداً فقط من عناصر دافع العطش . فلقد أظهرت التجارب ان الجهاز العصبي يقوم بتنظيم تناول السوائل إعتماداً على نسبة الماء في الجسم .

تجربة :

أجريت تجربة لدراسة دافع العطش لدى الكلاب . وفي بداية التجربة كان يتم إعطاء الماء للكلاب حسب نظام محدد لكي يتم معرفة كمية الماء التي يحتاج إليها الكلب بصورة طبيعية . وبذلك أمكن حساب كمية الماء العادية التي يشربها الكلب .

وبعد ذلك تم إنقاص كمية المياه التي تقدم للكلاب . وعندما وضعت كميات من الماء ، بعد ذلك ، وجد أن الكلاب شربت مقداراً من الماء يساوي المقدار الذي حرمت منه .

وفي تجربة أخرى كان يتم وضع كمية الماء التي أنقصت داخل المعدة مباشرة بواسطة فتحة جراحية أو أنبوبة ، بحيث يصل الماء للمعدة دون أن يؤثر على جفاف أنسجة الفم والحلق . وقد وجد إنه إذا سمح للكلاب بالشرب قبل أن يمضي وقت كاف لتمثيل الماء في الجسم فإن الكلب يشرب كمية من الماء تساوي ما يمكن أن يشربه بدون وضع الماء في معدته .

أما إذا انتظرنا مدة ١٥ دقيقة بحيث يحدث تمثيل للماء في الجهاز الهضمي فإن الكلب لا يشرب على الإطلاق . وهذا يوضح إنه تم إرضاء

دافع العطش بدون ترطيب مباشر للفم والحلق .

وتشير التجارب العلمية إلى أن مركز تنظيم دافع العطش يقع أيضاً في المهاد التحتاني ، مثله مثل مركز تنظيم دافع الجوع . حيث توجد في المهاد التحتاني خلايا حساسة لتركيز الدم . ويؤدي إدخال مواد كيميائية معينة في الجهاز العصبي (على طرف إبرة خاصة) إلى استثارة سلوك الأكل والشرب ، بينما يؤدي إدخال مواد أخرى إلى إستثارة سلوك الأكل دون الشرب .

وهذا يوضح لنا دور الجهاز العصبي ، وعلى وجه الخصوص : المهاد التحتاني في تنظيم سلوك الأكل والشرب .

الدافع الجنسي :

لهرمونات الجنس دورها الكبير بالنسبة للدافع الجنسي . وعند الحيوانات الدنيا نجد أن الهرمونات لها الدور الأساسي أو الوحيد . لكن كلما إرتفعنا في سلم الإرتقاء ؛ من الحيوانات الدنيا إلى الحيوانات العليا إلى الإنسان تقل أهمية الهرمونات ويزداد تأثير عوامل التعليم ومؤثرات البيئة .

ومن التجارب التي توضح تأثير الهومونات ، تجربة أجريت على إناث الفئران فكان يتم وضعها داخل قفص خاص متصل بجهاز يسجل معدل الحركة والنشاط للفأر داخل القفص . فاتضح أن النشاط الحركي لأنثى الفأر يزداد كل رابع أو خامس يوم ثم ينخفض بعد ذلك ، أي أن الدورة الجنسية لدى انثى الفأر مدتها أربعة أو خمسة أيام . وزيادة الدافع الجنسي تؤدي إلى كثرة الحركة والنشاط ، مثله في ذلك مثل الدوافع الأخرى كالجوع والعطش ، وفي فترة قمة النشاط أو الدورة الجنسية تكون أنثى الفأر في حالة إستعداد لممارسة الجنس .

كذلك يؤدي حقن الفئران الصغيرة (غير البالغة) بهرمون الجنس إلى ظهور السلوك الجنسي لديها . كذلك فإن حقن الفئران البالغة التي توقف لديها النشاط الجنسي بسبب إزالة المبايض يؤدي إلى عودة السلوك الجنسي إلى الظهور من جديد .

وهذا يوضح أهمية إفرازات الغدد الجنسية للهرمونات في السلوك الجنسي لدى الحيوانات .

ويقوم المهاد التحتاني أيضاً بدور هام بالنسبة للدافع الجنسي . فالأفراد أو الحيوانات التي يتلف لديها المهاد التحتاني تفقد الإهتمام بالجنس . فعندما يصل إفراز الغدد الجنسية من الهرمونات إلى المهاد التحتاني من خلال مجرى الدم ينشط الدافع الجنسي . ويأخذ نشاط الدافع الجنسي صوراً متعددة لا تقتصر على عملية الإتصال الجنسي ، بل تتعداها إلى مظاهر أخرى كهجرة الحيوانات والطيور والأسماك ، وكبناء الأعشاش ، وكاقتتال الذكور .

وفي بعض التجارب تم زراعة أبر خاصة ينتشر على طرفها الهرمون الجنسي في أجزاء مختلفة من المخ . وقد وجد إن الحيوانات التي وصل الهرمون عندها إلى المهاد التحتاني نشط لديها الدافع الجنسي . أما الحيوانات التي وصل لديها الهرمون إلى مناطق أخرى بالمخ فلم يظهر لديها نشاط في الدافع الجنسي . وهذا يوضح أن الإحساس الجنسي يعتمد على وصول الهرمون للمهاد التحتاني ، ولا يعتمد السلوك الجنسي على وجود الهرمون في أماكن أخرى في باقي أجزاء المخ أو حتى الأعضاء التناسلية . (ب . ملز ، ١٩٧٢ م) .

تأثير البيئة على الدافع الجنسي عند الإنسان :

إذا كانت الهرمونات هي العامل الفعال الوحيد تقريباً في مجال

السلوك الجنسي لدى الحيوانات ، فإن العوامل البيئية لها أهمية كبيرة لدى الإنسان فالسلوك الجنسي لدى الإنسان ليس محدوداً بفترات معينة تتوفر فيها الهرمونات بل إن القابلية الجنسية لا تتوقف على وجود هذه الهرمونات . فلقد لوحظ ان نسبة كبيرة من النساء اللواتي أزيلت لديهن المبايض جراحياً لم يطرأ عليهن تغير يذكر من ناحية الرغبة الجنسية . وبينما قد يؤدي إخصاء الذكر إلى تناقص تدريجي في الميل الجنسي ، فإن الدافع الجنسي والقدرة الجنسية قد يستمران عشرات السنين بعد ذلك E. Hilgard (١٩٥٧ م) .

وللتعلم دوره الهام في تنظيم السلوك الجنسي لدى الإنسان . وقد أوضحت الدراسة العلمية وجود فروق في معدل (أو تكرار) العملية الجنسية لدى المتزوجين من مجتمع لآخر . ووجود فروق حضارية وفروق فردية في مواصفات الشخص الذي يعتبر جذاباً جنسياً . كما تتأثر مظاهر السلوك الجنسي الأخرى بعوامل التعلم والبيئة .

دوافع الأمومة :

تعتبر دوافع الأمومة من أقوى الدوافع الفزيولوجية التي لا تتعلمها الكائنات الحية بل تصدر عنها بشكل تلقائي . فنجد مثلاً القطة تعتني بصغارها حديثي الولادة وتضعهم في مكان بعيد آمن . وإذا شعرت بأي تهديد لهم حملتهم بفمها وأخذتهم إلى مكان أكثر أماناً ، وتصبح شرسة إذا حاول أحد أخذهم منها . وإذا أبعدت عنهم فهي على استعداد لتخطي الحواجز وتحمل الألم في سبيل الوصول إليهم .

هناك عوامل فزيولوجية معقدة تعمل على تنشيط دوافع الأمومة . وأحد هذه العوامل هرمون البرولاكتين الذي يرتبط بإفراز اللبن . فإذا تم حقن هذا الهرمون في عذارى الفئران أو حتى في الذكور نجد انها تبدأ في بناء الأعشاش وفي العناية بصغارها الفئران تماماً كما تفعل الأم .

ويبدو أن هرمون البرولاكتين يخفض حرارة الجسم ، بما يدفع الفئران إلى بناء الأعشاش .

وتأخذ دوافع الأمومة أشكالاً جامدة لدى الكائنات الحية الأدنى من الإنسان ، ولكنها تأخذ عند الإنسان صوراً أكثر مرونة ، ويظهر عليها تأثير التعلم والخبرات السابقة : فنجد ان هناك فروقاً بين الحضارات المختلفة في مظاهر الأمومة وشكل العناية بالأطفال .

بعض الدوافع الفزيولوجية الأخرى :

هناك دوافع فزيولوجية أخرى غير تلك التي سبق ذكرها . فهناك مثلاً الدافع لتجنب الألم ، فالكائن الحي ينفر من الألم ويبتعد عنه ، وهناك أيضاً الدافع للبعد عن درجات الحرارة المتطرفة (الحر الشديد والبرد الشديد) وكذلك الدافع لتجنب التعب والإرهاق .

وهناك دوافع فزيولوجية مكتسبة . فالشخص الذي يأخذ المورفين لتسكين الألم ، لا يكون لديه في الأصل حاجة فزيولوجية للمورفين . ولكن استمرار إستخدامه يخلق لديه حاجة قوية لتعاطيه بحيث يصبح ضرورياً له . وبذلك يصبح مدمناً ، إذا حرم منه يتوق إليه ، وتظهر عليه أعراض مرضية لا يخفضها إلا العقار .

الدوافع المكتسبة :

يكتسب الفرد من خلال حياته في المجتمع ومن خلال عملية التطبيع الاجتماعي دوافع نفسية قوية . فيتعلم الفرد أن هناك أهدافاً عليه أن يعمل من أجل الوصول إليها . يتعلم مثلاً قيمة النجاح ويحاول الوصول إليه ، ويتعلم حب الآخرين والإرتباط بهم والتنافس معهم ، ويجد نفسه مدفوعاً لذلك يكتسب الفرد عدداً كبيراً جداً من الدوافع التي تظل تدفعه طوال حياته ، والتي تصبح أكثر أهمية من دوافع الأكل والشرب

والجنس . وهي الدوافع التي تدفع الأفراد للقيام بالأعمال العظيمة وبالتضحية في سبيل المبدأ ، وهي باختصار أعظم دوافع الإنسان .

وسوف نعرض أمثلة محدودة من الدوافع المكتسبة . فنعرض دوافع التحصيل ، والأمن والسيطرة .

دافع التحصيل :

وهو من الدوافع الهامة بالنسبة للفرد والمجتمع . فهو الذي يدفع الفرد إلى بذل الجهد من أجل الوصول إلى أهداف هامة بالنسبة له . ويجعل الهدف الأسمى للفرد النجاح في الدراسة أو العمل .

ويكتسب الطفل الدافع إلى التحصيل منذ الطفولة المبكرة ، حيث نجد الآباء يبثون في أطفالهم الدافع إلى النجاح . ويظل هذا الدافع ينمو في بيئة المدرسة والعمل وإن كنا نجد أن بعض الأفراد يخشون الفشل فيجعلهم ذلك يخفضون من مطامحهم ومن دوافعهم للنجاح . ويبتعدون عن المخاطرة أو مجرد المحاولة خوفاً من ذلك الفشل المتوقع أو المتوهم . ولذلك فإن التحرر من الخوف والقلق ضروري لكي تظل دوافع التحصيل والإنجاز مرتفعة لدى الفرد .

وقد أظهرت الدراسات التجريبية انه إذا كان لدينا مجموعتان من الأفراد متساويتان في الذكاء ، ولكن إحداهما مرتفعة في دوافع التحصيل والأخرى منخفضة فإن المجموعة المرتفعة في دافع التحصيل تحصل عادةعلى درجات أفضل في الإمتحانات المدرسية أو الجامعية . فالطلبة الذين يحصلون على تقديرات مرتفعة في الجامعة يكون لديهم عادة دافع قوي للتحصيل والنجاح والتفوق .

وهناك مقاييس دقيقة تقيس شدة الدافع إلى التحصيل لدى الأفراد وهي تعطي صورة واضحة ودقيقة عن مستوى شدة هذا الدافع .

الدافع إلى الأمن :

يسعى الفرد دائماً إلى ما يحقق له الشعور بالأمن ، ويبذل جهوداً تستمر مدى الحياة لكي يطمئن إلى انه لن يتهدده الخطر ، وانه لن يجد نفسه في لحظة من اللحظات معلقاً بين السماء والأرض ، أو لا يجد المأوى أو الطعام أو المكانة الاجتماعية .

ويتعلم الفرد هذا الدافع منذ الطفولة الأولى ، حيث يولد الطفل عاجزاً محتاجاً إلى كل شيء ، فهم (خاصة الأم) يطعمونه ويسقونه وينظفونه ويداعبونه . فإذا اختفت الأم عن أنظاره لحظة أحس بالضياع وبالخوف الشديد من الحرمان . وهذا الشعور يجعله دائماً ينشد كل ما يحقق له الأمن والإطمئنان ، ويبعد عنه مخاوف الحرمان والضياع ، ويقدم المجتمع للفرد ما يكفل هذا الأمن كالحكومة والشرطة والبنوك والتأمينات وغيرها . كل ذلك لإرضاء الدافع للأمن لدى الأفراد ، حتى لا يقعوا فريسة للتوتر النفسي والمرض النفسي .

الدافع إلى السيطرة :

يتضح دافع السيطرة لدى كل من الإنسان والحيوان . ففي جماعات الحيوانات نجد أن بعض الأفراد يميلون إلى فرض سيطرتهم على الآخرين ، ويخضع لهم الآخرون أو يتبعونهم . يتضح ذلك في جماعات القردة ، وقطعان الفيلة أو الأبقار وجماعات الدجاج . وغيرها . وقد درست هذه الظواهر دراسة علمية تجريبية .

ولدى جماعات الإنسان نلاحظ أن بعض الأفراد يميلون إلى القيادة وإلى السيطرة . ويكونون عادة أكثر عدوانية عن الآخرين . وأكثر ثقة بأنفسهم وأكثر قدرة على إقناع الآخرين .

ونلاحظ أن بعض المجتمعات تشجع دافع السيطرة لدى الأفراد

وتعمل على تنميته خلال عملية التطبيع الاجتماعي . بينما نجد مجتمعات أخرى تشجع الميل إلى الخضوع أو المسالمة والطاعة .

كما يختلف الأفراد داخل المجتمع في اتباعهم سبيل السيطرة أو الخضوع . فبعضهم يسلك في تحقيقه لأهدافه مع الاخرين سبيل السيطرة ، بينما يسلك البعض الآخر سبيل الخضوع والإستكانة للوصول إلى الأهداف .

هذه بعض أمثلة الدوافع الاجتماعية ، وهي تعمل كطاقة دافعة للفرد ، يحاول الفرد إشباعها في كل تصرف يصدر عنه ، فإذا استطاع الفرد إشباع كل دوافعه ، لا تكون هناك أية مشكلات . أما إذا واجه الفرد صعاب وعقبات تقف في طريق إشباع الدوافع فإنه يعاني من التوتر النفسي والإحباط . وكثيراً ما ينتج الإحباط النفسي عن صراع الدوافع مع بعضها .

صراع الدوافع :

كثيراً ما نجد أن إشباع أحد الدوافع النفسية يتعارض مع إشباع أحد الدوافع الأخرى . وهناك أشكال ثلاثة على الأقل لصراع الدوافع هي :

أ ـ صراع الإقدام والأحجام .

ب ـ صراع الإقدام والإقدام .

جـ ـ صراع الأحجام والأحجام .

أولاً : صراع الإقدام ـ الإحجام :

في صراع الإقدام والإحجام نجد أن هناك دافعين متعارضين أحدهما يدفعنا لأن نعمل شيء معين ، بينما يدفعنا الآخر إلى تجنب عمله . فمثلاً قد يرغب الشخص في مشاهدة عرض فني شائق ولكنه يعرف أن تكاليفه باهظة : فيقع في صراع بين دافع الإقدام على مشاهدته ودافع

الإحجام بسبب التكاليف . مثال آخر الصراع بين رغبة الشخص في عمل شيء يرغب فيه جيداً، وشعوره بتأنيب الضمير وبالذنب إذا عمل هذا الشيء . وكلما ازداد الشخص اقتراباً من الهدف كلما زاد قلقه وصراعه النفسي .

وهذا الصراع بين الإقدام والإحجام إذا لم يحل ، يجعل الشخص عاجزاً عن التصرف ، لا يستطيع أن يقترب ولا أن يبتعد ، بل يعاني التوتر أو يصل به الأمر إلى حد المرض النفسي .

ثانياً : صراع الإقدام - الإقدام :

يكون لدى الفرد أحياناً رغبتان أو أكثر ، تتعارض إحداها مع الأخرى ، بحيث أن إرضاء إحدى هذه الرغبات ، يعني التضحية بالرغبات الأخرى . فيقع الفرد في صراع أيها يختار وبأيها يضحي .

مثال ذلك أن يكون أمام الفرد فرصة الإلتحاق بكليتين ممتازتين ولا يعرف أيهما يختار. أو يكون أمامه إمكانية الإلتحاق بوظيفتين مغريتين ، فيقع في الصراع والتردد . ويزيد هذا الصراع كلما زادت أهمية الإختيار وأثره البعيد في حياة الشخص .

ثالثاً : صراع الإحجام - الإحجام :

يكون أمام الفرد هنا أن يختار أحد أمرين كلاهما مر . وأمثلة هذا النوع من الصراع كثيرة في حياتنا اليومية . مثلاً الشخص الذي يكون أمامه أن يعمل في مهنة شاقة لا يحبها أو يموت جوعاً . أو الجندي على الجبهة يكون أمامه الاختيار بين أن يواجه المخاطر أو أن يكون جباناً .

الآثار المباشرة لإحباط الدوافع :

إذا تم إرضاء الدوافع لا تكون هناك أية مشكلات أمام الفرد . إما إذا لم يتم إرضاء الدوافع فإن الفرد يعاني في هذه الحالة من الإحباط .

ويترتب على هذا عدة آثار تظهر في سلوك الفرد . من أوضح هذه الآثار التوتر النفسي وعدم الإستقرار الحركي ، كما تظهر على الفرد الحركات العصبية ، أو تدخين السجائر مثلاً لدى الراشدين . ومن نتائج الإحباط أيضاً السلوك العدواني فنجد الشخص المحبط يوجه عدوانه على من حوله سواء كانوا هم مصدر الإحباط أم لا . فإذا تزايد الإحباط ، وضعفت مقاومة الشخص ، وقدرته على تحمل هذا الإحباط يقع الشخص فريسة للمرض النفسي .

دراسة مقارنة في الذكاء والشخصية لدى بعض فئات جناح الأحداث

مقدمة :

يتناول هذا البحث موضوعاً هاماً ـ من الناحية الأكاديمية وكذا من الناحية المجتمعية ـ وهو موضوع جناح الأحداث . حيث يعد هذا الموضوع مشكلة من المشكلات الكبرى التي تقف حائلاً من بين حوائل كثيرة دون تقدم المجتمع نحو التطور والتنمية .

وظاهرة جناح الأحداث في أي مجتمع لها أكثر من دلالة . وأبرز هذه الدلالات هي مقدار ما يعانيه المجتمع مما يثيره هؤلاء الجانحين من تهديد لأمن الآخرين .

وتتناول هذه الدراسة الجانح في نوعين من أشد الجرائم خطراً على الفرد وعلى المجتمع ، وهما الاتجار بالمخدرات والسرقة .

تحديد المشكلة :

١ ـ إلى أي حد تختلف الصفحة النفسية للجانحين في فئتي السرقة والاتجار بالمخدرات على الاختبارات السيكومترية الشائعة (وكسلر والشخصية المتعدد الأوجه) .

٢ ـ وهل يختلف التفعيل فيما بينهما أم لا ؟

الفروض :

١ ـ يوجد فرق دال في الذكاء بين مجموعتي الإتجار بالمخدرات والسرقة من حيث :

أ ـ نسبة الذكاء (لفظي وعملي وكلي) .

ب ـ الصفحة النفسية للذكاء .

٢ ـ يوجد فرق دال في الشخصية بين مجموعتي الاتجار بالمخدرات والسرقة من حيث :

أ ـ المثلث العصابي الذهاني .

ب ـ الصفحة النفسية للشخصية .

٣ ـ يوجد فرق دال في التفعيل بين مجموعتي الاتجار بالمخدرات والسرقة .

عينة البحث :

كانت عينة البحث من الذكور ، ١٦ من فئة السرقة ، ١٦ من فئة الإتجار بالمخدرات . وكان متوسط السن ١٨ سنة ، وتم ضبط فترة العقوبة والمستوى التعليمي ، وعدد الأخوة ، ومهنة الأب . . إلخ .

وأختيرت العينة من ثلاثة أماكن هي :

١ ـ دور التربية بالجيزة .

٢ ـ مؤسسة عين شمس .

٣ ـ المؤسسة العقابية بالمرج .

واجريت الدراسة الميدانية في الفترة من سبتمبر ١٩٨٨ م ـ اكتوبر ١٩٨٩ م .

الأدوات :

١ ـ اختبار وكسلر لذكاء الراشدين WAIS .

٢ ـ استخبار الشخصية المتعدد الأوجه MMPI .

٣ ـ اختبار اليد الاسقاطي H . T .

وقد قام الباحث بحساب ثبات وصدق الأدوات . وقام بتعديل في طريقة تصحيح اختبار اليد الاسقاطي في ضوء استجابات العينة على الاختبار .

نتائج الدراسة الميدانية :

ويمكن إجمالها فيما يلي :

أولاً : الذكاء :

١ ـ لم توجد فروق دالة إحصائياً في نسبة الذكاء اللفظي أو العملي أو الكلي بين مجموعتي الإتجار بالمخدرات والسرقة .

٢ ـ توجد فروق دالة إحصائياً في الصفحة النفسية للذكاء . حيث كان هناك فرقاً دالاً إحصائياً في المتشابهات عند مستوى (٠٥ ,) وكانت مجموعة الإتجار بالمخدرات أعلى من مجموعة السرقة .

٣ ـ كذلك في تشتت الصفحة النفسية حيث كانت الصفحة النفسية لمجموعة السرقة أكثر تشتتاً من مجموعة الإتجار بالمخدرات .

٤ ـ وجود فرق دال احصائياً بين نسبتي الذكاء العملي واللفظي في مجموعة السرقة فقط وكانت نسبة الذكاء العملي أعلى من نسبة الذكاء اللفظي وكان الفارق دالاً عند مستوى (٠٥ ,) . حصلت مجموعة الإتجار بالمخدرات على درجات أعلى من مجموعة السرقة في سلسلة أمسك حرامي في اختبار ترتيب الصور ، ولكن الفارق لم يكن له دلالة إحصائية .

٥ ـ حصلت مجموعة السرقة على درجات أعلى من مجموعة الإتجار بالمخدرات في اختبار تجميع الأشياء ولكن الفارق لم يكن له دلالة

إحصائية إلا في تجميع الوجه حيث كان الفرق دالاً إحصائياً عند مستوى (٠,٠٥) .

٦ ـ حصلت مجموعة السرقة على درجات أعلى من مجموعة الإتجار بالمخدرات في الدرجات الإضافية التي تعطى نتيجة السرعة والدقة ، وظهر الفارق دالاً عند مستوى (٠,٠٥) وكان الفارق في الدقة وبخاصة في اختبار ترتيب الصور ، وذلك عند مستوى (٠,٠٥) .

ثانياً : الشخصية MMPI

٧ ـ لم توجد فروق دالة احصائياً بين مجموعتي الاتجار بالمخدرات والسرقة إلا في مقياس الاكتئاب ، حيث كانت مجموعة الإتجار بالمخدرات أكثر اكتئاباً من مجموعة السرقة وكان الفارق دال إحصائياً عند مستوى (٠,٠٥) .

٨ ـ كان المثلث العصابي والذهاني في مجموعة الإتجار بالمخدرات أعلى من المثلث العصابي والذهاني في مجموعة السرقة ، ولكن الفارق لم يبلغ مستوى الدلالة الاحصائية وإن كان له دلالة إكلينيكية حيث يقترب من الدرجة التائية (٧٠) . وبخاصة مقياس البارانويا (٧١) درجة تائية .

ثالثاً : اليد الاسقاطي :

٩ ـ كانت نسب استجابات التفعيل عند مجموعة السرقة أعلى من مجموعة الاتجار بالمخدرات وكان الفارق دالاً احصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠١) . في حين لم يبلغ الفارق في التفعيل من خلال نسب الدرجات إلى الدلالة الإحصائية .

١٠ ـ ظهر ارتفاع شديد في فئة العدوان عند مقارنتها بباقي فئات التصنيف الأخرى وذلك بالنسبة للمجموعتين . وكان التفعيل في كل

مجموعة على حدة يصل تقريباً إلى ٥٠٪ من نسبة الدرجات ، حيث يدل على زيادة النزعات الاعتدائية على النزعات التعاونية الاجتماعية .

١١ ـ ميزت البطاقة رقم (٨) ٣٠٪ من حالات السرقة (إذ كانت الاستجابة لها : أيد بتسرق ، أيد بتنشل) . وكذا ٦٠٪ من حالات الاتجار بالمخدرات (إذ كانت الاستجابة لها : أيد ماسكة حشيش ، أيد ماسكة برشام) .

١٢ ـ كما كانت هناك بعض الاستجابات التي لها دلالة أكلينيكية . والتي أمكن تفسيرها في ضوء التحليل النفسي .

تفسير النتائج :

انتهى البحث إلى أن فعل 'لاتجار بالمخدرات إنما هو أقرب لأن يكون إعادة لموقف الأنا من الآخر ، المحبوب والمكروه معاً ، تدمير للآخر وتدمير لصورة الذات في النهاية ، فهو تدمير للآخر (المتعاطي) وتدمير للذات (بالحبس) ، وربما الإعدام لو كان عمره فوق ١٨ سنة .

كذلك حاول البحث القاء الضوء على فعل السرقة بما هو إعادة لموقف الأنا من الآخر . الذي يشعر فيه بالحرمان من الحب أو محاولة تعويض هذا الحرمان بسرقة شيء عياني بدلاً عن الحب ، ولكنه لا يعوضه عن حرمانه ، فيعود مرة ثانية وثالثة ، وكأنه مدفوع لتكرار هذا الفعل بشكل قهري ، أقرب لأن يكون عرضاً قهرياً يماثل أعراض من الوسواس القهري .

الفهرس

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر

الفصل الخامس عشر

الفصل السادس عشر

الفصل السابع عشر
الحياة الوجدانية

الفصل السادس والعشرون
مقارنة علاقة بعض العوامل الدافعية
بالانتاج العقلي لتلاميذ وتلميذات الحلقة
الثانية من التعليم الأساسي

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٢٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان